المباحث اللغويّة والنحويّة

في

«بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»

للفيروزآباديّ (ت ٨١٧ هـ)

رسالة تقدّمت بها

وفاء عبّاس فيّاض الدليمي

إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد

وهي من متطلبات درجة دكتوراه

في اللغة العربيّة وآدابها

بإشراف

الأستاذة الدكتورة خديجة عبد الرزاق الحديثي

رمضان ١٤٢١ هـ — كانون الأول ٢٠٠٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

سورة الأعراف الآية ٢٠٣

الإهداء

الى إمام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة ....

الى من غضب لأمر الله نفسه وعرض فيه للمكروه بدنه وحارب في مرضاة الله أسرته وأقصى الأدنين على جحودهم وقرب الأقصين على استجابتهم ووالى في الله الأبعدين وعادى في الله الأقربين وأدأب نفسه في تبليغ رسالة الله الى سيد البشرية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

قال العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)

« اني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلّا قال في غده :

لو غُيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ،

ولو قُدّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ،

وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جُمْلة البشر »

معجم الأدباء : مقدمة الكتاب

أشـــهد أنّ إعداد هذه الرســـالة الموسومـــة بـ (المباحـــث اللغويّـــة والنّحويّـــة في بصائر ذوي التمييـــز في لطائـــف الكتاب العزيـــز) للفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) ، جرى تحت إشـــرافي في جامعة بغداد / كليـــة الآداب ، وهي جزء من متطلبـــات درجة دكتـــوراه آداب فـــي اللغة العربيّـــة ...

التوقيـــع

الدكتورة خديجة عبد الرزاق الحديثي

(المشرفة على الرسالـــة)

التأريخ / / ٢٠٠٠

بناء على التوصيـــات المتوافرة أرشـــح هذه الرسالة للمناقشـــة .

التوقيـــع

الدكتور عمـــاد غـــزوان

رئيس قسم اللغة العربيـــة

ورئيس لجنة الدراسات العليا

كلية الآداب/ جامعة بغداد

التأريخ / / ٢٠٠٠

اقـــرار لجنـــة المناقشـــة

نشهـد أننـا اعضـاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (المباحـــث اللغوية والنحوية في بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)) وقد ناقشنا الطالبة (وفاء عباس فياض) في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ونعتقد أنهـا جديرة بالقبول بتقدير (جيد جدا) لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابهـا .

التوقيع :
الاستاذ الدكتور طه محسن العاني
رئيس اللجنة

التوقيع :
الاستاذة الدكتورة خديجة عبد الرزاق الحديثي
عضوا (المشرفة)

التوقيع :
الاستاذ الدكتور نعمة رحيم العزاوى
عضوا

التوقيع :
الاستاذة المساعدة الدكتورة خولة تقي الدين الهلالي
عضوا

التوقيع :
الاستاذة المساعدة الدكتورة
ندى عبد الرحمن الشايع
عضوا

التوقيع :
الاستاذة المساعدة الدكتورة
لطيفة عبد الرسول المضايفي
عضوا

** صادق مجلس كلية الاداب / جامعة بغداد على قرار اللجنة **

التوقيع :
الاستاذ الدكتور نزار عبد اللطيف الحديثي
عميد كلية الاداب
التاريخ / آذار / ٢٠٠١م

فهرست المحتويـــات

الموضـــوع	الصفحـــة
الإهـداء	
المقدمـة	١
التمهيـد	٦
* الفيروزآبادي حياته وآثاره	٧
اسمـــه	٧
ولادتـه	٨
نسبـه ولقبـه	٨
نشأتـــه	٨
رحلاتـــه	٩
شيوخـه	٩
تلاميـــذه	١٠
وفاتـــه	١٠
آراء العلماء فيـه ..... ومكانتـه العلمية	١١
آثـــاره	١٣
* تأليف البصائر وعنوانـــه	١٨
سبب تأليـف البصائر	١٩
مصطلحـات العنـوان	٢٠
البصائـــر	٢٠
التمييـز	٢٢
اللطائـف	٢٣
الفصل الأول : (منهج البصائر ومصطلحاته)	٢٦
توطئـــة	٢٧
المبحث الأول : موارد البصائر	٣٢
* الأعـلام	٣٢
* الكتـب	٤٢

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني : شواهد البصائر	٤٩
* القرآن الكريم	٤٩
القراءات القرآنية	٥١
الحديث النبوي	٥٨
الأمثال	٦٠
اللغات واللهجات	٦١
الأشعار والأرجاز	٦٤
المبحث الثالث : المصطلحات اللغوية في البصائر	٦٦
التفسير	٦٧
التأويل	٦٩
الفرق بين التفسير والتأويل	٧١
المعنى	٧٢
الكلام	٧٣
القول	٧٥
الحرف	٧٦
الفصل الثاني : (المباحث الصوتية في البصائر)	٧٧
توطئة	٧٨
المبحث الأول : في الصوت المفرد	٨٠
مخارج الأصوات	٨٠
المبحث الثاني : الظواهر الصوتية	٩٤
الإبدال	٩٤
الإدغام	١٠٥
الإعلال	١١٠
الهمز	١١٢
المبحث الثالث : ظواهر صوتية أخرى	١١٦
الإشباع	١١٦
الإمالة والتفخيم	١١٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث : (المباحث الصرفية في البصائر)	١١٨
توطئة	١١٩
المبحث الأول : الأبنية	١٢١
الأوزان الصرفية	١٢١
بناء المطاوعة	١٢٢
المبحث الثاني : المصادر وأنواعها	١٢٨
استعمال المصطلح	١٢٩
معاني المصادر	١٣٣
أبنية المصادر	١٣٥
المصدر الميمي	١٣٥
مصدر الهيأة والمرة	١٣٦
المبحث الثالث: الجموع وأنواعها	١٤٠
جمع الجمع	١٤٣
اسم الجمع	١٤٣
اسم الجنس	١٤٤
الجمع الذى يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع	١٤٥
جمع القلة والكثرة	١٤٦
شواذ الجمع	١٤٧
المتشابه الجمعي	١٤٧
المبحث الرابع: معاني الأبنية	١٥٠
فعل وأفعل	١٥٠
فعّل وأفعل	١٥٢
استفعل	١٥٤
التخفيف والتشديد	١٥٥
أمثلة المبالغة	١٥٦
المبحث الخامس: المشتقات وأنواعها	١٥٩

الموضوع	الصفحة
اسم الفاعل	١٥٩
صيغ المبالغة	١٦١
اسم المفعول	١٦٢
اسما الزمان والمكان	١٦٤
اسم الآلة	١٦٥
التبادل الدلالي بين الصيغ	١٦٥
المبحث السادس: مباحث صرفية أخرى	١٧٠
النحت	١٧٠
النسب	١٧١
التصغير	١٧٣
الفصل الرابع: (المباحث النحوية في البصائر)	١٧٦
توطئة	١٧٧
المبحث الأول: التقديم والتأخير	١٨٢
المبحث الثاني: الذكر والحذف	١٩١
المبحث الثالث: الكناية والتصريح	١٩٩
المبحث الرابع: التعريف والتنكير	٢٠٤
المبحث الخامس: التذكير والتأنيث	٢٠٩
المبحث السادس: التكرار	٢١٣
المبحث السابع: الأدوات النحوية	٢٢٢
الفصل الخامس: (المباحث الدلالية في البصائر)	
توطئة	٢٣٢
المبحث الأول: الدلالة وأنواعها	٢٣٣
الدلالة لغة واصطلاحاً	٢٣٣
الأصل اللغوي	٢٣٥
مناسبة الحروف للمعاني	٢٣٩
الدلالة العرفية (الاستعمالية)	٢٤٠

الموضوع	الصفحة
الدلالة الاستعارية (المجازية)	٢٤٣
المبحث الثاني : التحول الدلالي ووسائله	٢٤٦
التحوّل الدلالي	٢٤٦
وسائل التحول الدلالي	
تعميم الدلالة	٢٤٨
تخصيص الدلالة	٢٥١
المشابهة	٢٥٢
التغليب	٢٥٣
مآل الشيء	٢٥٤
المبحث الثالث : الظواهر الدلالية	٢٥٥
التضاد	٢٥٦
المشترك اللفظي	٢٦٢
الوجوه والنظائر	٢٦٥
الترادف	٢٧٢
الخاتمة	٢٧٨
ثبت المظان	٢٨٣
الخلاصة باللغة الانكليزية	

المقدمة

بسم اللّٰه الرّحمٰن الرّحيم

الحَمدُ للّٰه عَلَىٰ مَاأنعَم وَلهُ الشُكرُ عَلَىٰ مَا ألهم والثناء بِمَا قدّم ، وَصَلَىٰ اللّٰه عَلَىٰ مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَسَلم .

وبعد : مثّل النص القرآني أرفع النصوص اللغوية درجة وصل بها إلى حد الاعجاز . وقد تنوعت الدراسات حول هذا النص وكان كتاب (بصائر ذوي التمييز ...) واحداً من تلك الدراسات ، وكانت وقفة صاحب الكتاب ذات سعة معجمية واضحة مع ثراء واسع في عرض المادة اللغوية وتقص واضح جاء في جزء الكتاب الأول للمتشابه القرآني من الناحية اللغوية مما له صلة وثيقة بالجانب التعبيري للقرآن الكريم . واستطاع الفيروزآبادي أن يخرج لنا تفسيراً لغوياً للقرآن الكريم رتب مفرداته التي هي (البصائر) ترتيباً الفبائياً ، من بداية الجزء الثاني إلى نهاية الجزء الخامس .

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب (البصائر) يعدّ ضمن سلسلة طائفة من الدراسات اعتنت بوجه خاص بمفردات القرآن ، ولعل من أوضح الكتب التي تأثر بها الفيروزآبادي في كتابه هذا كتاب الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) المسمى (المفردات في غريب القرآن) .

وعلى الرغم مما اشتمل عليه هذا الكتاب من ثروة لغوية فإنّ مما يؤسف له أنّ الكتاب بقي مجهولاً لدى الكثير من الباحثين ، ولعل ذلك يرجع إلى ندرة نسخ الكتاب المطبوعة ، أو اكتفاء بما قبله من الدراسات القرآنية . وكانت هذه الدراسة محاولة لإظهار تلك الثروة بتنظيمها على وفق منهج البحث اللغوي .

إن اشتمال الكتاب على ثروة لغوية جديرة بالدراسة والتأمل واتصاله بكتاب الله العزيز كانا عاملين فعالين في اختياره موضوعا للبحث ، وإن اختيار الموضوع خضع لرغبة نفسية تتجه نحو كتاب الله بالإجلال والإكبار والتقديس ، فحسبنا أن نبرز جانباً من الجوانب التي تمت بصلة إلى الكتاب العظيم .

وبعد جمع المادة اللغوية والنحوية واكمال دراستها الأولية ، بُنيت الرسالة على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة بنتائج البحث .

أما المقدّمة فقد ضمنتها سبب اختياري الموضوع وعرضاً لفصوله ومباحثه ومصادر البحث .

وجاء التمهيد في قسمين . تناول القسم الأول حياة الفيروزآبادي ونبذة عن نشأته

ورحلاتـه وآثاره ، ولم يكن هذا القسم طويلا لكثرة من كتب فيه ، ولم يكن من همّ بحثنا هـذا . وكان القسم الثاني لبيان سبب تأليف البصائر والوقوف على دلالات مصطلحـات عنوان الكتـاب .

وخصصت الفصل الأول لمنهج البصائر، ووضعت له تمهيدا بينت فيه الاطار العـام لهذا المنهج تلته مباحث الفصل،وهي ثلاثـة مباحث كان الأول منها موارد البصائـر، ووقعت في شطرين هما : الأعلام والكتب ، اكتفيت بذكر مثالين لعشرة من العلماء البارزيـن الذين ورد ذكرهم في البصائر وذلك لكثرة ما ورد عنهم . أما الكتب فتنوعت إلى كتـب تفسير وحديث ونحو ولغة ومعاجم ونوادر، وقد رتبتها بحسب أهميتها .

وتناول المبحث الثاني شواهد البصائر وهي متنوعة ما بين قرآن كريم وقـراءات قرآنية، وحديث نبوي وأمثال ولهجات وأشعار وأرجاز .

وتناول المبحث الثالث أهم المصطلحات اللغوية العامة في(البصائر) بالنظر لأهميتها ولأن الفيروزآبادي نص عليها وصرح بها في بصائره وأعطى تعريفات لها .

وجاءت الفصول الباقية بحسب تقسيم مستويات دراسة اللغة ابتداءً بالمستوى الصوتي يليـه الصرفي ثم النحوي ثم الدلالـي .

وكان الفصل الثاني للمباحث الصوتية ووقع في ثلاثة مباحث الأول : في الصـوت المفرد ، واقتصر الكلام على مخارج الأصوات فحسب إذ أهمل الفيروزآبادي صفات الأصـوات في البصائر . وتناول المبحث الثاني الظواهر الصوتية،وقد جاءت على النحو الآتـي : الإبدال ، الإدغام ، الإعلال ، الهمز ، والثالث في ظواهر صوتية أخرى هي : الإشبـاع ، الإمالة والتفخيـم .

وأفردت الفصل الثالث للمباحث الصرفية،وهي ستة مباحث جاءت على النحو الآتـي : الأول في الأوزان الصرفية وبناء المطاوعة ، والثاني في المصادر وأنواعها ، والثالث فـي الجموع وأنواعها والمتشابه الجمعي ، والرابع في معاني الأبنية ، والخامس في المشتقـات وأنواعها والحقت به موضوع (التبادل الدلالي بين الصيغ) لأهمية المادة الموجودة فـي هذا الاتجاه ولكثرتهـا .

وكان المبحث السادس في مباحث صرفية أخرى هي : النحت، النسب ، التصغير .

ثم يأتي الفصـل الرابع وهو فصل للمباحث النحوية وكانت مادته ذات صلة وثيقـة

بالتعبير القرآني ولعل مادته من أمتع المواد اللغوية في البصائر لاتصالها بالتعبير القرآني •وجل مادة هذا الفصل من المتشابه اللفظي بين الآي القرآني • وكان الفيروزآبادي قد أفرد له فقرات خاصة في الجزء الاول من المطبوع ذكر فيها المتشابه في سور القرآن الكريم سورة سورة • وتجدر الاشارة ههنا الى ان الفيروزآبادي أقدم على نسخ جلّ مادة هذا المتشابه من كتاب (أسرار التكرار في القرآن الكريم) لاستاذه محمود بن حمزة الكرماني (المتوفى في القرن السادس الهجري) ولم يشر الى ذلك • وسيأتي توضيح النصوص في مواضعها من الدراسة •

واحتوى هذا الفصل سبعة مباحث كانت في : التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والتكرار ، والتعريف والتنكير ، والتذكير والتأنيث ، والكناية والتصريح ، والأدوات النحوية •

وننتهي إلى الفصل الخامس وهو فصل للمباحث الدلالية وجعلته في مبحثين : الأول في الدلالة وأنواعها ، تناولت فيه تعريف الدلالة والاصل اللغوي والدلالة العرفية (الاستعمالية) والدلالة الاستعارية (المجازية) • وتناول المبحث الثاني التحول الدلالي ووسائله •

وكان المبحث الثالث في الظواهر الدلالية بحثت فيها التضاد والترادف والمشترك اللفظي والوجوه والنظائر •

وقدّمت لكل فصلٍ توطئة بينت فيها الأطار العام للمبحث وما وجدت للفيروزآبادي من بصائر تتصل بهذا الجانب •

وأما الخاتمة فقد أودعتها أهم النتائج العامة والخاصة التي توصل إليها البحث •

ونظرا لسعة المادة اللغوية والنحوية تنوعت المصادر والمراجع التي رجعت إليها في رحلتي هذه ، فكان كتاب (بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز) الأساس الذى اعتمدت عليه في هذه المسيرة مع كثير من الكتب اللغوية بمستوياتها المختلفة : الصوتية والصرفية والدلالية والكتب النحوية وكتب التفسير والأحاديث والقراءات القرآنية فضلاً عن المعاجم وكتب الأمثال والشعر وكتب التراجم وغيرها مما تطلبه البحث •

واخيراً لا بد لي من كلمة شكر وامتنان لأولئك الذين مدّوا لي يد العون والمساعدة لأنجاز هذه الرسالة حتى وصلت إلى ما وصلت اليه ، وانطلاقا من قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : " من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق " • فاني أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذتي الدكتورة خديجة الحديثي مقبلة يديها الكريمتين لإشرافها على البحث ولصبرها الطويل وقراءتها الدقيقة لفصول هذه الرسالة وملاحظاتها السديدة حتى بدت في حُلتها هذه ، راجية لها المولى القدير أن يمنّ عليها بالخير والبركة ويمدّ في عمرها ويسدد خطاها لخدمة العربية •

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من الأساتذة الأفاضل الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي،والأستاذ الدكتور حسام النعيمي اللذين وافقا على اختيار الموضوع، والأستاذ الدكتور حاتم الضامن الذي شجعني على دراسته،وخوض غماره ووضع الخطة الأولية له داعية العلي القدير أن يرد هم إلى وطنهم سالمين غانمين .وأسجل شكري وتقديري إلى السادة رئيس لجنة المناقشة وأعضائها لتجشمهم عناء قراءة الرسالة ولما سيبدونه من ملاحظات وتوجيهات تقوّم الرسالة وترتقي بها من حال إلى حال .

وأسجل شكري ووفائي لزوجي الدكتور حسن عبد الغني الأسديّ ، الذي لم يبخل عليّ بوقته وعلمه ومكتبته المتواضعة ولما أبداه من ملاحظات سدّدت الكثير من الاراء ، راجية الله عزّ وجلّ أن يحفظه من كل سوء ومكروه ويمدّ لي في عمره،ويسدد خطاه على طريق العلم والمعرفة .

وأُسجل شكري وعرفاني للاستاذ المساعد الدكتور صالح مهدي عباس الذي فتح لي بيته ومكتبته منذ أول يوم لاعداد هذه الرسالة ولابنته اختي وصديقتي الغالية (ايمان) التي مدت لي يد العون والمساعدة في حياتي العلمية والاجتماعية وما زالت تفيض عليّ من كرم نفسها الطيبة ومعدنها النبيل ، راجية لهما دوام الصحة والتوفيق .

وأخيراً أُسجل شكري وتقديري إلى جميع الأخوة والأخوات الذين ذللوا لي صعوبات في البحث .

وبعد كل هذا أرجو أن يكون عملي خالصا لوجهه تعالى وأن ينتفع به طلاب العلم، ولا سيما أنه بحث في كتاب يتعلق بكتاب اللّه العظيم (القرآن الكريم)ومن هنا كانت عنايتي به مضاعفة ؛ إلا أنني لا أدّعي لنفسي الكمال في عملي – فالكمال وحده لله جلّ وعلا – كما أني لم أدّخر وسعاً من أجل انجازه ، وحسبي أني اجتهدت وللمجتهد أجران إن اصاب وله أجر واحد إنْ أخطأ . ولله الحمد أولاً وآخراً . وهو من وراء القصد .

التمهيد

" المباحث اللغوية والنحوية في (بصائر ذوي التمييز ...) للفيروزآبادي "

يتناول التمهيد فيه المسألتين الاتيتين : (حياته وآثاره)، و (تأليف البصائر وعنوانه) .

* حياته وآثاره :

لدى رجوعي إلى ما يربو على أكثر من ثلاثين كتابا، ما بين مرجع قديم وكتاب حديث تناولت كلها حياة العلامة (الفيروزآبادي) تبيّن لي أن ترجمة هذا العالم لم تتجاوز ما ذُكر في أول مصدر ترجم له . وكانت ترجمته في الغالب تتكرر مضموناتها عند بقية المترجمين ، سوى أن الملاحظ في بعض هذه الترجمات أنها قد تنحو إلى التفصيل في بعض الأخبار الخاصة بحياته مع بعض الاختلاف أو الزيادات مما ذكرناه في موضعه عند الترجمة .

ـ الفيروزآبادي (*) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن محمود بن إدريس بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله . المجد أبو الطاهر الشيرازي اللغوي الشافعي .

(*) ينظر ترجمته في المصادر الآتية مرتبة ترتيباً زمنياً : طبقات الشافعية ١١٦ ، العقد الثمين ٣٩٧/٢، إنباء الغمر بأبناء العُمر ١٥٩/٧ـ١٦٣، ذيل الدرر الكامنة ٢٣٨ـ٢٤١، ذيل تذكرة الحفاظ ٢٥٦، الدليل الشافي على المنهل الصافي ٧١٣/٢، الضوء اللامع ٧٩/١٠ـ٨٦، بغية الوعاة ٢٧٣/١ـ٢٧٥ ، طبقات المفسرين ٢٧٤/٢ـ٢٧٩، الشقائق النعمانية ٣٢/١ـ٣٤، مفتاح السعادة ١١٩/١ـ١٢٣، ازهار الرياض في اخبار عياض ٣٨/٣ـ٥٢، كشف الظنون في مواضع متفرقة ، شذرات الذهب ١٢٦/٧ـ١٣١ ، البدر الطالع ٢٨٠/٢ـ٢٨٤، روضات الجنات ٢٠٧ـ٢٠٨، ايضاح المكنون في مواضع متفرقة ، هدية العارفين في مواضع متفرقة، العقود اللؤلؤية ٢٦٤/٢ ومابعدها .

وينظر أيضا في المراجع الآتية : الكنى والألقاب ٤١، تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ٢٣١/٢ـ٢٣٤، الملحق ٢٣٤ـ٢٣٦، تاريخ الأدب العربي : عمر فروخ ٨٢٩/٣ـ٨٣٢ ، تاريخ آداب اللغة العربية ١٥٢/٣ـ١٥٤، معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٤٦٩/٢ـ١٤٧١ ، الاعلام ١٤٦/٧ـ١٤٧، معجم المؤلفين ١١٨/١٢ـ١١٩، مقدمة بصائر ذوي التمييز ٢١/١، مقدمة البلغة ٤ـ٢١، ملامح من تاريخ العربية ٥٤ـ٥٥، دائرة المعارف الاسلامية ٩٢٦/٢ـ٩٢٧، الفيروزآبادي ومنهجه في التصوف ١٧ـ٧٢ .

ولادتـــه :

ولد الفيروزآبادي في مدينة (كَازَرُون)، وقد صرّح بهذا في معجمه (القامـــوس المحيط) حيث قال : ((وكازِرون: د/بلد) بفارس منه محمد بن الحسن مقرئ الحـــرم، وبه ولدتُ، واليه ينسب محدثون وعلماء ...)) (١). وقد بيّن أحد المحققين (٢) وَهْـــمَ ما ذَهَبَتْ إليه كثير من المصادر التي ترجمت له أنه ولد بكازرون، وعزا هذا الوهم إلـــى أن (كازرون) قريبة من شيراز، وحروفها تكاد تطابق حروف (كازِرون).

وكانت ولادته في ربيع الاول (٣) وقيل في جمادى الآخرة (٤)، في سنة تســـع وعشرين وسبعمئـــة.

نسبه ولقبـــه :

أما لقبـــه (الفيروزآبادي) فنسبة إلى (فيروزآباد) (٥) وهي بلدة في بـــلاد فارس قرب (شيراز) كان اسمها (جُور) فغيرها عضد الدولة.

وأما الشيرازي فنسبة إلى (شيراز) فلعـــل ولادته كانت فيهـــا، أو لأنـــه انتسب إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) صاحب التنبيه والمهذب، والـــذي كان من فيروزآباد، وطلب العلم في شيراز إلى أن استقر به المقام ببغداد، أو لأنـــه تلقى العلم في شيراز في بداية امره ـ كما سيأتي ـ أو لأن أباه كان أحد علمائها.

نشأتـــه :

نشأ الفيروزآبادي محباً للعلم وطلب المعرفة، يتجلى ذلك واضحاً حين حفـــظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وجوّد الخط ومارس كتابة الكتب على نحو ما كان يفعـــل الوراقون في ذلك العصر، فنقل وهو في مسقط رأسه كتابين من كتب اللغة وهو فيمـــا دون الثامنة، ويبدو أن ذلك كان بتوجيه من والـــده.

---

(١) القاموس المحيط مادة (كرز). (٢) ينظر: البلغة ٥م.
(٣) الضوء اللامع ١٠/ ٧٩، أزهار الرياض ٣/ ٤٠، شذرات الذهب ٧/ ١٢٦.
(٤) الضوء اللامـــع ١٠/ ٧٩.
(٥) معجم البلدان ٤/ ٢٨٣.

ولم يصل إلينا شيء من أخبار أسرته سوى أن أباه كان من علماء اللغة والأدب في شيراز.

رحلاته :

من خلال كتب التراجم تبيّن لنا أن رحلاته كانت كثيرة ومتعددة [١] . لأنه بعد ولادته بـ(كارزين) ونشأته فيها انتقل إلى شيراز، ثم انتقل إلى العراق فدخل واسط وبغداد يأخذ عن قاضيها وغيره. ثم قدم القاهرة وأخذ عن علمائها . وجال في البلاد الشرقية والشامية (مصر والشام) ودخل بلاد الروم والهند ولقي جمعا من الفضلاء، وحمل عنهم شيئاً كثيراً، ثم دخل زبيد في (اليمن) سنة (٧٩٦هـ) فتلقاه الأشرف إسماعيل، وبالغ في اكرامه واستمر في كنفه على نشر العلم، وكثر الانتفاع به . وأضيف إليه قضاء اليمن كله وقرأ عليه السلطان . واستمر بـ (زبيد) مدة عشرين سنة وهي بقية أيام الأشرف ثم ولده الناصر. وقد قدم في خلال هذه المدة مكة مراراً وجاور بالمدينة والطائف وبالغ في تعظيمه شاه منصور بن شجاع صاحب تبريز، والأشرف صاحب مصر، والسلطان بايزيد بن عثمان وابن أويس صاحب بغداد، وتيمورلنك وغيرهم واقتنى كتبا كثيرة.

شيوخه :

بيد و أن الفيروزآبادي كان أول ما تتلمذ على يد والده الذي أخذ عنه اللغة والأدب ـ كما أشرنا إلى ذلك سابقاـ وسمع من القوام عبد الله بن محمود بن النجم وغيرهما من علماء شيراز [٢] . وسمع فيها أيضا من محمد بن يوسف الأنصاري الزرندي (ت ٧٤٧هـ) المدني صحيح البخاري وجامع الترمذي [٣] .

ومن شيوخه أيضاً [٤] : السراج عمر بن علي القزويني (ت٧٤٩هـ)، ونور الدين القسطلاني (ت ٧٥٤هـ)، وابن الخباز (ت ٧٥٦هـ) ، وتقي الدين السُّبكي (ت ٧٥٦هـ) ،

---

(١) ينظر: معجم المؤلفين ١٢/١١٨ . (٢) الضوء اللامع ١٠/٧٩ .
(٣) انباء الغمر ٧/١٦٠ .
(٤) ينظر: الفيروزآبادي ومنهجه في التصوف ٢٧ـ ٣٢ .

وأحمد بن مطر النابلسي (٧٥٨هـ) ، وأحمد بن محمد الجزائري (ت ٧٦٠هـ) ، وخليل المالكي (ت ٧٦٠هـ)، وصلاح الدين العلائي (ت ٧٦١هـ)، وابن القيم (ت٧٦١هـ)، وابن هشام النحوي (ت ٧٦١هـ) ، والخارقي (ت ٧٦٢هـ) ، وناصر الدين التونسي (ت٧٦٣هـ)، والصلاح الصفدي(ت ٧٦٤هـ) ، والقلانسي (ت ٧٦٥هـ)، والبهائي (ت٧٦٦هـ)، والعز بن جماعة (ت ٧٦٧هـ)، ومحمد بن العاقولي (ت ٧٦٧هـ)، وابن نباتة (ت ٧٦٨ هـ) ، والشبلي (ت ٧٦٩هـ)، والبهاء ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) ،وتاج الدين بن تقي الدين السُّبكي (ت ٧٧١هـ) ، وجمال الدين الأسنوي (ت ٧٧٢هـ)، والتقي القلقشندي (ت ٧٧٨هـ) ، وأحمد بن عبد الرحمن المرداوي (ت ٧٨٧هـ) .

تلاميذه :

كما تتلمذ الفيروزآبادي على يد كثير من المشايخ الذين سمع منهم في معظم الامصار، تتلمذ على يده كثير من العلماء الأجلاء منهم [١] :جمال الدين ابن ظهيرة (ت ٨١٧هـ) ، وابن الكرماني (ت ٨٣٣هـ)، والتقي الفاسي (ت ٨٣٥هـ) وابن هشام الأنصاري (ت ٨٣٥هـ) ، وابن الخياط (ت ٨٣٩هـ)، والمرشدي (ت ٨٣٩هـ)، والمقريزي (ت ٨٤٥هـ)، وابن حجر(ت ٨٥٢هـ)، وذكر صاحب كتاب (أزهار الرياض) ترجمة ثالثة للفيروزآبادي من كتاب (انباء الغمر) قال فيه : ((وبعد ان كتبت هذه الترجمة ، وقفت على كلام تلميذه الإمام ابن حجر في(إنباء الغمر بأبناء العُمر) فأوردته هنا، وإن كان مخالفا في بعض المواقع لما قدمته إذ لا يخلو من فائدة)) [٢] . ومن تلاميذه كمالية بنت أحمد (ت ٨٦٥هـ)، وابن فهد (ت ٨٧١هـ)، وصفية بنت ياقوت (ت ٨٧٢هـ)، وآسيا بنت جار الله (ت ٨٧٣هـ) ، ورقية بنت عبد القوي (ت ٨٧٤هـ) ، وهاجر بنت محمد (ت ٨٧٥هـ).

وفاته :

ذكرت المصادر التي ترجمت للفيروزآبادي أنه توفي ـ رحمة الله تعالى عليه ـ بعد أن ناهز التسعين ممتعا بحواسه بـ (زبيد) في بلاد اليمن في ليلة الثلاثاء في العشرين من شوال [٣] .

---

(١) ينظر: الفيروزآبادي ومنهجه في التصوف ٣٣ـ٣٦.
(٢) أزهار الرياض ٣/٤٨.
(٣) ينظر: إنباء الغمر ٧/١٦٣، ذيل الدرر الكامنة ٢٤٠، الدليل الشافي ٢/٧١٣، الضوء اللامع ١٠/٨٦، بغية الوعاة ١/٢٧٤، الشقائق النعمانية ١/٣٣، مفتاح

واختلف في سنة وفاته ، فقيل : إنها سنة تسع عشرة وثمانمئة [١] . وقيل : سنة سبع عشرة وثمانمئة [٢] . وقيل : سنة ست عشرة وثمانمئة [٣] .

والراجح عندي أنه توفي سنة سبع عشرة وثمانمئة بناءً على ما ذكره ابن حجر العسقلاني ضمن (وفيات سنة ٨١٧هـ) [٤] ، وما ذكره ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) في جملة أحداث سنة (سبع عشرة وثمانمئة) [٥] .

وكان يرجو وفاته بمكة المشرفة، فما قدَّر الله له ذلك ، بل توفي بـ (زبيد) في بلاد اليمن [٦] . ودفن بتربة الشيخ إسماعيل الجبرتي [٧] .

آراء العلماء فيه ومكانته العلمية :

قال في الفيروزآبادي جملة من العلماء أقوالاً حسنة تبيّن من خلالها آراءهم فيه ومقدرته العلمية ومكانته الأدبية .

قال ابن حجر العسقلاني : ((وكان أولاً ابتدأ بكتاب كبير في اللغة سماه " اللامع والمعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب" وكان يقول : لو كمل لكان مئة مجلد ، وذكر عنه الشيخ برهان الدين الحلبي أنه تتبع أوهام المجمل لابن فارس في ألف موضع ، وكان مع ذلك يعظم ابن فارس ويثني عليه ، ..)) [٨] .

السعادة ١/١٢٣، ازهار الرياض ٣/٥٢، شذرات الذهب ٧/١٣١، البدر الطالع ٢/٢٨٤، معجم المطبوعات المعربة ٢/١٤٧٠، الأعلام ٧/١٤٦، معجم المؤلفين ١٢/١١٨.

(١) الدليل الشافي ٢/٧١٣.

(٢) الضوء اللامع ١٠/٨٦، بغية الوعاة ١/٢٧٤، الشقائق النعمانية ١/٣٣، مفتاح السعادة ١/١٢٣، أزهار الرياض ٣/٤٧، شذرات الذهب ٧/١٢٦ ، البدر الطالع ٢/٢٨٤.

(٣) بغية الوعاة ١/٢٧٤، مفتاح السعادة ١/١٢٣، معجم المطبوعات ٢/١٤٧٠.

(٤) ينظر: إنباء الغمر ٧/١٥٩.

(٥) ينظر: شذرات الذهب ٧/١٢٦، وينظر: هدية العارفين ٦/١٨٠.

(٦) أزهار الرياض ٣/٤٧.

(٧) الشقائق النعمانية ١/٣٣، مفتاح السعادة ١/١٢٣، معجم المطبوعات المعربة ٢/١٤٧٠.

(٨) إنباء الغمر ٧/١٦٠-١٦١.

وقال ابن حجر أيضا :((وأما معرفته باللغة واطلاعه على نوادرها فأمر مستفيض، وكان تفقه ببلاده ، وطلب الحديث ، وحصّل الشيوخ ، ومهر في اللغة وهو شاب)) (١) .

وقال محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ناقلاً عن التقي الكرماني (ت ٨٤٦ هـ) قوله :((كان عديم النظير في زمانه نظماً ونثراً بالفارسي والعربي، جاب البلاد ، وسار إلى الجبال والوهاد ، ورحل وأطال النجعة، واجتمع بمشايخ كثيرة عزيزة ، وعظم بالبلاد ...)) (٢) .

وقال السخاوي ناقلاً عن التقي الفاسي (ت ٨٣٥هـ) : ((وكانت له بالحديث عناية غير قوية، وكذا بالفقه ، وله تحصيل في فنون من العلم، ولا سيما اللغة فله فيها اليد الطولى وألف فيها تواليف حسنة منها (القاموس) ولا نظير له في كتب اللغة لكثرة ما حواه من الزيادات على الكتب المعتمدة كالصحاح ...)) (٣) .

وقال طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) : ((... ثم جال البلاد شرقاً وغرباً، وأخذ عن علمائها، حتى برع في العلوم كلها ، ولا سيما الحديث والتفسير والفقه)) (٤) .

وقال زاده أيضا :((.. العلامة مجد الدين أبو الطاهر إمام عصره في اللغة)) (٥)

وقال احمد بن محمد المقّري (ت ١٠٤١هـ): ((وكان سريع الحفظ ، وكان يقول : لا أنام حتى أحفظ مئتي سطر ، وكان كثير العلم والاطلاع على المعارف العجيبة وبالجملة كان آية في الحفظ والاطلاع والتصنيف)) (٦) .

وقال المقري أيضا : ((وقد أكثر المجاورة بالحرمين الشريفين ، وحصل دنيا طائلة . وكتباً نفيسة، لكنه كان كثير التبذير، وكان لا يسافر إلا وصحبته عدة أحمال من الكتب ويُخرج اكثرها في كل منزل، ينظر فيها، ويعيدها إذا رحل، وكان إذا أطلق باعها)) (٧) .

---

(١) ذيل الدرر الكامنة ٢٣٨.
(٢) الضوء اللامع ١٠/ ٨٣.
(٣) الضوء اللامع ١٠/ ٨٤.
(٤) الشقائق النعمانية ١/ ٣٢، وينظر: ازهار الرياض ٣/ ٣٩.
(٥) مفتاح السعادة ١/ ١١٩ـ ١٣٠. (٦) ازهار الرياض ٣/ ٣٩.
(٧) ازهار الرياض ٣/ ٥٠.

وقال ابن العماد الحنبلي ناقلاً عن التقي الفاسي : ((وله شعر كثير ونثر أعلى ، وكان كثير الاستحضار مستحسنات الشعر والحكايات وله خط جيد مع السرعة وكان كثير الحفظ حتى قال : ما كنت أنام حتى أحفظ مئتي سطر ..)) (١) .

وزاد محمد بن علي الشوكاني ،(ت ١٢٥٠هـ) نقلاً عن التقي الكرماني ـ المتقدم ذكره ـ قوله :((وكان كثيرالاقتداء بالصغاني ماشيا على طريقته تابعا لمنهجه حتى في كثرة المجاورة)) (٢) .

وأخيراً قال فيه خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦) :((مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي : من أئمة اللغة والأدب ... وانتشر اسمه في الأفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير ..)) (٣) .

وعدّه أحمد نصيف الجنابي أشهر من ختم به القرن الثامن الهجري من علماء اللغة (٤) .

آثاره :

خلّف لنا الفيروزآبادي آثاراً كثيرة ،وترك لنا تراثاً ضخماً كشف عن مقدرته وتمكنه في مختلف العلوم وأنواع المعرفة من نحو ولغة وتفسير وتاريخ وفلسفة وفقه وحديث .

وها نحن نستعرض آثاره بحَسب ما ذكرته كتب التراجم (٥) والمصادر الأخرى (٦) مرتبة ترتيبا هجائيا ، مشيرة إلى المطبوع منها :

---

(١) شذرات الذهب ٧ / ١٣٠ . وينظر: أزهار الرياض ٣/ ٤٦.
(٢) البدر الطالع ٢/ ٢٨٣. (٣) الأعلام ٧/ ١٤٦.
(٤) ينظر: ملامح من تاريخ العربية ٢٥٤ـ٢٥٥.
(٥) ينظر: إنباء الغمر ٧ / ١٦٢، ذيل الدرر الكامنة ٢٣٩، الضوء اللامع ١٠/ ٨١ـ٨٣ بغية الوعاة ١ / ٢٧٤، مفتاح السعادة ١ / ١٢١ـ١٢٣، أزهار الرياض ٣/ ٤٢ـ٤٥، وكشف الظنون ١/ في اكثر من موضع ، شذرات الذهب ٧/ ١٢٧ـ١٢٨، البدر الطالع ٢/ ٢٨١ـ٢٨٣، ايضاح المكنون ٣/ في أكثر من موضع، هدية العارفين ٦/ ١٨٠ـ١٨١.
(٦) ينظر: تاريخ الأدب العربي : بروكلمان ٢١/ ٢٣٣ـ٢٣٤، الأعلام ٧/ ١٤٦، معجم المطبوعات العربية ٢/ ١٤٧٠ـ١٤٧١، معجم المؤلفين ١٢/ ١١٨ وما بعدها ، ذخائر التراث العربي الإسلامي ٢/ ٧٤٦ـ٧٤٨، البصائر ١/ ٢٢ـ٢٥.

١ــ اثارة الحَجون [١] لزيارة الحجون .
٢ــ الأحاديث الضعيفة .
٣ــ أحاسن اللطائف في محاسن الطائف .
٤ــ أرجوزة أو (كراسة) في مصطلح علم الحديث .
٥ــ الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد .
٦ــ أسماء الحمد .
٧ــ أسماء السَّراج في أسماء النكاح .
٨ــ أسماء الفادة في أسماء العادة . محقق في مجلة المورد .
٩ــ الإشارات إلى ما في كتب الفقه من الأسماء والأماكن واللغات .
١٠ــ الاغتباط بمعالجة ابن الخياط في أجوبة مسائل سئل عنها الشيخ محيي الدين ابن عربي .
١١ــ الألطاف الخفية في أشراف الحنفية .
١٢ــ امتضاض السهاد في افتراض الجهاد .
١٣ــ أنواء الغيث في أسماء الليث .
١٤ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : حقَّق الأجزاء الخمسة الأولى : محمد علي النجار، الجزء السادس، تحـ: الاستاذ عبد العليم الطحاوي ، القاهرة ١٩٦٤م ــ ١٩٧٣م .
١٥ــ بغية الرشاف من خطبة الكشاف .
١٦ــ بلاغ الطلقين في غرائب اللغتين .
١٧ــ البلغة في تراجم أئمة النحاة واللغة . طبع مرتين الطبعة الأولى بعنوان (البلغة في تاريخ أئمة اللغة) تحـ: محمد المصري . دمشق ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م . عدل عنها المحقق في الطبعة الثانية وأثبت العنوان المذكور سنة ١٩٨٧م .
١٨ــ تاريخ مرو .

---

(١) ورد في شذرات الذهب (إثارة الشجون)، الحَجون الأولى بفتح الحاء : الكسول . والثانية : جبل بأعلى مكة المكرمة .

١٩ـ تثقيف الأسل [١] في تفضيل العسل .

٢٠ـ التجاريح في فوائد متعلقة بأحاديث المصابيح .

٢١ـ تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين . تتبع فيه أوهام ابن فارس في (المجمل) في ألف موضع . الجزائر ١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩م .

٢٢ـ تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه . طبع مرتين .

ط١ تح: عبد السلام هارون ، القاهرة /١٩٥١م.

ط٢ تح: عبد السلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة/ ١٩٧٣م.

٢٣ـ تحفة الراغبين في شرح قصيدة البردة .

٢٤ـ تحفة القماعيل فيمن يسمى من الملائكة والناس إسماعيل .

٢٥ـ ترقيق الأسل في تصفيق [٢] العسل .

٢٦ـ تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول .

٢٧ـ تعيين الغرفات للمعين على عين عرفات.

٢٨ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . طبع أكثر من مرة منها :

مطبعة بولاق ـ القاهرة /١٢٩٠هـ.

مطبعة الأزهرية ـ القاهرة /١٣١٦ هـ .

نشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني / ١٣٩٠هـ .

٢٩ـ تيسير فاتحة الإياب في تفسير فاتحة الكتاب .

٣٠ـ الجليس الأنيس في أسماء الخندريس .

٣١ـ حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الاخلاص .

٣٢ـ الدرر المبثثة في الغرر المثلثة .تح: د . علي حسين البواب ـ السعودية/ ١٩٨١م.

٣٣ـ الدر الغالي في الأحاديث العوالي .

---

(١) ورد في هدية العارفين (تثبيت الأسل) ٦/١٨١.

(٢) ورد في شذرات الذهب (تضعيف العسل) ٧/١٣٨.
وورد في هدية العارفين (تفضيل العسل) ٦/١٨١.

٣٤- الدر النظيم المرشد إلى مقاصد [١] القرآن العظيم.
٣٥- رسالة في الانتصار لصاحب الفتوحات المكية (ابن عربي).
٣٦- رسالة في بيان ما لم يثبت فيه صحيح حديث من الأبواب.
٣٧- رسالة في حكم القناديل النبوية.
٣٨- الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف.
٣٩- روضة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر.
٤٠- سفر السعادة (في الحديث والسيرة النبوية) بهامش الفوز الكبير مع فتح الخبير في أصول التفسير لولي الدين بن عبد الرحيم) القاهرة /١٣٠٧-١٣٤٦هـ.
٤١- شرح الفاتحة.
٤٢- شرح قصيدة بانت سعاد.
٤٣- شرح قطبة الخشاف في شرح خطبة الكشاف للزمخشري.
٤٤- شوارق الأسرار [٢] في شرح مشارق الأنوار النبوية للصغاني.
٤٥- الصَّلات والبُشر في الصلاة على خير البشر. تحـ: نور الدين عدنان الجزائري وعبد القادر الخياري، ومحمد مطيع الحافظ، دمشق /١٩٦٩م.
٤٦- فوائد الفيروزآبادي.

٤٧- عمدة الحكام في شرح عمدة الأحكام لعبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي (ت٦٠٠هـ).
٤٨- فتاوى في الشيخ محيي الدين بن العربي.
٤٩- فتح الباري بالشيح [٣] الفسيح المجارى في شرح صحيح البخاري.
٥٠- فضل الدرة من الخرزة في فضل السلامة على الخِبزة [٤].
٥١- الفضل الوفي في العدل الأشرفي.
٥٢- القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من لغة العرب، شماطيط [٥].

---

(١) ورد في شذرات الذهب (فضائل القرآن) ينظر: ٧/١٢٧.
(٢) ورد في الضوء اللامع ١٠/٨١، شذرات الذهب ٧/١٢٧، البدر الطالع ٢/٢٨٢، (الأسرار العلية).
(٣) ورد في شذرات الذهب (بالسيل الفسيح) ينظر: ٧/١٢٨.
(٤) السلامة والخِبزة: قريتان بوادي الطائف.
(٥) طبع أكثر من مرة:

٥٣ـ قطبة الخشاف لحل خطبة الكشاف للزمخشري .
٥٤ـ اللامع المعلم العُجاب الجامع بين المحكم والعباب وزيادات امتلأ بها الوطاب واعتلى منها الخطاب .
٥٥ـ المتفق وضعا والمختلف صنعا .
٥٦ـ المثلث الصغير .
٥٧ـ المثلث الكبير .
٥٨ـ المثلث المختلف المعنى . تحـ: عبد الجليل التميمي . بغداد ، ١٩٨٢ م
٥٩ـ مجمع السؤالات من صحاح الجوهري .
٦٠ـ المرقاة الأرفعية في طبقات الشافعية .
٦١ـ المرقاة الوفية في طبقات الحنفية .
٦٢ـ مزاد المزاد ، وزاد المعاد في وزن بانت سعاد .
٦٣ـ المغانم المطابة في معالم طابة . (قسم المواضع) تحـ: حمد الجاسر ـ دار اليمامة ـ الرياض /١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .
٦٤ـ مقصود ذوي الألباب في علم الإعراب .
٦٥ـ منية السول في دعوات الرسول .
٦٦ـ مهيج (١) الغرام إلى البلد الحرام .
٦٧ـ النخب الطرائف في النكت الشرائف .
٦٨ـ نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان .
٦٩ـ نزهة الطالبين .
٧٠ـ النفحة العنبرية في مولد خير البرية .

ـ طبعة كلكتة سنة ١٢٣٢هـ . في مجلدين .
ـ طبعة بولاق الأولى سنة ١٢٧٢هـ في أربع مجلدات .
ـ طبعة بولاق الثانية من سنة ١٣٠١هـ ـ ١٣٠٣هـ .
ـ طبعة المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٩ هـ . في أربع مجلدات .
ـ طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٥٢م . في مجلدين .
ـ طبعة بيروت / دار الفكر (د . ت) .

(١) ورد في شذرات الذهب (تهيج الغرام) ينظر: ٧/ ١٣٨ .

٧١ـ الوجيز في لطائف الكتاب العزيز [١] .

٧٢ـ الوصل والمنى في فضل مِنى .

---

(١) ذكره السيوطي في بغية الوعاة ١ / ٢٧٤ . ولعله كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الآنف الذكر . وقد يكون (البصائر) مؤلفا على الوجيز فيما يبدو .

* تأليف البصائر وعنوانه :

وانا إذ ادرس المباحث اللغوية والنحوية في (البصائر) لابد لي من الوقوف على سبب تأليف البصائر وبيان مصطلحات العنوان ليكون هذا التمهيد مكملا لما سبق . ونحاول بذلك أن تكتمل الصورة حول مؤلف الكتاب ، والكتاب نفسه ولو بشيء من الايجاز .

سبب تأليف البصائر :

أشار السلطان الأشرف اسماعيل بن العباس على الفيروزآبادي حين دعاه الى حضرته بـ (زبيد) في اليمن ، وولاه قضاء الأقضية، بتأليف كتاب جامع لمقاصد العلوم والمعارف في عصره ، وفي هذا يقول الفيروزآبادي في مقدمة (بصائره) ما نصّه :((وبعد ، فهذا كتاب جليل ، ومصنف حفيل ، ايتمرت بتأليفه الأوامر الشريفة ، العالية المولية الامامية السلطانية العلامية الهمامية الصمصامية الأعدلية الأفضلية السعيدية الأجلية الملكية الأشرفية، محمد الدنيا والدّين خليفة الله في العالمين ، أبو العباس إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول . جدّد الله سلطانه وأنار في الخافقين برهانه . قصد بذلك نصره الله جمع اشتات العلوم ، وضمّ أنواعها ، على تباين اصنافها ـ في كتاب مفرد تسهيلاً لمن رام تسرح النظر في أزاهير أفنان الفنون ، وتيسيراً لمن أراد لاستمتاع برائع ازهارها ويانع ثمارها الغض المصون ، وإعانةً لمن قصد انواع فرائدها اللاتي كأنهن بيضٌ مكنون . فيستغني الحائز (الفائز) به عن حمل الأسفار في الاسفار حيث يجتمع له خزائن العلوم في سفرٍ مخزون . ومجموعةٍ تحلّى من أغاريد سجعاتها القلب المحزون ويمتلىء من اطراف اطيابها الطبع الموروث)) (١) .

وذكر محقق البصائر ان السلطان الأشرف كان ((مضطلعا بالعلوم ، كما وصفه من عاصره ، وكان يبعث العلماء على التصنيف)) (٢) .

وقد يضع منهج الكتاب وخطته ، ويكل إتمامه الى بعض العلماء، ويذكر السخاوي في الضوء اللامع في ترجمته ((انه كان يضع وضعا . ويحدّ حداً ، ثم يأتي من يتمه على ذلك الوضع ويعرضه عليه ، فما ارتضاه أثبته ، ومن شذّ عن مقصوده حذفه ، وما وجده ناقصا اتمه)) (٣) .

وبعد ذكر الفيروزآبادي للخطبة ـ المتقدم ذكرها ـ ذكر أن الكتاب مرتب على مقدمة وستين مقصدا . والمقاصد الستون في علوم العصر المختلفة ، كل مقصد في علم منها . ويسرد في الخطبة عنوانات المقاصد ليكون ذلك فهرسا إجمالياً للكتاب ، فالمقصد الاول في

---

(١) البصائر ١/ ٣٤ـ٣٥ . (٢) البصائر ١/ ٢٦ .
(٣) نقلا عن مقدمة البصائر ١/ ٢٦ .

لطائف تفسير القرآن ، والثاني في علم الحديث النبوي • وهكذا يستمر في السرد • وسأتي على تفصيل ذلك في الفصل القادم لبيان الاطار العام للبصائر وبيان منهج الكتاب •

مصطلحات العنوان :

يجدر بنا ونحن بصدد بيان المباحث اللغوية والنحوية في كتاب (البصائر) ان نقف على عنوان الكتاب الذي اشتمل على مصطلحات نرى أنها ذات أثر واضح في الدلالة على مادة الكتاب• لوأخذنا بنظر الاعتبار منهجية البحث التي تعمل على تقويم دلالات الألفاظ، لكونها الدلالات التي أراد ها الفيروزآبادي على وجه الدقة، وهي تعتمد في ذلك على كلامه في كتابه بوساطة تتبع المواطن التي تناول فيها مواده اللغوية الخاصة بمصطلحات العنوان سواء أكانت متناثرة هنا وهناك أم كانت مجموعة •

وهذه المصطلحات هي :

البصائر :

أشار الفيروزآبادي الى المعنى اللغوي لكلمة بصيرة بقوله : ((والبصيرة : قطعة من الدم تلمع • والترس اللامع ، وما بين شقّتي الثوب، والمزادة، ونحوها التي تبصر منه ، والبصرة : حجارة رخوة تلمع كأنها تُبصر)) (١) • وكان ذلك في سياق فقرة خاصة وضعها تحت عنوان (بصيرة في البصيرة) • ذكر فيها أول ما ذكر الدلالة الاصطلاحية لكلمة (بصيرة) وكأنه ههنا عمد الى توضيح مصطلح (بصيرة) الذى أدخله في جملة كلامه على المقصد الاول من مقاصد كتابه الذي لم يكمل منه الا هذا المقصد الأمر الذي ظهر فيما بعد في عنوان الكتاب : (بصائر ذوي التمييز • • •) •

لقد عرّف الفيروزآبادي البصيرة بقوله :((وهي قوة القلب المدركة ويقال لها : بَصَرٌ ايضا، قال تعالى ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (سورة النجم ١٧) وجمع البصر أبصار، وجمع البصيرة بصائر، ولا يكاد يقال للجارحة الناظرة بصيرة ، انما هي بَصَرٌ نحو ﴿ كَلَمْحِ بِٱلْبَصَرِ ﴾ (سورة القمر ٥٠) • ويقال للقوة التي فيها ايضا : بَصَرٌ• ويقال منه : أبصرتُ ومن الاول : أبصرته •وبصرت به • وقلّما يقال في الحاسة اذا لم تضامّه رؤية القلب: بَصُرتُ • ومنه

---

(١) البصائر ٢/ ٢٢٤•

﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ (يوسف ١٠٨) أي : على معرفة وتحقق . وقوله : ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ (القيامة ١٤) أي على جوارحه بصيرة)) [١] .

ثم قال : ((وتأنيث البصيرة لأن المراد بالانسان هنا جوارحه ، وقيل : الهاء للمبالغة كعلامة، وراوية،والضرير يقال له : البصير، على سبيل العكس والصواب أنه قيل له ذلك من قوة بصيرة القلب))[٢] .

ونقل الفيروزآبادي في تفسير الآية : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ (الانعام ١٠٣) . ((وقيل : في ذلك إشارة الى ذلك (يعني : الجارحة)، والى الاذهان والأفهام)) [٣] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ ﴾ (القصص ٤٣)((آية جعلناها عبرة لهم)) [٤] وفي قوله : ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ (العنكبوت ٣٨) ((أي طالبين للبصيرة)) [٥] . وفي قوله : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ ﴾ (سورة ق ٨) . قال : ((أي تبصيراً وتبييناً يقال : بصّرته تبصيراً ، وتبصرة ، نحو ذكّرته تذكيراً وتذكرة)) [٦] .

فالبصيرة هي تلك المقدرة العقلية التي يتمتع بها الأنسان ، ويتم له من خلالها إدراك الاشياء وفهمها على نحو يبرز تلك المقدرة حيويّة . ولهذا يكون محل ظهورها بصورة فعّالة في المناظرة ومواضع الجدل وتضارب الاراء، يقول الفيروزآبادي : ((والمناظرة : المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته))[٧] .

والبصيرة ايضا الآلة التي تدرك بها الانوار الالهية كنور العقل ونور القرآن ، وكان الفيروزآبادي قد ذكر ذلك في (بصيرة في نور) إذ رأى النور ضربين دنيويًّا وأُخرويًّا : ((فالدنيوي ضربان : معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأنوار الالهية كنور العقل ونور القرآن ومحسوس بعين البصر وهو ما انتشر من الاجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات ...))[٨] .

---

(١) البصائر ٢/ ٢٢٢ .
(٢) البصائر ٢/ ٢٢٣ .
(٣) البصائر ٢/ ٢٢٣ .
(٤) البصائر ٢/ ٢٢٣ .
(٥) البصائر ٢/ ٢٢٣ .
(٦) البصائر ٢/ ٢٢٣ .
(٧) البصائر ٥/ ٨٤ .
(٨) البصائر ٥/ ١٣٣ .

وتعددت وقفات اللغويين حول مصطلح (البصيرة) فهذا الخليل بن احمد الفراهيدي(ت ١٧٥هـ) يقول : ((والبصيرة : اسم لما أعتقد في القلب من الدين وحقيق الأمر... ويقال للفراسة الصادقة : فراسة ذات بصيرة . والبصيرة : العبرة . يقال : أمالك بصيرة في هذا ؟ أي عبرة تعتبر بها . وأنشد :

في الذاهبين الأولينَ مِنَ القرونِ لنا بَصَائِر

أي عبر . وبصائر الدماء : طرائقها في الجسد ...))(١) .

وأما أبو بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ) فيقول : ((والبصيرة الحجة والاستبصار في الشيء وقوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ (القيامة ١٤) قال الأخفش جعله هو(البصيرة) كما تقول للرجل : أنت حجة على نفسك))(٢) .

ووافق الفيروزآبادي من سبقه من اللغويين وزاد عليهم ، اذ يقول في القاموس المحيط : ((... وبالهاء (يعني : البصيرة) عقيدة القلب والغطنة وما بين شُقَّتي البيت والحُجّة... والعبرة يعتبر بها،والشهيد ، ولمحٌ باصر : ذو بصرٍ وتحديق ...))(٣) .

وكان الفيروزآبادي قد عمد الى مغايرة لون الخط الذي تكتب به كلمة(بصيرة) فقد كان يكتبها بالحُمرة تمييزا لها عن غيرها بوضعها محل العناية اذ قال :((وجعلت أول كلمة بالحُمرة (بصيرة) اقتباسا من قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ﴾ (الجاثية ٢٠) . وقوله : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ (الانعام ١٠٤) وقوله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ (يوسف ١٠٨))(٤) .

التمييز:

قال الفيروزآبادي في بيان دلالة التمييز لغةً : ((التَمْيز مصدر قولك مِزْتُ الشيء أميزه مَيْزا : عزلته وفرزته ، قال الله تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ (الأنفال ٣٧) . ابن الأعرابي : ماز الرجلُ :انتقل من مكان الى مكان وأنشد الليث لحسان بن ثابت رضي الله عنه :

من جوهرٍ مِيزَ في مَعادَتِه متفضّلٌ باللجين والذَهَبِ

---

(١) العين مادة (بصر) . (٢) مختار الصحاح مادة (ب ص ر).
(٣) القاموس المحيط مادة (البصر).
(٤) البصائر ٥٦/١ .

وأماز الشيء مازه ، ومنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه : ﴿ لِيُمِيزَ ٱللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ بضم الأولى وسكون الثانية . وميّز الشيء من الشيء : مثل مازهُ منه وامازه . وانماز الشيء : انفعل من مِزْته . وامتاز أي انفصل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱمْتَازُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا المُجْرِمُونَ ﴾ (سورة يس ٥٩) . قال ابن عرفة : اي كونوا فرقة فرقة الى النار . وتميّز : تقطع . ومنه قوله تعالى ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ (سورة الملك ٨) . أي تتقطّع من غيظها . واستماز : تنحى)) (١) . ومثل ذلك في القاموس في قوله : ((واستماز الشيء فضّل بعضه على بعض ...)) (٢) التي تبرز فيها ناحية الاختيار التي تقوم بالفضل بين الاشياء التي اشارت اليه الدلالات السابقة .

وعلى ما يبدو أن المعنى الأخير كان الموضع الذي تطور الى الدلالة في الاصطلاح العرفي الخاص اذ قال :((والتمييز في العرف : القوة التي في الدماغ ، وبها يستنبط المعاني)) (٣) .

وعلى ذلك يكون معنى قوله (ذ وي التمييز) الواردة في العنوان اصحاب القدرة على استنباط المعاني الدقيقة التي يشتمل عليها النص وفصله المعاني المتشابكة التي وردت المورد نفسه . وهم أصحاب العقول المتأملة و أهل الدراية والعلم والمعرفة .

وكان صاحب العين قد اشار الى الدلالة اللغوية نفسها التي ذكرها الفيروزآبادي اذ معنى ميز لديه هو ((التمييز بين الاشياء تقول : مِزْتُ الشيء أميزُه مَيْزاً وقد انماز بعضه عن بعض ، وميّزته . وامتاز القوم : تنحى بعضهم عن بعض ...)) (٤) .

اللطائف:

عقد الفيروزآبادي بصيرة في (لطف ولظى ولعب ولغى) قال في اللطف لغة : ((اللطف في الاجسام : الدقة والصغر . لَطُف يلطف لُطفاً ولطافة : دقّ وصَغُرَ))(٥) وكان قد ذكر في القاموس ان (لطف) على صيغتين بالتحريك وبالضم اذ قال : ((لَطَفَ كنَصَرَ لُطفاً بالضم رَفَقَ ودنا والله لك : أوصل اليك مرادك بلُطف وك (كَرُم) لُطفا ولطافة صَغُرَ ودَقَّ فهو لطيف)) (٦) .

---

(١) البصائر ٤/٥٤٠ .
(٢) القاموس المحيط مادة (مازَهُ) .
(٣) البصائر ٤/٥٤٠ .
(٤) العين مادة (ميز) .
(٥) البصائر ٤/٤٣٠ .
(٦) القاموس المحيط مادة (لَطَف) .

أما في الاصطلاح فقد ذكر ان اللطف ((في المعاني تارة يستعمل بمعنى الحركة الخفيفة ، وتارة بمعنى الرفق)) (١) .

والذي يعنينا من الصيغتين هي (لَطُف) بالضم اذ اللطيف من الكلام ما غَمُض معناه وخَفِي (٢) . ومثل ذلك في القاموس (٣) . واللطيف من اسماء الله تعالى هو الرفيق بعباده (٤) . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ (يوسف ١٠٠) ((أي حسن الاستخراج ، تنبيهاً على ما أوصل اليه يوسف حيث القاه إخوته في الجب . وقد يعبّر باللطيف عمّا يتعسّر على الحاسة إدراكه . والملاطفة : المُبارَأة . والتلطُّف في الأمر : الرفق له)) (٥) .

وعلى ذلك يكون معنى (اللطائف) جمع لطيفة التي يراد بها مواضع الدقة والخفاء في القرآن الكريم التي ستكون محل الاهتمام ولاجلها أُخرج هذا الكتاب .

وقال ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ) في تفسيره لكلمة (اللطيف): ((الذي اجتمع له الرّفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها الى من قدّرها له من خلقه ... واللطيف من الاجرام والكلام ما لا خفاء فيه وقد لَطُف لَطافة بالضم أي صَغُر فهو لطيف ... واللطيف من الكلام ما غَمُض معناه وخفِي واللطف في العمل الرفق فيه ولَطُف الشيء يلطف صغر ...))(٦) .

ونلمح هذا المعنى في اثناء البصائر فمّما ورد في (بصيرة في التذكر) قوله : ((فإن قيل : فما موقع (أو) من قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ (سورة ق ٣٧) قيل : فيها سر لطيف . ولسنا نقول : انها بمعنى الواو كما يقول ظاهرية النحاة . فاعلم ان الرجل قد يكون له قلب يوقعه على التذكر والاعتبار . فاذا سمع الآيات كانت له نوراً على نور . وهؤلاء اكمل خلق الله تعالى ، واعظمهم ايماناً ، وبصيرة، حتى كأنّ الذي اخبرهم به الرسول قد كان مشاهداً لهم، لكن لم يشعروا بتفاصيله وانواعه ...)) (٧) .

---

(١) البصائر ٤/٤٣٠ .
(٢) ينظر: البصائر ٤/٤٣٠ .
(٣) ينظر: القاموس المحيط مادة (لَطَف) . (٤) البصائر ٤/٤٣٠ .
(٥) البصائر ٤/٤٣٠ .
(٦) عن لسان العرب مادة (لطف) .
(٧) البصائر ٢/٣٢١ .

وكذلك قوله في (بصيرة في التبتل) :((وقوله : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ (المزمل ٨) كالتعلم والتفهم ولكن جاء على (التفعيل)مصدر (بتّل تبتيلا) لسر لطيف، فإن في هذا الفعل ايذاناً بالتدريج ، وفي (التفعيل) إيذان بالتكثير والمبالغة، فأُتيَ بالفعل الدال على أحدهما ، والمصدر الدال على الآخر، كأنه قيل : بتّل نفسك اليه تبتيلاً، وتبتل أنت تبتلا، فَفُهِم المعنيان من الفعل ومصدره • وهذا كثير في القرآن ، وهو من أحسن الاختصار والايجاز • فالتبتل : الانقطاع الى الله في العبادة واخلاص النية انقطاعاً يختص به • والى هذا المعنى اشار تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ (الأنعام ٩١) وليس هذا منافياً لما صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) " لا رهبانية ولا تبتل في الاسلام " فإن التبتل ههنا هو الانقطاع عن النكاح والرغبة عنه محظورٌ)) [١] .

فمما هو واضح ان قوله : (سر لطيف) يكشف لنا عن المعنى السابق الذى وقفنا عليه في دلالة (لطيفة) •

---

(١) البصائر ٢/٣٢٣ •

الفصل الأول
منهج البصائر ومصطلحاته

توطئـــــة :

قبل الخوض في بيان منهج البصائر لا بد من الوقوف على المعنى العام لكلمة (منهج) . لقد عقد الفيروزآبادي (بصيرة في نهج ونهى) بيّن فيها دلالته التي تعني الطريق الواضح أو البيّن ، وبعدها شرع في بيان الاطار العام للبصائر . يقول الفيروزآبادي : ((النَّهْجُ والمَنْهَجُ والمِنْهاج : الطريق الواضح . وأنهج الطريق استبان وصار نهجاً واضحاً بيّنا . قال الله تعالى : ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (المائدة ٤٨) ونَهَجْتُ الطريق : أبنته وأوضحته ، ونهجته ايضاً : سلكتُه وهو يستنهج سبيل فلان : يسلك مَسْلكه)) (١) .

صدّر الفيروزآبادي كتابه بخطبة قدّم بها كتاباً جامعاً لمقاصد العلوم والمعارف في عصره . وذكر في الخطبة أن الكتاب مرتب على مقدمة وستين مقصداً . والمقاصد الستون في علوم العصر المختلفة . كل مقصد في علم منها .

ونراه في الخطبة يسرد عنوانات المقاصد ، ليكون ذلك فهرساً اجمالياً للكتاب . فالمقصد الاول في لطائف تفسير القرآن . والثاني في علم الحديث النبوي ، وهكذا يستمر في السَّرد .

ولا نرى من آثار هذا المنهج العام الا المقدمة التي تتعلق بفضل العلم وتمييز العلوم ، ثم المقصد الاول ، وهو لطائف التفسير الذي سعى فيما بعد : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز .

وهذا الوضع الجامع لم يُقَدَّر للفيروزآبادي أن يتمه وحده ، أو مستعيناً بغيره ، اذ عدل عن بقية المقاصد لأن الظروف كانت غير سانحة له ، ولكن كان من المستحسن أن يكون له اسم يشعرنا باستقلاله بعد ان كان : المقصد الاول في لطائف تفسير القرآن العظيم . وانه ليس جزءاً من كتاب جامع (٢) .

والذي يؤخذ على الفيروزآبادي في بصائره انه لم يعدل عن خطبة الكتاب الجامع ويستأنف خطبة خاصة بهذا الكتاب وكأنه كان يرجو ان يقدر له يوماً إنجاز ما اعتزمه من المقاصد الستين فابقى الخطبة على حالها .

---

(١) البصائر ٥ / ١٢٨ .

(٢) ينظر : البصائر ١ / ٢٧ ومابعدها ، المقدمة .

بدأ الفيروزآبادي كتابه في الجزء الاول من المطبوع بخطبةٍ جعلها مقدمة ذكر فيها شرف العلم وفضله مستشهدا على ذلك بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وبين منازل العلم [١] .

وقد جعل الفصل الأول في شروط التعلم والتعليم وهي اثنا عشر شرطاً [٢]، ثم استعرض بعد ذلك موانع العلم وعوائق الاشتغال به وهي ستة موانع [٣]. ثم تابع كلامه بالقول في حصر العلوم اذ رأى أن كل علم اما أن يكون مقصوداً لذاته او لا ، فمثال الأول : ((العلوم الحكمية والإلٰهية. والمراد بالحكمة ههنا استكمال النفس الناطقة قوتيها النظرية والعلمية ... وأما الثاني -وهو ما لا يكون مقصوداً لذاته ، بل يكون آلة لغيره فإما للمعاني - وهو علم المنطق - وإما لما يتوصل به الى المعاني ، وهو اللفظ والخط ، وهو علم الأدب)) [٤] .

ورتب المقصد الاول الذى سماه :(في لطائف تفسير القرآن العظيم) على أغرب اسلوب وقدم امامه مقدمات ومواقف اذ يقول :((إعلم أنّا رتبنا هذا المقصد الشريف على أغرب اسلوب وقدّمنا امامه مقدمات ومواقف ...)) [٥] .

كان وصف الفيروزآبادي لمنهجه بكونه (أغرب اسلوب)واضحاً في ادعائه انه وضع كتابه على وفق منهج جديد له فضل الريادة فيه ، والحق أن المتتبع للدراسات المؤلّفة حول القرآن الكريم تفسيراً عاماً أو مفردات يجد أن (البصائر) يفترق عنها في نظرة خاصة نحو القرآن الكريم الذى جعلها على صورة (بصائر) متفرقة وذات اتجاهات مختلفة بعضها لغوية واخرى تفسيرية وثالثة نحوية ورابعة صوفية.

وعُنِي بالمقدمات : وهي الكلام على فضائل القرآن ووجه اعجازه وتنزيله وأسباب نزوله وناسخه ومنسوخه ... الخ، وجعل ذلك في الباب الاول من كتابه ، وهو أحد طرفي هذا الباب الذي اشتمل على ثمانية فصول وهي على النحو الآتي :

---

(١) ينظر: البصائر ١/ ٤١-٤٧.
(٢) ينظر : البصائر ١/ ٤٨-٥٢.
(٣) ينظر: البصائر ١/ ٥٤-٥٥.
(٤) البصائر ١/ ٥٤.
(٥) البصائر ١/ ٥٥.

الفصل الأول : في فضائل القرآن (الكريم) ومناقبه [١].

الفصل الثاني : في ذكر اعجاز القرآن وتميُّزه بالنظم المعجز عن سائر الكلام [٢].

الفصل الثالث: في شرح كلمات لا بدّ من معرفتها قبل الخوض في شرح وجوه التفسير [٣].

الفصل الرابع: في ذكر اسماء القرآن [٤].

الفصل الخامس: في ترتيب نزول القرآن [٥].

الفصل السادس :فيما لا بد من معرفته في نزول القرآن [٦].

الفصل السابع: في اصناف الخطابات والجوابات التي يشتمل عليها القرآن [٧].

الفصل الثامن : فيما هو شرط من معرفة الناسخ والمنسوخ [٨].

أما الطرف الآخر من الباب نفسه فقد كانت في البصائر المشتملة على جميع سور القرآن من أوله الى آخره ، أي من سورة (الفاتحة) الى سورة (الناس) . وجعل كل سورة منها تشتمل على ثمانية (مباحث) أو (فصول)متعلقة بالسورة نفسها ، جاءت على النحو الآتي [٩] :

الاول : في موضع نزولها .(نزول السورة) .

الثاني : في عدد آيات السورة وكلماتها ، وحروفها ، والآيات المختلف فيها .

الثالث: في بيان مجموع فواصل السورة .

الرابع: في ذكر اسمها أو اسمائها .

الخامس: في بيان المقصود من السورة . وما تتضمنه مجملاً .

السادس: في بيان ناسخها ومنسوخها .

السابع: في متشابهها .

الثامن : في فضلها وشرفها .

---

(١) ينظر: البصائر ١/٥٧ .
(٢) ينظر: البصائر ١/٦٥ .
(٣) ينظر: البصائر ١/٧٨ .
(٤) ينظر: البصائر ١/٨٨ .
(٥) ينظر: البصائر ١/٩٧ .
(٦) ينظر :البصائر ١/١٠٠ .
(٧) ينظر: البصائر ١/١٠٨ .
(٨) ينظر: البصائر ١/١١٧ .
(٩) ينظر: البصائر ١/١٢٧ .

بعد ذلك ختم كتابه ــ في جزئه الأول ــ ببصيرة في مجملات السورة وعددها وعدد الآي والكلمات والحروف والنقط وكل حرف من حروف التهجي • صدّرها بقوله : ((إعلم أنَّ عدد سور القرآن ــ بالاتفاق ــ مئة وأربعة عشر (*) سورة • وأما عدد الآيات فإن صدر الأمة وأئمة السلف من العلماء والقراء كانوا ذوي عناية شديدة في باب القرآن وعلمه ، حتى لم يبق لفظ ومعنى إلاَّ بحثوا عنه ، حتى الآيات والكلمات والحروف، فإنهم حصروها وعدّوها • وبين القراء في ذلك اختلاف ، لكنه لفظي لا حقيقي)) (١) .

وقوله (وبين القراء في ذلك اختلاف ، لكنه لفظي لا حقيقي) اشارة الى أنه اختلاف في التسمية لا اختلاف في جوهر القرآن بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر ٩) •

وبهذا ينتهي الجزء الأول من البصائر الذي كان قد تحدث فيه عن سور القرآن سورة سورة مُبيناً معنى كونها محكمة وما المتشابه فيها ومقصودها العام الذي هو طائفة الافكار التي تجمل غرض السورة وأسباب نزولها وختمها بحصر عددي •

أما المواقف فقد اشتملت على تسعة وعشرين باباً ، على عدد حروف الهجاء ، إذ ذكر الفيروزآبادي في كل باب من كلمات القرآن ما أوله حرف ذلك الباب، وعليه فقد بدأت البصائر مع بداية الجزء الثاني من المطبوع ، بدأه بقوله :((ولنذكر الآن الباب الثاني في وجوه الكلمات المفتتحة بحرف الألف: وهي مئة وسبع كلمات: الألف، الله ، الانسان ، الإضافة ، الأمر ... أرساها ، الاسلام، الأسف، اعتدى، أصبح الإقامة))(٢) .

وختم بصائره بالباب الثلاثين الذي فيه اسماء الأنبياء ومتابعيهم من الأولياء واسماء اعدائهم المذكورين في القرآن (**) وذكر اشتقاق كل ذلك لغة، وما كان له في القرآن من النظائر ، وما يليق به من الاشعار والاخبار• يقول :((الباب الثلاثون في بصائر اسماء الانبياء عليهم السلام، وبصائر بعض الاعداء عليهم الغرام، وأعني

(*) اشار المحقق في الهامش الى أنه كذا والصواب : أربع عشرة •
(١) البصائر ١/ ٥٥٨ •
(٢) البصائر ٢/ ٢ــ٣ •
(**) بلغ عدد هم اثنين واربعين اسما ، الا انه اغفل ذكر قابيل وهابيل وهاروت وماروت وبذلك يصبح مجموع ما ذكره ثمانياً وثلاثين بصيرة •

المذكورين في القرآن العزيز. أولهم وآخرهم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وآدم ، ونوح ، وابراهيم، وإسماعيل، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وادريس، ويونس ، وصالح ، وهود ، وعاد ، وثمود وقابيل وهابيل ... وذو القرنين، ولقمان ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وهاروت، وماروت، ومريم)) (١) .

قلنا في بداية الكلام على منهج البصائر إنّ الفيروزآبادي جعل ـ المقصد الاول : في لطائف تفسير القرآن العظيم ـ بعد عدوله عن بقية المقاصد وتبيّن أنه ليس جزءاً من كتاب جامع ، وكان قد جعل عنوان كل بحث في هذا المقصد " بصيرة " فأصبح الكتاب جملة بصائر، ومن هذا استمد الكتاب الاسم الجديد : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وقد استبدل (العزيز) بـ (العظيم) لتسجع العبارة وتستقيم .

وينبغي لي ـ قبل أن اختم الحديث على منهج البصائر ـ ملاحظة وجود بُعدين (مستويين) لهذا المنهج .

١ـ المستوى العرفاني : وهو الجانب الصوفي ، وهو البعد الاول الذى نراه جليا وواضحا في كتابه ، ويبدو أن هناك نزعة قوية لديه الى التصوف (*) اذ ذكر ذلك الاستاذ محمد علي النجار في تقديمه للكتاب بقوله : ((وكانت له نزعة قوية الى التصوّف ، واسع الاطلاع على كتب الصوفية ومقاماتهم وأحوالهم . يبدو ذلك حين يعرض في البصائر لنحو : التوكل والاخلاص والتوبة، فتراه ينحو نحو الصوفية، وينقل عنهم الشيء الكثير ونراه في صدر سفر السعادة يتحدث عن الخلوة عند الصوفية لمناسبة ذكر خلوة الرسول (عليه الصلاة والسلام) في غار حراء)) (٢) .

٢ـ المستوى اللغوي بفروعه المختلفة (الصوتي ، الصرفي (بناء الكلمة) ، النحوي (بناء الجملة) ، الدلالي (المعنى)) . وسنأتي على ذلك بالتفصيل في الفصول اللاحقة.

---

(١) البصائر ٦/ ٧ .

(*) جرت مناقشة رسالة دكتوراه بعنوان " الفيروزآبادي ومنهجه في التصوف من خلال كتابه بصائر ذوي التمييز "كلية العلوم الاسلامية / جامعة بغداد .

(٢) البصائر ١/ ١٣.

المبحث الاول

موارد البصائر

اختلفت موارد (البصائر) في شتى أنواع العلوم والمعارف، وبدا لي ان ذلك شيء طبيعي في شخصية الفيروزآبادي بوصفه عالم لغة ونحو وتفسير وتصوف، الى غير ذلك من فروع المعرفة .

ونستطيع حصر موارده في جانبين هما : الأعلام والكتب معززين ما نقوله بالأمثلة والشواهد .

أولاً ـ الأعلام :

يعدّ الفيروزآبادي أشهر من ختم به القرن الثامن الهجري من علماء اللغة[1] . وهذا يعني أنه عاش بعيداً عن عصر المشافهة والرواية عن العلماء المتقدمين، وتعد الأعلام المورد الاول الذي اعتمد عليه في بصائره ، إذ نقل عن الكثير من العلماء في شتى فنون العلم والمعرفة من نحو ولغة وتفسير وقراءات وتصوف وغير ذلك . ومن الملاحظ أن جملة ما نقل عنهم من علماء العربية كانوا من البصريين والكوفيين ومن خلطوا المذهبين ، ويبدو أنه كان مطلعاً على كتب هؤلاء الا انه لم يصرّح بها بل كان يكتفي بذكر اسمائهم فيقول (قال سيبويه) [2] و(قال الفراء) [3] و(قال الزجاج) [4] و(قال ابن سيده) [5] . وعند التحقيق تبيّن أن ما عزاه اليهم موجود في كتبهم .

---

(١) ينظر : ملامح من تاريخ العربية ٢٥٤ .

(٢) ينظر على سبيل المثال : البصائر ١/ ٨٦و٣٥٧و٥٣٢، ٢/ ١٢و١٥ و٢٠٧، ٣/ ٢٥٩ ، ٤/ ١٥ و٣٨١و٣٨٤، ٥/ ٧١و٨٨و١٠٤و١٩٠و٣٧٤و٤٠٨ .

(٣) ينظر: البصائر ١/ ٨٦، ٢/ ٥٠ و٢٩ و٤٢٩و٤٤١و٥٦٢ ، ٣/ ٦٢و٦٣و٣٨٦ و ٥١٤، ٤/ ٨ و٨ و٤٠ و٥٢ ٢، ٥/ ٨ و١٠ و٩٠ و١٢٢و١٨٣ .

(٤) ينظر: البصائر ١/ ٩٤ و٤٦١، ٢/ ٧١، ٣/ ٩٩ و٤٤٣، ٤/ ٨ و٢٩٨و٢٩٩ و ٣٨١ و٤٧٩، ٥/ ١ و٨٣و١٢٤و٣٣٠و٤٠٨، ٦/ ٤ و١٠٣ .

(٥) ينظر: البصائر ٢/ ١٣٩ و١٦٩، ٤/ ٥٠١، ٥/ ٢١٠ .

وقد يكتفي بذكر بعض الألقاب لبعض العلماء من ذلك :(قال الامام) [١] ، ويريد به الخطيب الاسكافي ، و(قال تاج القراء) [٢] ويريد به الكرماني .

ونظراً لكثرة ما نقل عن العلماء فأنني سأثبت اسماء الأعلام البارزين الواردة في (البصائر) ، مرتبة بحسب التسلسل التاريخي ، ثم أنتخب قسماً منهم ، وأذكر لكل عالم مثالين على سبيل التمثيل لا الحصر .

١- أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري (ت ١١٠هـ) .
٢- أبو عمرو زبان بن العلاء (ت ١٥٤هـ) .
٣- الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) .
٤- اللَّيث بن نصر بن سَيّار الخراساني (ت ١٧٥ هـ) .
٥ - عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٨٠هـ) .
٦ - يونس بن حبيب بن عبد الرحمن الضَّبي (ت ١٨٢هـ) .
٧ - أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) .
٨ - النضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ) .
٩ - محمد بن المستنير الملقب بقطرب (ت ٢٠٦هـ) .
١٠- أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) .
١١- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) .
١٢- الضحاك بن مخلد بن مسلم (ت ٢١٢هـ) .
١٣- أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري (ت ٢١٥هـ) .
١٤- أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الاوسط (ت ٢١٥هـ) .
١٥- عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦هـ) .
١٦- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) .
١٧- محمد بن زياد بن الاعرابي (ت ٢٣١هـ) .
١٨- أبو يوسف يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ) .
١٩- أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني (ت ٢٤٩هـ) .

---

(١) ينظر: البصائر ١/ ١٦٣ و٢٠٦ و٢٢٥ و٢٣٥ .
(٢) ينظر: البصائر ١/ ١٩٢ و٥٢٢ و٢٤٨ .

٢٠- أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني (ت ٢٥٥هـ).
٢١- أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي (ت ٢٥٥هـ).
٢٢- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ).
٢٣- أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ).
٢٤- أبو اسحاق ابراهيم بن السرّي الزَّجَّاج (ت ٣١١هـ).
٢٥- أبو الحسن علي بن سليمان الاخفش الصغير (ت ٣١٥هـ).
٢٦- أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد (ت ٣٢١هـ).
٢٧- أبو بكر ابن الانباري (ت ٣٢٨هـ).
٢٨- أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ).
٢٩- أبو عمر المطرز محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ).
٣٠- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ).
٣١- أبو علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار النحوي الفسوي المعروف بـ (ابو علي الفارسي) (ت ٣٧٧هـ).
٣٢- علي بن عيسى بن علي الرّماني (ت ٣٨٤هـ).
٣٣- الصاحب اسماعيل بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ).
٣٤- أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ).
٣٥- أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ).
٣٦- أبو الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ).
٣٧- عبد الله بن محمد ابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ).
٣٨- محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي (ت ٤٢١هـ).
٣٩- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني (ت ٤٣٠هـ).
٤٠- أبو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيده (ت ٤٥٨هـ).
٤١- الحافظ ابو عمرو ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ).
٤٢- الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ).
٤٣- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).
٤٤- أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت ٥٤٣هـ).
٤٥- عبد الحق بن عطية الاندلسي الغرناطي (ت ٥٤٦هـ).

٤٦ـ سعيد بن المبارك الانصاري (ت ٥٦٩هـ)٠
٤٧ـ خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨هـ)٠
٤٨ـ عبد الرحمن بن عبد الله الاندلسي السهيلي (ت ٥٨١هـ)٠
٤٩ـ الامام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)٠
٥٠ـ عمر بن الحسن ابن دحيـة (ت ٦٣٣هـ)٠
٥١ـ الحسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠هـ)٠
٥٢ـ ابو عبد الله محمد بن احمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)٠
٥٣ـ ابو عبد الله محمد جمال الدين بن مالك الاندلسي (ت ٦٧٢هـ)٠
٥٤ـ محمود بن حمزة الكرماني (ت ٧٨٦هـ) ٠

* أمثلة منتخبة للأعلام البارزين في البصائر :

١ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) :

استشهد الفيروزآبادي بأقوال الخليل حتى بلغت ثلاثةً وأربعين موضعاً، منها قوله :((... قال الخليل : سمعت رجلاً بمكة، يزعمون أنه من القراء، وهو يقرأ ﴿مُرْدِفِينَ﴾ (الانفال ٩) بضم الميم والراء وكسر الدال المشددة، وعنه في هذا الوجه كسر الراء. فالاولى أصلها مُرتَدِفين، لكن بعد الادغام حركت الراء بحركة الميم. وفي الثانية حركت الراء الساكنة بالكسر. وعنه في هذا الوجه وعن غيره فتح الراء، كأن حركة التاء أُلقيت عليها)) (١).

وكذلك قوله : ((قال الخليل : كل شيء ضم اليه سائر ما يليه يسمى أُمّاً. ويقال : أُمّ وأُمّة، الجمع: أُمّات وأُمهات)) (٢).

واعتاد الفيروزآبادي في مقدمة بصائر حروف الهجاء أن يذكر الحرف اللغوي نقلاً عن الخليل، من ذلك قوله في (بصيرة في الحاء) : ((الحاء اللغوي قال الخليل : الحاء عند هم المرأة البذيئة اللسان السليطة، قال :

جدودي بنو العنقاء وابن محرّق وأنت ابن حاء بَظْرها مثل مُنْخُل)) (٣)

وكذلك قوله في (بصيرة في الطاء) : ((الطاء اللغوي : قال الخليل : الرجل الكثير الوقاع، وأنشد :

أُنيٌّ وأنْ قَلَّ عن كلِّ المُنَى أَملي طاءُ الوقاع قويٌّ غير عِنِّينِ)) (٤)

وغير ذلك كثير (٥).

---

(١) البصائر ٣/٦٣.
(٢) البصائر ٢/١١١.
(٣) البصائر ٢/٤١٦.
(٤) البصائر ٣/٤٩٣.
(٥) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : البصائر ٢/١١و٣٣٣و٣٥١و٥٢٠و٥٨٤، ٣/٤و١٢١و ٢٩٢ و ٣٦٨و٤٥٩و٥٣٥.

٢ـ عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٨٠هـ).

نقل الفيروزآبادي أقوال سيبويه التي بلغت سبعة وعشرين قولاً. ففي (بصيرة في اللّـه) يقول: ((وقال سيبويه في باب الاضافة: (حذفوا اللامين من لا و ابـوك حذفوا لام الاضافة ثم حذفوا اللام الاخرى؛ ليخففوا على اللسان). وقال في بـاب (كم): (وزعم الخليل أن قولهم: (لاه أبوك)، (لقيته أمسِ)، إنما هو على: للّـه أبوك، ولقيته بالأمسِ، ولكنهم حذفوا الجار والألف واللام: تخفيفاً على اللسان). فظاهر هذا الكلام يوافق القول الأول)) (١).

ونقل عن سيبويه قوله: ((والمُكَلَّأُ والكَلَأُ: شاطئ النهر، قال سيبويه: هو (فَعَّال) مثل جَبَّار، والمعنى أن الموضع يدفع الريح عن السفن ويحفظها)) (٢).

٣ـ أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ).

بلغ عدد مواقع الاستشهاد بأقوال الفراء في البصائر نحو ثمانية وستين موضعاً. ففي (بصيرة في حتّى) يقول الفيروزآبادي: ((وقال الفراء: (حتّاهُ) أي: حتى هو، و(حتّام) أصله: حتّى ما فحذفت ألف (ما) للاستفهام. وكذلك كل حرف من حروف الجر يضاف في الاستفهام الى (ما) كقوله تعالى: ﴿فَبِمَ تُبشّرون﴾ (الحجر ٥٤) و﴿فِيمَ كُنتمْ﴾ (النساء ٩٧) و﴿عَمَّ يتساءلون﴾ (النبأ ١).)) (٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ((قُلْ عَسَى أن يكونَ رَدِفَ لَكُمْ)) (النمل ٧٢) يقول الفيروزآبادي: ((قال الفراء: دخلت اللام (يعني: لكم) لانه بمعنى قرب لكم. واللام صلة كقوله تعالى: ﴿إنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤيا تَعْبُرون﴾ (يوسف ٤٣).)) (٤).

---

(١) البصائر ٢/ ١٥ـ١٦. وينظر: الكتاب ٢/ ١٤٤ باب الاضافة و١/ ٢٩٤ باب (كم).
(٢) البصائر ٤/ ٣٨٤. وينظر: الكتاب ٢/ ٣٢١.
(٣) البصائر ٣/ ٤٣٠. وينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٣٧.
(٤) البصائر ٣/ ٦٢. وينظر: معاني القرآن ٢/ ٢٩٩. والكلام منقول ههنا بالمعنى لا باللفظ. إذ إنّ الفراء استعمل (دنا) والمراد به (قرب).

٤ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) .

أورد الفيروزآبادي في بصائره أقوال أبي عبيدة حتى بلغت ستة وثلاثين مورداً، منها قوله :((قال أبو عبيدة : الشيطان : اسم لكل عارم من الجن والانس والحيوانات)) (١) .

وقوله : ((وقال أبو عبيدة : الشَّنَان بغير همز مثل : الشنآن ، وأنشد للأحوص:

هَلِ العيشُ إلاَّ ما تَلَذُّ وتشتهي وإنْ لام فيه ذو الشَنَانِ وفَنَّدا)) (٢) .

٥ـ أبو يوسف يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ) .

نقل الفيروزآبادي أقوال ابن السكيت فيما لا يتجاوز أحد عشر موضعاً، منها قوله في (بصيرة في قرب) : ((ويستوي في القريب نقيض البعيد الذكر والأنثى والمفرد والجمع تقول : هو قريب منّي ، وهي قريب ، وهم قريبه وهنَّ قريب . وكذلك القول في البعيد ، قال ابن السكيت لأنه في تأويل هو في مكان قريب منّي . وقد يجوز قريبة وبعيدة بالتاء تنبيها على قَرُبت وبَعُدت وانشد :

ليالِيَ لا عفراءُ منكَ بعيدة فتسلَىٰ ولا عفراءُ منك قريب))(٣) .

وكذلك قوله :((وقال ابن السكيت يقال : طردته : اذا نفيته عنك، وقلت له : اذهب عنّا . وأطرده : اذا اخرجه من بلده ، وأمر أن يُطرَدَ من كل مكان حَلَّ به)) (٤) .

٦ـ أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزَّجَّاج (ت ٣١١هـ) .

بلغت آراء الزجاج التي نقلها الفيروزآبادي نحو ثمانية وعشرين موضعاً، منها قوله : ((العَدْل والعِدْل واحد في معنى المثل، قاله الزجاج . قال :والمعنى واحد ، كان المثل من الجنس أو من غير الجنس ، قال :ولم يقولوا إن العرب غَلِطَتْ وليس إذا أخطأ مخطئٌ وجبَ ان تقول : ان بعض العرب غَلِطَ)) (٥) .

---

(١) البصائر ٣/ ٣٢٠.
(٢) البصائر ٣/ ٣٤٨.
(٣) البصائر ٤/ ٢٥٢.
(٤) البصائر ٣/ ٥٠٠.
(٥) البصائر ٤/ ٢٨. وينظر: معاني القرآن واعرابه ٢/ ٢٠٨.

وفي قوله تعالى : ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (النمل ٨٨) • نقل الفيروزآبادي قوله : ((قال الزجاج : القراءة بالنصب ويجوز الرفع ، فمن نصب فعلى المصدر)) (١) .

٧- محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت ٤٢١هـ) .

نقل الفيروزآبادي آراء الخطيب وبلغت اثني عشر موضعاً . وكان يلقبه احياناً بـ (الإمام) ، واحيانا اخرى يقول : (قال الخطيب) . ففي ذكر المتشابهات من قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ (الأعراف ١٢٣) وقوله تعالى في سورتي (طه ، والشعراء) : ﴿ قَالَ آمَنتُمْ ﴾ (٢) علل الفيروزآبادي ذلك ، وذكر رأي الخطيب بقوله : ((لأن هذه السورة (يعني : الاعراف) مقدّمة على السورتين فصرّح بالاولى ، وكنى في الأخريين ، وهو القياس . وقال الإمام : لان ما هنا بَعُدَ عن ذكر فرعون فصرّح وقَرُب في السورتين ذكره فكنى)) (٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ (النحل ٦١) وذكر المشابه لها قوله تعالى : ﴿ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ (فاطر ٤٥) يقول : ((قال الخطيب : انما قال في النحل (بِظُلْمِهِم) ولم يقل (عَلَىٰ ظَهْرِهَا) احترازاً عن الجمع بين الظاءين ، لأنها تثقل في الكلام ، وليست لأمة من الأمم سوى العرب . قال : ولم يجيء في هذه السورة الا في سبعة أحرف ، نحو : الظلم والنظر والظل وظل وجهه والظفر والعظم والوعظ ، فلم يجمع بينهما في جملتين معقود تين عقد كلام واحد ، وهو (لو) وجوابه)) (٤) .

٨- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) .

نقل الفيروزآبادي نحو أحد عشر موضعاً من آراء الراغب الاصفهاني فيلقبه احياناً ويقول : (قال الراغب) (٥) وفي أحيان أخرى يكنيه بقوله : (قال أبو القاسم

---

(١) البصائر ٣/ ٤٤٣ . وينظر : معاني القرآن واعرابه ٤/ ١٣٠ .
(٢) سورة طه الآية ٧١ . سورة الشعراء الآية ٤٩ .
(٣) البصائر ١/ ٢١٩ . وينظر : درة التنزيل ١٥٢ .
(٤) البصائر ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ . وينظر : درة التنزيل ٢١٦ .
(٥) ينظر : البصائر ٢/ ٧٤ و١٤٣ و١٤٤ و١٦١ و٢٣٠ ، ٤/ ٢٠٠ و٢١٠ و٢١٢ ، ٥/ ١٧٠ و١٨٤ و٣١٣ .

الأصفهاني) [١] مثال ذلك (بصيرة في الخير) يقول فيها :((وقال الراغب: الخير والشر يقالان على وجهين : أحدهما : أنْ يكونا اسمين كما تقدم . والثاني : أنْ يكونا وصفين وتقديرهما تقدير (أفعل) ، نحو : هو خير من ذلك وأفضل .وقوله ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (سورة البقرة ١٨٤) يصح أن يكون اسماً وأن يكون صفة ...)) [٢].

وفي (بصيرة في الاستواء) يقول :((قال أبو القاسم الاصبهاني :(استوى) يقال على وجهين . احدهما يُسند الى فاعلين فصاعداً ، نحو: استوى زيد وعمرو في كذا ، أي: تساويا . الثاني : أن يقال لاعتدال الشيء في ذاته ، نحو قوله تعالى : ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ (النجم ٦) ، ومتى عُدِّي بـ (على) اقتضى معنى الاستيلاء، نحو: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (سورة طه ٥)، وقيل معناه : استوى له ما في السموات ، وما في الارض بتسويته تعالى إياه ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ (سورة البقرة ٢٩) . وقيل : معناه : استوى كل شيء في النسبة إليه ، فلا شيء أقرب اليه من شيء، اذ كان تعالى ليس كالاجسام الحالّة في مكان دون مكان . واذا عُدِّيَ بـ (الى) اقتضى معنى : الانتهاء إليها إما بالذات ، أو بالتدبير . والله اعلم)) [٣] .

٩- ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) .

بلغ عدد مانقله الفيروزآبادي عن الزمخشري ستة عشر موضعاً . منها قوله في جواز اطلاق كلمة(إلـه) على الله وغيره :((وقد أوضح هذا الزمخشري فقال :و(الألـه) من أسماء الأجناس، كالرجل : يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بالحق . وأما (الله) فمختص بالمعبود بالحق ، لم يطلق على غيره . انتهى)) [٤] .

وفي (بصيرة في هدى) يقول :((وقال أبو النصر(*) هديته الطريق لغةُ أهل الحجاز، وهديته الى الطريق لغةُ غيرهم ، حكاه الأخفش . قال الزمخشري: هداهُ لكذا، والى كذا، إذا لم يكن شيء منه فيصل اليه بالهداية ، وهداهُ كذا يحتمل كونه فيه وكونه ليس كذلك ، فلا يجوز ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت ٦٩) . كون أصله باللام أو الى ، هكذا قال، والمشهور ما قدّمناه))[٥] .

---

(١) ينظر: البصائر ٢/٨٨ و١٠٧و ١٨٣، ٤/١٦٣ و٣٠٣، ٥/١٧٩ .
(٢) البصائر ٢/٥٧٣ـ٥٧٤ .
(٣) البصائر ٢/١٠٧ . وينظر: المفردات في غريب القرآن ٢٥١ .
(٤) البصائر ٢/١٧ . وينظر: الكشاف ١/٣٦ .
(*) يعني : أبو نصر الجوهري صاحب الصحاح .
(٥) البصائر ٥/٣١٣ .

١٠ـ محمود بن حمزة الكرماني (ت ٧٨٦هـ) .

لم ينقل الفيروزآبادي في غير ثمانية مواضع من آراء الكرماني ، وكان غالبا مايلقبه بلقب (تاج القراء) . وكان ذلك في ذكر المتشابه من بعض السور . من ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (الأنفال ٥٢)، وقال بعد آية : ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (الأنفال ٥٤) : ((قال تاج القراء : ولـه وجهان آخران محتملان . أحد هما : كدأب آل فرعون فيما فعلوا، والثاني : كَدَأب آل فرعون فيما فُعِل بهم . فهم فاعلون في الأول ، ومفعولون في الثاني . والوجه الآخر :أنَّ المراد بالأول كفرهم بالله ، وبالثاني تكذيبهم بالأنبياء ، لأن تقدير الآية : كذَّبوا الرسل برد هم آيات الله . وله وجه آخر . وهو أن يجعل الضمير في (كفروا) لكفار قريش على تقدير : كفروا بآيات ربهم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ، وكذلك الثاني : كذَّبوا بآيات ربهم كدأب آل فرعون)) (١).

وفي قوله تعالى : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الكافرون ٢) يقول الفيروزآبادي : ((في تكراره أقوال خمستومعانٍ كثيرة، ذكرت في التفاسير . وقال محمود بن حمزة الكرماني : هذا التكرار اختصار وايجاز ، هو إعجاز ، لأنه نفى عن نبيه عبادة الأصنام في الماضي ، والحال ، والاستقبال ، ونفى عن الكفار المذكورين عبادة الله في الأزمنة الثلاثة أيضاً ، فاقتضى القياس تكرار هذه اللفظة ستّ مرات فذكر لفظ الحال لأن الحال هو الزمان الموجود ، واسم الفاعل واقع موقع الحال ، وهو صالح للأزمنة . واقتصر من الماضي على المسند إليهم، فقال : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ (الكافرون ٤)ولأن اسم الفاعل بمعنى الماضي (فَعل) على مذهب الكوفيين . فاقتصر من المستقبل على المسند إليه فقال : ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (الكافرون ٣و٥) وكان اسم الفاعل بمعنى المستقبل . وهذا معجزة للقرآن وبرهان)) (٢) .

---

(١) البصائر ١/ ٢٢٥ . وينظر : ١/ ٢٠٦و٢٣٥ .
(٢) البصائر ١/ ٥٤٨ـ٥٤٩ .

ثانيا : الكتـــب:

تباينت الكتب التي كان ينقل عنها الفيروزآبادي في بصائره إذ شملت كتـــب التفسير واللغة والنحو والمعاجم وكتب النوادر . اذ يذكر عنوان الكتاب مع اســـم مؤلفهِ ، أويكتفي بذكر اسم مؤلف الكتاب مع الاشارة الى مجال تأليفهِ . وقد ينقل عنـــه بالنص حيناً، وبالمعنى حيناً آخر، تبيّن ذلك من خلال مراجعتي للنصوص ومقارنتها مـــع ما هو موجود في البصائر. وهذه المؤلفـات هي :

١ــ كتب التفسير :

ــ الغريب الكبير: لأبراهيم ابي اسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ) . جاء في (بصيرة فـــي الأمسح) في اشتقاق كلمة (المسيح) قوله :((قال الأمام أبو اسحاق الحربي في غريبـه الكبير: هو اسم خصّه الله تعالى به ، أو لمسح زكريا إياه ...)) (١) .

ــ دلائل النبوة: لابي نُعيم الاصفهاني (ت ٤٣٠هـ). جاء في (بصيرة في الأمســـح) قوله :((قال أبو نعيم في كتابه (دلائل النبوة) : سُمّيَ ابن مريم مَسِيحا، لأن اللـــــه تعالى مسح الذنوب عنـــه)) (٢) .

وقال ايضا في البصيرة نفسها من غير ذكر للكتاب:((قال أبو نعيم في الكتـاب المذكور: وقيل سُمّيَ مَسِيحا لأن جبريل مسحهُ بالبركةِ وهو قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَنِـــي مُبَارَكـاً أَيْنَمَا كُنتُ ﴾ (مريم ٣١)) (٣) .

ــ جامع التفاسير: للراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ): جاء في (بصيرة في الاسم) قولـه : ((اعلم أن الاسم لغةً: الكلمة . وتخصيصه بما ليس بفعل ولا حرف اصطلاح طـــارئ. قاله الراغب في تفسيره . وقال في موضع آخر: الاسم: ما يعرف به ذات الأصل)) (٣) .

ــ الكشاف : للزمخشري(ت ٥٣٨هـ) . جاء في (بصيرة في ... اللّه)قوله :((وقيـــل : حذفت الهمزة ابتداءً. كقولهم في أُناس: ناس، ثم جيء بـ (أل) عوضاً عنها، ثم أُدغـــم

---

(١) البصائر ٢/ ١٤٢. وينظر: ٤/ ٥٠٤.
(٢) البصائر ٢/ ١٤٣. وينظر: ٤/ ٥٠٥.
(٣) البصائر ٢/ ٧٤ .وينظر: المفردات في غريب القرآن ٢٤٤ مع بعض التغيير.

ولم يذكر الزمخشري في (الكشاف) غيره ،وهو محكيّ عن الخليل)) (١).

وجاء في (بصيرة في هل) قوله أيضاً : ((... وقال (يعني :الزمخشري) في (الكشاف) : هل أتى ، أي : قد أتى ، على معنى التقرير والتقريب جميعا ، أي أتى على الانسان قبل زمان قريب طائفةٌ من الزمان الطويل ، الممتد لم يكن فيه شيئاً مذكوراً ، بل شيئاً منسيّاً ، نُطفة في الاصلاب. والمراد بالانسان الجنس بدليل : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ سورة يس ٧٧)) (٢) .

ـ مجمع البحرين في فوائد المشرقين والمغربين : للحافظ ابن دحية(ت ٦٣٣هـ) . جاء في (بصيرة في الأمسح) قوله : ((واختلف في اشتقاق (المسيح) في صفة نبي الله ، وكلمته : عيسىٰ ، وفي صفة عدوّ الله الدّجّال ـ أخزاه الله ـ على أقوال كثيرة تنيف على خمسين . قال ابن دحية في كتابه (مجمع البحرين في فوائد المشرقين والمغربين) : فيها ثلاثة وعشرون قولاً . ولم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجال ، ولقي الرجال ...)) (٣).

ـ تفسير القرآن : للزنجاني (ت ٦٥٦هـ) . جاء في (بصيرة في اللّٰه)قول الفيروزآبادي عن كيفية لفظ اللام في لفظ الجلالة ترقيقاً أو تفخيماً : ((وقال الزنجاني في تفسيره : تفخيم اللام فيما انفتح ما قبله أو انضم سُنّة)) (٤) .

ـ الكشف : لسراج الدين عمر بن علي القزويني (ت ٧٤٩هـ) . جاء في (بصيرة في اللّٰه) قوله : ((... وقال شيخي سراج الدين (رحمه الله) في الكشف: حذفت الهمزة من (الألـه) حذفاً ابتدائياً من غير قياس. والدليل عليه لزوم الأدغام . وقولهم :لاه أبوك)) (٥)

٢ـ كتب الحديث:

ـ مسند أحمد : للامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) . جاء في (بصيرة في ... قضى) قول الفيروزآبادي : ((ورويتا في مسند الامام أحمد مرفوعا : من جُعل قاضياً فقد ذُبِحَ

---

(١) البصائر ٢/١٦ . وينظر: الكشاف ١/٣٦ .
(٢) البصائر ٥/٣٣٥ . وينظر: الكشاف ٤/١٩٤ .
(٣) البصائر ٢/١٣٧ . وينظر: ٤/٤٩٩ . وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/٥٧ وما بعدها .
(٤) البصائر ٢/١٨ .
(٥) البصائر ٢/١٧ .

بغير سكين . وقال : ((القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار)). وروى عن مسند أحمد في مواضع آخرى (٢).

ـ صحيح البخاري : للبخاري (ت ٢٥٦هـ) جاء في (بصيرة في الحب والمحبة) قوله : ((وفي صحيح البخاري : يقول الله تعالى : من عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ اليّ من أداء ما افترضته عليه . ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبه . فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وان سألني أعطيته ، ولئن استعاذني لأُعيذنّه)) (٣)، ونقل عنه في مواضع اخرى (٤).

ـ الصحيحان : ويراد به صحيح البخاري وصحيح مسلم (ت ٢٦١هـ) . جاء في (بصيرة الحب والمحبة) ايضاً قوله : ((وفي الصحيحين من حديث أمير السريَّة الذي كان يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ ﴾ (الأخلاص ١) لأصحابه في كل صلاة وقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أُحب أن أقرأ بها فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " أخبروه أن اللّٰه يُحبه")) (٥) ونقل عنهما في مواضع اخرى (٦).

ـ الجامع الصحيح : للترمذي (ت ٢٧٩هـ) . جاء في (بصيرة في الخشية) وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (المؤمنون ٥٧ـ٦١) . قول الفيروزآبادي :((وفي جامع الترمذي عن عائشة (رضي اللّٰه عنها) قالت قلت : يا رسول اللّٰه ، الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر؟ قال : لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف الا يقبل منه)) . (٧)

---

(١) البصائر ٤/ ٢٧٩ . وينظر: مسند أحمد أقضية ٢.
(٢) ينظر : البصائر ٢/ ٥٤٤ و٥٧٦ .
(٣) البصائر ٢/ ٤١٩، وينظر: صحيح البخاري ، الرقاق ٢٨.
(٤) ينظر: البصائر ١/ ٤٢، ٢/ ٣٢٦، ٤/ ٤٠٦ .
(٥) البصائر ٢/ ٤١٩ . وينظر : صحيح البخاري التوحيد ١، صحيح مسلم ١/ ٥٥٧ .
(٦) ينظر: البصائر ٣/ ٤٠٣، ٤/ ٢٩١، و٥١٠، ٥/ ٨٢ و٦٧ و٣٨٣ .
(٧) البصائر ٢/ ٥٤٤، وينظر : ٢/ ٥٧٦، وينظر: الجامع الصحيح ٥/ ٣٢٧ وتكملة الحديث: " أولئك الذين يسارعون في الخيرات " .

ـ و يذكر للترمذي أيضاً ماجاء في (بصيرة في الشكر) قوله : ((وفي الترمذي من بعض دعائه المشهور : رب اجعلني لك شَكَّاراً ، لك ذَكَّاراً ، لك رَهّاباً ، لك مِطواعاً ، لك مُخْبتاً ، اليك أوّاها منيباً))(١) .

وفي (بصيرة في ٠٠ صدق) يقول : ((ومن علامات الصدق طمأنينة القلب اليه ، ومن علامات الكذب حصول الريبة، كما في الترمذي مرفوعاً : الصدق طمأنينة والكذب ريبة)) (٢) .

٣ـ كتب النحو :

ـ الكتاب : لسيبويه (ت ١٨٠هـ) جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ﴾ (سورة القدر ١، ٢) ٠ قوله : ((ثم قال : ﴿ لَيْلَةُ القَدْرِ﴾ فصرّح به ، وكان حقه الكناية، رفعاً لمنزلتها ، فان الاسم قد يذكر بالصريح في موضع الكناية، تعظيماً وتخويفاً ، كما قال الشاعر:

لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا

فصرّح باسم (الموت) ثلاث مرات تخويفاً ٠وهو من أبيات كتاب سيبويه))(٣) .

ـ المفصّل : للزمخشري ٠ جاء في (بصيرة في هل) قوله : ((انها تأتي بمعنى (قد) ، وذلك مع الفعل ، وبذلك فسّر قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾ (الانسان ١) جماعة منهم ابن عباس والفرّاء والكسائي والمبرد ، وبالغ الزمخشري في أنها بمعنى (قد) ابداً ، وأن الاستفهام هو مستفادٌ من همزة مقدّرة معها ، ونقله عن سيبويه فقال في المفصّل : وعند سيبويه أن (هل) بمعنى (قد)، إلاّ أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع الا في الاستفهام ٠ وقد جاء دخولها عليها في قوله :

سَائِلْ فوارِسَ يَرْبُوعٍ بشدَّتِنَا أَهَلْ رأونا بسَفْحِ القاعِ ذي الأَكَمِ))(٤)

ـ الارتشاف : لأبي حيان النحوي (ت ٧٤٥هـ) : جاء في (بصيرة في كيف) قوله : ((وفي (الارتشاف) : كيف تكون استفهاماً ، وهي لتعميم الأحوال ٠ واذا تعلّقت بجملتين

---

(١) البصائر ٣/٣٣٧ ٠ وينظر: الجامع الصحيح ٥/٥٥٤ كتاب الدعوات (رقم ١٠٣) ٠
(٢) البصائر ٣/٤٠٣ ٠
(٣) البصائر ١/٥٣١ـ٥٣٢ ٠ وينظر: الكتاب ١/٣٠ ٠
(٤) البصائر ٥/٣٣٤ـ٣٣٥ ٠ وينظر: الكشاف ٤/١٩٤ ، مغني اللبيب ٤٦٠ ٠

فقالوا : تكون للمجازاة من حيث المعنى لا من حيث العمل • وقَصُرت عن أدوات الشـــرط بكونها لا يكون الفعلان معها إلا متّفقين، نحو : كيف تجلس اجلس • وسيبويه يقـــول : يُجازى بكيف ، والخليل يقول : الجـــزاء به مستكره)) (١) .

٤ــ كتـب اللغـة :

ــ كتاب اللغات : ليونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) • جاء في (بصيرة في فرغ) قوله ((••• وقال يونس في كتاب (اللغات) ، فَرَغَ يَفْرَغ ــ ك (مَنَعَ ــ يَمْنَع) ــ لغة ايضاً)) (٢) .

ــ كتاب يافع ويفعة : لأبي زيد الانصاري (ت ٢١٥هـ) • جاء في (بصيرة في وجب) قولـــه : ((••• وفي كتاب (يافع ويفعة) :وَجَبَ البيعُ وَجُوبا ، بفتح الواو كالقَبُول والوَلُوج ، وجِبةً)) (٣) .

٥ــ المعاجـم :

ــ كتاب الجيم : لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٨هـ) • جاء في (بصيرة في الجيم) قولـــه : ((••• وقال أبو عمرو الشيباني : الجيم في لغة العرب الديباج وله كتاب في اللغـــة سمّاه بـ (الجيم) كأنّه شبّهه بالديباج لحُسنه • وله حكاية حسنة مشهورة)) (٤) .

ــ المحكم والمحيط الأعظم : لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) •جاء في (بصيرة في الأمسح) وهـــي اشتقاق لفظة (المسيح) قوله انه : ((مشتق من المماسحة ، وهو الملاينة في القلـــوب ، والقلوب غير صافية • كذا في (المحكم) ، لأنّه يقول خلاف ما يضمر)) (٥) .

ــ العباب : للصغاني (ت ٦٥٠هـ) • جاء في (بصيرة في الألف) قوله : ((••• وقال صاحب العباب : الالف : الرّجل العَزَب)) (٦) .

وكذلك قوله في (بصيرة في الحصر) : ((وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ (الإسراء ٨) أي حابساً • قال في العباب : الحصير : السجن ومنه الآيـــة (حصيراً) أي محبســاً)) (٧) .

---

(١) البصائر ٤/٤٠٣ • وينظر : ارتشاف الضرب ٣/ ٩٤ •
(٢) البصائر ٤/ ١٨٤ •
(٣) البصائر ٥/ ١٦٠ •
(٤) البصائر ٢/ ٣٥١ •
(٥) البصائر ٢/ ١٣٩ • وينظر: ٤/ ٥٠٤ • وينظر: المحكم ٣/ ١٦١ ، وفيه (الملاينـة في القول والقلوب غير صافيـه) •
(٦) البصائر ٢/ ١٠ • وينظر: العباب ٢/ ١٨٤ •
(٧) للبصائر ٢/ ٤٧٠ • وينظر : العباب ٢/ ١١٨ •

واخيرا قوله في (بصيرة في وَسَلَ) : ((قال صاحب العُباب : الوسيلةُ ، والواسِلةُ : المنزلة عند الملك ، والدَّرجةُ ، والقربةُ)) (١) .

ـ القاموس المحيط : للفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) . جاء في (بصيرة في عجز) قوله : ((والعجوز سُمِّيت لعجزها عن كثير من الأُمور، ولها معانٍ تنيف على ثمانين ذكرتها في القاموس وغيره من الكتب الموضوعة في اللغة)) (٢) .

وقال في موضع آخر : ((والخاء لتيِّف وعشرين معنى ذكرته في القاموس)) (٣) .

٦ـ كتب النوادر :

لم يذكر كتب النوادر الا في موضع واحد هو :

ـ النوادر : لأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ) . جاء في (بصيرة في وكأ) قوله : ((وفي نوادر أبي عبيدة : أوكأتُ عليه ، وتوكَّأت عليه ، بمعنى واحد . قال الله تعالى : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ (سورة طه ١٨) . وتوكَّأتِ الناقةُ ، وهو تصلقها عند مخاضها ، أي انيبها عند الولادة)) (٤) .

بعد أن ذكرنا موارد البصائر التي توزعت ما بين اعلام وكتب . وذكرنا عشرة اعلام بارزين مع أمثلة لأقوالهم ، نرى من الضروري بمكان أن نشير الى موارد البصائر الاخرى وأعني بها أقوال البصريين (٥) والكوفيين (٦) من غير أن يذكر أسماءهم اذ غالباً ماينقل آراءهم . او قد ينقل رأى اللغويين (٧) او أهل اللغة (٨) . من غير أن يبيّن أم كوفيين .

ولا بأس بأن نذكر هنا مسألتين من مسائل الخلاف على رأي البصريين ورأي الكوفيين .

---

(١) البصائر ٥ / ٢١٧ . وينظر : العُباب ٦ / ٤٣١ .
(٢) البصائر ٤ / ٢٢٠ . وينظر : القاموس المحيط مادة (العَجْزُ) ٢ / ١٨١ .
(٣) البصائر ٢ / ٥٨١ . وينظر : القاموس المحيط (باب الخاء) ١ / ٥٦ ٢ـ٢٧٣ .
(٤) البصائر ٥ / ٢٧٦ .
(٥) ينظر : البصائر ١ / ١٩٣، ٢ / ١٩ و٧٤، ٣ / ٥١٢، ٤ / ١٩٤ و٤٦٧، ٥ / ١٧٠ و ١٨٣ .
(٦) ينظر : البصائر ١ / ٥٤٩، ٢ / ١٦ و١٩و٧٤ و٤٨٠، ٣ / ١٦٣، و٥٢٠، ٤ / ٨٣و ١٩٤و ٣٢٩ و٣٨٥ و٤٠٦ و٤٣٣، ٥ / ٣٧ .
(٧) ينظر : البصائر ٢ / ٥١٤، ٣ / ٢٠٢، ٤ / ٤٧٦، ٥ / ١٨٧ و٣٨٠ .
(٨) ينظر : البصائر ٢ / ٤٧٣ و٥٣٠ و٥٧١، ٣ / ٣٢٤و٤٦٣، ٤ / ٣٢١ و٥٢٠ .

المسألة الاولى : الاختلاف في اشتقاق (الاسم) .

قال في ذلك : ((وأصله (سُمْو) عند البصريين ، حذفت الواو، ونقل سكون الميم الى السّين فجيء بهمزة الوصل . وعلّة الحذف كثرة الاستعمال ، ولذا لم يحذف من عُضو ويَضو، ونحوهما . وقال الكوفيّون : هو من (الوَسْم) ، أُخرت فاءُ الكلمة ، وحذفت من غير تأخير . وبعض الكوفيين يقول : قلبت الواو همزة، كما فَعَل من قال : إشاح في وشاح ، ثم كثر استعماله فجعلت ألف وصل . وقول الكوفيّين أبينُ من حيث المعنى . فأَخْذه من العلامة أوضحُ من أَخذه من الرفعة . وقول البصريّين أقرب من جهة اللفظ . وشذّ وسمّت (*) الاسد أُسامة، لقوته وشدة غضبه . والهمزة على هذا أصلية))[1] .

المسألة الثانية : الاختلاف في نصب (وحد) .

قال الفيروزآبادي : ((قولهم (رأيته وَحْدَه) منصوب عند أهل الكوفة على الظرف ، وعند أهل البصرة على المصدر في كل حال ، كأنك قلت أوحدتُه برؤيتي ايحاداً ، أي : لم أر غيره ، ثم وضعت (وحده) موضع هذا . وقال ابو العباس : يحتمل وجهاً آخر وهو أن يكون الرجل في نفسه منفرداً كأنك قلت (رأيت رجلاً منفرداً) . ثم وضعت (وحده) موضعه . وقال بعض البصريين هو منصوب على الحال . قال ابن الاعرابي : يقال جلس على وحده ، وجلسا على وَحْدِهما ، وجلسا على وحديهما كما يقال جلس وحده وجلسا وَحْدَهما))[2] .

وهناك مسائل خلافية اخرى ذكرها الفيروزآبادي في بصائره منها: ورود (لا) في مواضع من التنزيل العزيز، اختلف فيها : أنافية هي أم زائدة؟ [3] . والاختلاف في اشتقاق لفظة (المسيح) أهي عربية أم لا [4] . والاختلاف في اشتقاق (الاتخاذ) أهو من (تَخِذَ) أم من (الأخذ) [5] .

(*) أي : العرب .
(١) البصائر ٢/ ٧٤. وينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ٦ـ١٦ .
(٢) البصائر ٥/ ١٧٠ .
(٣) ينظر: البصائر ٤/ ٦٣ ـ ٦٤ .
(٤) ينظر: البصائر ٢/ ١٣٧ـ١٣٨، ٤/ ٥٠٠ .
(٥) ينظر: البصائر ٢/ ٥٧ .

المبحث الثاني

شواهد البصائر

اختلفت الشواهد اللغوية والنحوية التي وقف عندها الفيروزآبادي في بصائره وتوزعت فكانت ما بين قرآن كريم وقراءات وحديث وشعر وأمثال ولغات. حتى يمكننا أن نعد البصائر مصدراً من مصادر الاستشهاد . وسنأتي على بيان ذلك إجمالاً وليس تفصيلاً .

* القرآن الكريم :

ذكرنا فيما سبق أن الجزء الاول من المطبوع ـ من البصائر ـ شمل تفسير سور القرآن الكريم من أوله الى آخره واشتمل ذلك على ثمانية مباحث والذي يهمنا من تلك المباحث ذكر المتشابه من كل سورة اذ غالباً ما كان يعمد الى تفسير القرآن باللغة ، وهو اسلوب يفهم من خلاله تفسير كثير من الآيات المتشابهة .

من ذلك قوله : ((وأما (الفرقان) فاسم على زنة (فُعْلان) مشتقٌ من الفرق ، وهو الفصل .. وقد يكون الفرقان بمعنى النصرة، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ يومَ الْتقَى الْجَمْعَانِ ﴾ (الأنفال ٤١) أي يوم النصرة . فقيل للقرآن : فرقان لما فيه من نصرة الدين وأهله . وقد يكون الفرقان بمعنى الخروج من الشك والشبهة، قال تعالى : ﴿ إِنْ تَتَّقُوْا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَّكُم فُرْقَاناً ﴾ (الأنفال ٢٩) فالقرآن فرقان بمعنى أنه تقوية وهداية، يحصل به الخروج من ظلمات الضلالات، والشكوك ، والشبهات)) (١) .

ومثل ذلك قوله في ذكر المتشابه من قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عن سَبِيلِ اللّٰهِ مَنْ آمنَ تَبغُونَها عِوَجاً ﴾ (آل عمران ٩٩) وقوله تعالى : ﴿ مَنْ آمنَ بهِ وتَبْغُونَها عِوَجاً ﴾ (الأعراف ٨٦) ففي الآية الاولى ليس بها (به) ولا واوالعطف والثانية بزيادة (به) وواو العطف ((لأن القياس (من آمن به)، كما في الأعراف لكنها حُذفت في هذه السورة موافقة لقوله (ومن كفر) فان القياس فيه ايضا (كفر به) وقوله (تبغونها عوجا) ههنا حال.و(الواو) لا تزاد مع الفعل اذا وقع حالاً ، نحو قوله ﴿ ولاَ تَمْنُنْ تَستكْثِرُ ﴾ (المدثر ٦) ، و﴿ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ ﴾ (سورة سبأ ١٤) وغير ذلك ، وفي الاعراف عطف على الحال، والحال قوله (تُوعَدِون) ، و(تَصُدُّون) عطف عليه ، وكذلك (تَبغُونَها عِوَجاً))) (٢) .

---

(١) البصائر ١/٨٣.

(٢) البصائر ١/١٦٥.

وفي ذكر المتشابه من قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة البقرة ١٧٣) يقول : ((قدّم (به) في هذه السورة ، وأخرها في المائدة[١] ، والأنعام [٢] ، والنحل [٣] ، لأنّ تقديم الباء الأصل ؛ فانها تجري مجرى الألف والتشديد في التعدي ، وكان كحرف من الفعل ، وكان الموضع الأول أولىٰ بما هو الأصل ، ليعلم ما يقتضيه اللفظ ، ثم قدّم فيما سواها ما هو المستنكر ، وهو الذبح لغير الله ، وتقديم ما هو الغرض أولىٰ . ولهذا جاز تقديم المفعول على الفاعل ، والحال على ذي الحال ، والظرف على العامل فيه ، اذا كان اكثر في الغرض من الأخبار)) [٤] .

وقد يستشهد بالقرآن الكريم في تفسير بعض المواد اللغوية والنحوية ليدعم رأيه إذ يُعدّ النص القرآني أعلى نص عربي فصيح مثال ذلك قوله : ((طار يطير طيراناً . وجمع الطائر : طير ، ك (راكِب ورَكْب) ، قال تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ﴾ (النمل ٢٠) ، وقد يُجمع على طيور وأطيار . وطيّرت الحمام وأطرته)) [٥] ومثاله قوله : ((الطوع : الانقياد ، وضده الكره . قال تعالى : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ (فصلت ١١) والطاعة : مثله . لكن أكثر ما يقال في الائتمار فيما أُمر)) [٦] .

وقوله ايضا : ((ظعن يظعن ـ ك (مَنَعَ يَمْنَعُ) ـ ظعنا وظعاناً : سار ، وأظعنه : سيّره ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ (النحل ٨٠) والظعينة المهودج ، فيه امرأة أولا)) [٧] .

وكذلك قوله : ((الصَّمم : انسداد الأُذن ، وثقل السمع . صَمَّ يَصَمُّ ـ بفتحهما ـ وصَمِمَ ك (عَلِمَ) نادر ، صَمّاً ، وصَمَماً ، وأصمّ بمعنى : صَمَّ . وأصمّه الله لازم متعدٍّ . قال تعالى : ﴿ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ (محمد ٢٣) وهو أصم . والجمع : صُمٌّ وصُمانٌ)) [٨] .

---

(١) في قوله تعالى : ((وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)) الآية ٣ .
(٢) في قوله تعالى : ((أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)) الآية ١٤٥ .
(٣) في قوله تعالى : ((وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)) الآية ١١٥ .
(٤) البصائر ١/ ١٥٠ـ١٥١ .
(٥) البصائر ٣/ ٥٣٣ .
(٦) البصائر ٣/ ٥١٩ .
(٧) البصائر ٣/ ٥٣٦ .
(٨) البصائر ٣/ ٤٣٩ .

← وينظر: أسرار التكرار ٣٩.

ومن استشهاده بالقرآن الكريم على المسائل النحوية: عقده لـ (بصيرة في) (أَفَمَنْ) بدأها بقوله :((إعلم أَنَّ (أَمَّن) و(أَم مَنْ) و(أَوَمَنْ) و(أَفَمَنْ) كانت في الأصل (مَنْ) وألحقوا بها هذه الحروف للاستفهام . والأصل في الاستفهام الهمزة وحدها ، ثم ألحقوا الواو ، والفاء ، والميم ، لزيادة التقرير والتأكيد ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ (النمل ٦١) لالزام الحجة . ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ (الأنعام ١٢٢) لبيان التمثيل)) [١] .

وكذلك نقله عن بعضهم من غير عزو في (بصيرة في حتّى) : ((وقيل : إن ما بعد (حتّى) يقتضي أن يكون بخلاف ما قبله نحو : ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ (النساء ٤٣) وقد يجيء ولا يكون كذلك نحو ما في الحديث " إن اللّه لا يملّ حتى تملّوا " ولم يرد أن يُثبت ملالاً للّه بعد ملالهم)) [٢] .

ونلمح عند الفيروزآبادي استشهاداً واسعاً (كثيراً) بالقرآن الكريم عند كلامه على الأدوات النحوية التي عقد لها بصائر . مثال ذلك (بصيرة في أو) إذ يقول : ((ويرد على اثني عشر وجها : للشك ، نحو : جاءني زيد أو عمرو ، وللتخيير : اشرب الماء أو اللبن ، وللإباحة : جالس الحسن أو ابن سيرين ، وبمعنى (حتى) : " لألزمنّك أو تعطيني حقي " ، وبمعنى الواو : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ (الانسان ٢٤) ، وبمعنى (بل) : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ (الصافات ١٤٧) ، ... وللتبعيض : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ (سورة البقرة ١٣٥) ...)) [٣] .

وفي الحق يمكننا القول إننا لا نكاد نقع عين أحدنا على ورقة من البصائر ليس فيها استشهاد بالقرآن الكريم [٤] .

* القراءات القرآنية :

لم يتبيّن للفيروزآبادي – في بصائره – في القراءات منهجٌ محدَّدٌ أو رأيٌ معين ، مع أنه عُنِيَ عناية كبيرة بالقراءات واستشهد للقراء بشكل واضح . فقد استشهد بقراءات القراء السبعة أمثال : نافع بن عبد الرحمن [٥] (ت ١٦٩ هـ) وعبد الله بن كثير [٦] (ت ١٢٠ هـ)

(١) البصائر ٢/٤٧٠ .
(٢) البصائر ٢/٤٢٨ .
(٣) البصائر ٢/١٢٢ .
(٤) ينظر : البصائر ٢/٤٩ و٥٧ و١١٨ و١٢١ و٢٢٥ و٣٨٥ و٤٠١ و٥٨٥ ، ٣/٢٣٤ و٤٢٧ و٤٣٠ و٤٥٦ و٤٨٧ و٤٩٩ و٥٠١ و٥٠٦ و٥٠٩ و٥١٠ و٥٤٩ .
(٥) ينظر : البصائر ٢/٥٨٧ ، ٣/٦٣ و٣٠٥ و٣٤٨ ، ٥/١٦٢ .
(٦) ينظر : البصائر ٣/٨٩ و٣٢٦ و٤٩٠ ، ٤/١٤٤ .

وأبي عمرو بن العلاء[١] (ت ١٥٤هـ)، وعاصم بن أبي النجود[٢] (ت ١٢٧هـ) وراويه : أبي بكر شعبة بن عياش[٣] (ت ١٩٣هـ)، وحفص بن سليمان[٤] (ت ١٨٠هـ). وحمزة بن حبيب الزيات[٥] (ت ١٥٦هـ) وراويه : خلف بن هشام البزار[٦] (ت ٢٢٩هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي[٧] (ت ١٨٩هـ)، وعبد الله بن عامر[٨] (ت ١١٨هـ) وراوييه : هشام بن عمّار السلمي[٩] (ت ٢٤٥هـ) وعبد الله بن ذكوان[١٠] (ت ٢٤٢هـ).

وكذلك استشهد بقراءات بقية العشرة وبعض رواتهم أمثال : يعقوب بن اسحاق الحضرمي[١١] (ت ٢٠٥هـ) وراويه : روح بن عبد المؤمن[١٢] (ت ٢٣٤هـ)، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع[١٣] (ت ١٣٠هـ)، وخلف بن هشام البزار[١٤] (ت ٢٢٩هـ). واستشهد بثلاثة قراء من بقية الأربعة عشر منهم : ابن محيصن[١٥] (ت ١٢٣هـ)، والحسن البصري[١٦] (ت ١١٠هـ)، والأعمش[١٧] (ت ١٤٨هـ).

ويستعمل مصطلحات عامة للقراء من مثل : قرأ الكوفيون[١٨]، ويريد بهم عاصماً وحمزة والكسائي (من السبعة) وخلفاً (من العشرة). أو قرأ الكوفيون غير عاصم[١٩].

---

(١) ينظر: البصائر ١/ ٣٣٢، ٣/ ٢٣٥ و٨٩ و٣٩٠، ٤/ ٧٥ و١٤٤ و١٨٤ و٥١٢.
(٢) ينظر: البصائر ٣/ ٣٠٥ و٣٤٨ و٣٩٠ و٤٨٧ و٥٠٢، ٤/ ١٤٤.
(٣) ينظر: البصائر ٢/ ٥٣٧، ٣/ ٣٤٨ و٤١٤، ٤/ ٩٨.
(٤) ينظر: البصائر ٢/ ٥٨٧، ٤/ ٣٥١ و٤٤٥، ٥/ ٢٢٢.
(٥) ينظر: البصائر ٢/ ٦٤ و٥٠٢ و٥٨٧، ٣/ ٣٠٥ و٣٩٠، ٤/ ٨ و١٠٢ و٩٨.
(٦) ينظر: البصائر ٢/ ٥٨٧، ٣/ ٥١٢، ٤/ ١٠٢ و١٩٨.
(٧) ينظر: البصائر ٣/ ٥١٢ و١٥٢، ٤/ ١٠٢ و٤٧ و٩٨ و٣٣٨.
(٨) ينظر: البصائر ١/ ١٦٧، ٣/ ٣٤٨، ٤/ ٧٥.
(٩) ينظر: البصائر ٤/ ٣٣٨ و٤٣٤.
(١٠) ينظر: البصائر ٣/ ٤٥٤، ٤/ ٤٣٩.
(١١) ينظر البصائر ٢/ ٥٨٧، ٣/ ٣٩٠، ٤/ ٦٣ و١٤٥ و٥١٤.
(١٢) ينظر: البصائر ٤/ ١٤٥، ٥/ ١٦٢.
(١٣) ينظر: البصائر ٢/ ٤٥٣، ٣/ ٦٣ و١٦٢ و٣٠٥.
(١٤) ينظر: البصائر ٢/ ٥٨٧، ٣/ ٥١٢، ٤/ ٢١ و٩٨ و٤٩٨ و١٥٢، ٥/ ١٩٨ و٢١٣.
(١٥) ينظر: البصائر ٣/ ٣٢٦، ٤/ ١٤٧.
(١٦) ينظر: البصائر ٢/ ٥٣٧ و٥٧٤، ٣/ ٣٥ و٣٢٦ و٤٥٤، ٤/ ٧٥، ٥/ ١١٠.
(١٧) ينظر: البصائر ٣/ ٣٩٠، ٤/ ٨ و٣٣٨، ٥/ ١١٠ و٣٠٠.
(١٨) ينظر : البصائر ٢/ ٤٨٠، ٣/ ١٦٣ و٥١٩.
(١٩) ينظر: البصائر ٣/ ٥١٩.

أو يستعمل (والباقون) [١] ويريد بهم من لم يذكر من القراء في ذلك الحرف . أو(قراءة النحويّين)[٢] ويريد بهما : أبا عمرو بن العلاء والكسائي . أو(قراءة الكوفيّين) [٣] ويريد بهما ابن كثير ونافع .

ويستشهد بقراءات اخرى لقراء من غير الأربعة عشر من مثل : أبان بن تغلب [٤]، وابراهيم ابن أبي عبلة [٥] ، وابراهيم النخعي [٦] ، وابن أبي ليلى [٧] ، وأبي الأشهب [٨] ، وأبي البرهسم [٩] ، وأبي بن كعب [١٠] ، وأبي حاتم [١١] ، وأبي حيوة [١٢] ،وابي رجاء العطاردي [١٣] ، وأبي السمّال [١٤] ، وأبي عثمان النهدي [١٥]، وأبي قلابة [١٦] ، وأبي واقد [١٧]، وأبي وثّاب [١٨] ، والاعرج [١٩] ، والبرجمي [٢٠]، وبلال بن أبي بردة [٢١] ، وثابت البناني [٢٢] ، والجراح [٢٣] ، والزهري [٢٤] ،

---

(١) ينظر: البصائر ٣/١٦٣ و٨٩ ٢و٥ ٣٠و٨ ٣٤و٨٧ ٤و٥١٢، ٤/٨ ٩و١٤٥، ٥/١٦٢ و٢١١.
(٢) ينظر: البصائر ٤/٤٤٦.
(٣) ينظر: البصائر ٤/٤٤٦.
(٤) ينظر: البصائر ٤/٨.
(٥) ينظر: البصائر ٣/٥١٢، ٤/٤٣٩، ٥/١٦٢و٢١١.
(٦) ينظر: البصائر ٤/٨.
(٧) ينظر: البصائر ٥/٢١١.
(٨) ينظر: البصائر ٣/٣٢٧.
(٩) ينظر: البصائر ٣/٥٣ ٤و٥١٢، ٦ ١٢و٢١١.
(١٠) ينظر: البصائر ٣/١٣٧، ٤/٣٩٥و٤٥٩.
(١١) ينظر: البصائر ٣/٣٠٥.
(١٢) ينظر: البصائر ٣/٣٠٣و٤٥٤، ٤/٧٥، د ٥/١٦٢.
(١٣) ينظر: البصائر ٣/٣٢٦و٤٥٤، ٤/٣٣٨.
(١٤) ينظر: البصائر ٤/١٨٤.
(١٥) ينظر: البصائر ٢/٥٧٤، ٣/٣٠٥.
(١٦) ينظر: البصائر ٣/٣٠٣.
(١٧) ينظر: البصائر ٥/١٨.
(١٨) ينظر: البصائر ٤/٨.
(١٩) ينظر: البصائر ٢/٥٣٧، ٣/٦٣و٣٢٦، ٤/٧٥و١٨٤، ٥/١٦٢.
(٢٠) ينظر: البصائر ٣/٣٩٠.
(٢١) ينظر: البصائر ٢/٥٣٧.
(٢٢) ينظر: البصائر ٣/٣٢٦و٣٢٧.
(٢٣) ينظر: البصائر ٥/١٨.
(٢٤) ينظر: البصائر ٣/٤٢٦.

وزيد بن قطيب [١] ، وسهل [٢] ، وشيبان [٣] ، والضّحاك [٤] ، وطاووس [٥] ، وعبيد بن عمر [٦] ، وعطية بن قيس [٧] ، وعلي بن صالح [٨] ، وعوف بن أبي جميلة [٩] ، وعيسى بن عمر [١٠] ، وقتادة [١١] ، ومجاهد [١٢] ، ومحمد بن اليماني [١٣] ، ومقاتل بن سليمان [١٤] ، ونبيح [١٥] ، ويزيد النحوي [١٦] .

وقد يذكر قراءات بعض الصحابة وهم : علي بن أبي طالب [١٧] (عليه السلام) ، وعبد الله بن مسعود [١٨] ، وأبو هريرة [١٩] ، وعبد الله بن عباس [٢٠] ، وعبد الله بن الزبير [٢١] .

ولا يكتفي بذكر قراءات من تقدم ذكرهم بل يستشهد بقراءات بعض التابعين وتابعي التابعين أمثال : ابن الحنفية [٢٢] ، وسعيد بن جبير [٢٣] ، ويحيى بن يعمر [٢٤] ، وزيد بن علي [٢٥] ، وعون بن عبد الله [٢٦] .

---

(١) ينظر: البصائر ٣/٣٢٦و٤٥٤، ٥/١٨٠
(٢) ينظر: البصائر ٣/٦٣و٣٩٠
(٣) ينظر: البصائر ٤/٨٠
(٤) ينظر: البصائر ٢/١١٧، ٤/٨، ٥/١ ٣، و١٠٩و ٢٠٧و٢٦٢و٣٥٣٠
(٥) ينظر: البصائر ٢/٥٧٤، ٤/٤٣٢، ٥/١٦٢، ٦/١٠٣٠
(٦) ينظر: البصائر ٤/١٧٠
(٧) ينظر: البصائر ٣/٣٠٣٠
(٨) ينظر: البصائر ٤/٨٠
(٩) ينظر: البصائر ٣/٣٢٦٠
(١٠) ينظر : البصائر ٢/٥٣٧، ٤/١٨٤٠
(١١) ينظر: البصائر ٣/٣٢٦، ٤/١٨٤، ٥/٢١١٠
(١٢) ينظر: البصائر ٣/٣٠٥و٣٢٦و٤٥٣٠
(١٧) ينظر: البصائر ٢/٢٥٣، ٤/٣٣٨، ٥/١٩٨و٢١١٠
(١٨) ينظر: البصائر ٢/٤٢٩، ٣/٤٥٣، ٤/٨٠
(١٩) ينظر: البصائر ٣/٤٥٣٠
(٢٠) ينظر: البصائر ٢/٣و٣٤٥و٤٥٣، ٣/٥١٢، ٤/٨ .
(٢١) ينظر: البصائر ٤/٤٨٧٠
(٢٢) ينظر: البصائر ٣/١٩٢٠
(٢٣) ينظر: البصائر ٣/٣٢٦و٥١٢، ٤/١٨٤و٤٣٤، ٥/١٦٢٠
(٢٤) ينظر: البصائر ٤/٤٣٤، ٥/١٦٢٠
(٢٥) ينظر: البصائر ٥/٦٠و٢١١٠
(٢٦) ينظر: البصائر ٣/٤٥٤٠

(١٣) ينظر: البصائر ٣/٣٢٦٠
(١٤) ينظر: البصائر ٥/١١٠٠
(١٥) ينظر: البصائر ٥/١٨٠
(١٦) ينظر: البصائر ٤/٤٣٤٠

وكان استشهاده بقراءات هؤلاء من أجل توضيح بعض الظواهر اللغوية أو النحوية، من ذلك ما قاله في (بصيرة في غلف) : ((والغِلاف للسيف ونحوه ، معروف ، والجمع : غُلُف وغُلَّف كـ (رُكَّع) وقرأ به ابن محيصن في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ (١) (سورة البقرة ٨٨)، قيل : هو جمع (أغلف) من قولهم : قلب أغلف كأنما أُغشي غِلافاً فهو لا يعي . ويكون ذلك كقوله : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ (فصلت ٥) ، وقيل : معناه : قلوبنا أوعية للعلم فلا يحتاج الى أن نتعلم منك ، وقيل : قلوبنا مغطاة، وقيل : غُلف هنا جمع غِلاف ، والأصل (غُلُف) بضم اللام نحو : كتب وقد قرئ به)) (٢) .

ومثل ذلك قوله : ((ويقال : كَذَّب كُذَّابا بالضم والتشديد أي متناهياً ، وقرأ ابن عبد العزيز : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُذَّاباً ﴾ (النبأ ٢٨)، ويكون صفة على المبالغة كـ (وُضَّاء) و(حُسَّان) . ومن قرأ (كِذَّاباً) بالكسر فهو أحد مصادر المشدَّد بلا ن مصدره قد يجيء على (تَفْعِيل) مثل : التكليم ، وعلى (فِعَّال) مثل : كِذَّابه وعلى (تفعِلة) مثل تكِلة، وعلى (مُفَعَّل) مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ (سبأ ١٩) وقرأ علي (رضي الله عنه) والعطاردي والأعمش والسلمي والكسائي : ((ولا كِذَّابا)) (٣) ، قيل : هو مصدر : كاذبته مكاذبةً وكِذابا ، وقيل : مصدر كَذَب كِذاباً مثل : كتب كِتاباً وأكذبتُهُ : وجدته كاذباً ...)) (٤) .

وقوله ايضا : (((اللُّغوب) : التعب والاعياء والنَّصَب تقول منه : لَغَب يَلْغُب ـ كنصر ينصر ـ لُغُوباً . ولَغِب يلْغَب لغة فيه ضعيفة . واللَّغوب ـ بفتح اللام ـ كالقَبول والوَلوع والوَضوء وأشباهها . وقرأ ابو عبد الرحمن السُلمي ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير ويزيد النحوي : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لَغُوب ﴾ (٥) (سورة ق ٣٨) ـ بفتح اللام ـ ورجل لَغْب بالفتح : ضعيف بيّن اللَّغابة)) (٦) .

---

(١) قرأ اللُّؤْلُؤِيّ عن أبي عمرو (قلوبنا غُلُف) بضم اللام . ينظر: مختصر في شواذ القراءات ٨ .

(٢) البصائر ٤/ ١٤٧ .

(٣) قرأ الكسائي (كِذابا) بالتخفيف، جعله مصدر " كذب" .وقرأ الباقون بالتشديد . ينظر: الحجة في القراءات السبع ٣٣٣، التيسير في القراءات السبع ٢١٩، الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ٣٥٩ .

(٤) البصائر : ٤/ ٣٣٨ـ٣٣٩ .

(٥) قرأ علي (رضي الله عنه) والسلمي (لَغوب) بفتح اللام . ينظر: مختصر في شواذ القراءات ١٤٥ .

(٦) البصائر ٤/ ٤٣٤ .

وقال الفيروزآبادي :((لَقِفْتُ الشيء بالكسر ألقفه لَقْفاً ولَقَفاناً، أي تناولته بسرعة . وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ [1] (سورة طه ٦٩) . بسكون اللام ورفع الفاء على الاستئناف . وتَلَقَّفَ الشيء : ابتلعه ، قال الله تعالى : ((تَلَقَّفُ ما صنعوا)) . وقرأ ابن ذكوان :(تَلَقَّفُ) برفع الفاء على الاستئناف ...)) [2] .

ومنها قوله ايضا :((طلعتِ الشمسُ والكواكب طَلُوعا، ومَطْلَعاً ومَطْلِعاً . والمَطْلِع ايضاً : موضع الطلوع . وقرأ الكسائي وخلف وأبو عمرو في إحدى الروايتين : ﴿ حَتَّىٰ مَطْلِعِ الْفَجْرِ ﴾ (القدر ٥) بكسر اللام، والباقون بفتحها [3] . وقال بعض البصريين : من قرأ بالكسر فهو اسم لوقت الطلوع . وقال الفراء : المطِلع ـ بالكسر . أقوى في قياس العربية، لأن المطلَع ـ بالفتح ـ هو الطلوع)) [4] .

وقد يروي بعض القراءات من غير ان يصرّح باسم أحد من القراء المتقدم ذكرهم . ويوجه القراءة من أجل بيان المعنى ، من ذلك قوله : ((وقولهم :(ماذا) يستعمل على وجهين ، احدهما : أن يكون (ما) مع (ذا) بمنزلة اسم واحد . والآخر: أن يكون (ذا) بمنزلة (الذي) . فالأول نحو قولهم: عماذا تسأل ؟ فلم يحذف الالف منه ما لم يكن (ما) بنفسه للاستفهام ، بل كان مع (ذا) اسماً واحداً ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ (سورة البقرة ٢١٩) فإن من قرأ ﴿ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [5] بالنصب جعل الاسمين اسماً واحداً ، كأنه قال : أيَّ شيء ينفقون ؟ ومن قرأ بالرفع فإنه بمنزلة (الذي)، وما للاستفهام ، أي ما الذي ينفقون ؟)) [6] .

وكقوله :((والظهار : أنْ يقول الرجل لامرأته :أنت عليّ كظهر أمي . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم ﴾ (المجادلة ٢) وقرئ :(يَظَّاهَرون)[7]،

---

(١) قرأ ابن عامر وحده :(تَلَقَّفُ) برفع الفاء وتشديد القاف . وروى حفص عن عاصم : (تَلْقَفْ) بتسكين اللام وتخفيف القاف والجزم . وقرأ الباقون وابو بكر عن عاصم : (تَلَقَّفُ) مجزومة الفاء . ينظر: السبعة في القراءات ٤٢٠ـ٤٢١ .

(٢) البصائر ٤/٤٣٩ .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وابوعمرو وابن عامر وحمزة :(مَطْلَع) بفتح اللام وقرأ الكسائي : (مَطْلِع) بكسر اللام . وروى عبيد عن أبي عمرو :(مَطْلِعِ) بكسر اللام . ينظر: السبعة ٦٩٣، الكشف ٢/٢٨٥ .

(٤) البصائر ٣/٥١٢ .

(٥) قرأ ابو عمرو وحده (قل العَفْوُ) بالرفع . وقرأ الباقون بالنصب وعن ابن كثير انه قرأ :(قل العفو) بالرفع، والمعروف عن المكيين النصب . ينظر: السبعة ١٨٢ .

(٦) البصائر ٣/٢٦ .

(٧) قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو (يَظَّهَّرون) بغير الف مشدّدة . وقرأ عاصم وحده (يُظْهِرُونَ) خفيفا بألف وياء مضمومة . وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (يَظَّاهَرُونَ)

أي : يتظاهَرون فأُدغم ، و(يَظَّهَّرون))) (١) .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ ﴾ (سورة البقرة ١٨٤) يقول : ((ظاهره أنَّ المطيق له يلزمه فدية افطر أو لم يفطر، وقرئ : ((وعلى الذين يطوّقونه)) أي يُحملون على ان يَتَطَّوقوا)) (٢) . وغير ذلك من الأمثلة كثير (٣) .

* شَوَاذُّ القراءات :

لم يغفل الفيروزآبادي أنْ يذكر في بصائره بعض القراءات الشاذة ويصرّح باسم من قرأ بها، من ذلك ما ورد عن قراءة ابن مسعود التي عدّها شاذة وهي (عتى حين) في حين جعلها غيره لغة شاذة فيقول : ((وقد يبدل (يعني : حتى) حاءها عيناً، وقرئ في الشاذ ﴿ عَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٤) (يوسف ٣٥) قرأ بها ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ، فلما بلغ ذلك عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : إن القرآنَ لم ينزل على لغة هُذيل فأَقرِئ الناس بلغة قريش . قال الفراء : (حتى) لغة قريش وجميع العرب الا هُذيلاً وثقيفاً فانهم يقولون : (عتى) وانشدني بعض أهل اليمامة :

لا أَضعُ الدّلو ولا أُصلِّي
عتّى أرى جِلّتها تولِّي
صَواد راً مثل قِبَاب التَلِّ)) (٥)

وكذلك قوله :((و قرأ ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير ، وأبو البرهسم ، وعمّار مولى بني هاشم : ﴿ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ (٦) (الصافات ٥٤) بسكون الطاء وفتح النون ،

= بفتح الياء والف مشددة الظاء . ينظر: السبعة ٦٢٨ ، الكشف ٢/ ٣١٣ .

(١) البصائر ٣/ ٥٤٩ .

(٢) البصائر ٣/ ٥٢٥ .

(٣) ينظر : البصائر ١/ ٨١ و ٥٤ و ٢١٧ ، ٢/ ٧٥ و ٨٨ و ٣٦٥ و ٤٨٥ و ٥٩٠ و ٥٩٥ ، ٣/ ٩٤ و ١٠٣ و ٨٤ و ٩٣ و ٣٩٦ و ٥٢ و ٤٠٧ و ٤٧٧ و ٨٢٥ و ٥٣٩ ، ٤/ ١٩٠ و ٢٧٠ .

(٤) ينظر : مختصر شواذ القراءات ٦٣ .

(٥) البصائر ٢/ ٤٢٩ .

(٦) قرأ السبعة كلهم (مُّطَّلِعُون . فَٱطَّلَعَ) وعن الجعفي عن أبي عمرو وابن عباس وابن محيصن (مُّطْلِعُون . فَأَطْلِعَ) الالف مضمومة والطاء ساكنة واللام مكسورة والعين مفتوحة . ينظر: السبعة ٥٤٨ . ومختصر في شواذ القراءات ١٢٨ .

فأُطْلِع بضم الهمزة ، وسكون الطاء وكسر اللام ، على معنى : فهل أنتم فاعلون بي ذلك ؟ وقرأ أبو عمرو وعمّار المذكور ، وأبو سراج وابن أبي عبلة، بكسر اللام (فأُطَّلِع) كما مرّ. قال الأزهري : هي شاذة عند النحويين أجمعين ، ووجه ضعيف. ووجه الكلام على هذا المعنى : هل أنتم مطَّلِعيَّ وهل أنتم مطَّلِعوه ، بلا نون كقولك : هل أنتم آمِروه وآمِريَّ . وأما قول الشاعر:

هُمُ القائِلون الخيرَ والآمِرونَه إذا ما خَشُوا من مُحدَث الأمر مُعْظما

فوجه الكلام : والآمرون به . وهذا من شَواذّ اللغات)) (١).

ومن شَواذّ القراءات التي رواها الفيروزآبادي قوله :((قرئ في الشّاذ ﴿ سَبْخاً ﴾ (٢) (المزمل ٧). سبخ اللّٰه عنه الحمى تسبيخاً أي نَفَّسَها عنه))(٣) .

* الحديث النبوي :

استشهد الفيروزآبادي في بصائره بجملة من الأحاديث النبوية لدعم رأيه أو آراء من ينقل عنهم في كثير من المسائل اللغوية والقضايا النحوية ، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ طَوَّافُون عَلَيْكُمْ ﴾ (النور ٥٨) فيقول : ((قال الفراء، انما هم خدمكم . وقال ابو الهيثم : الطوّاف : الخادم الذي يخدمك برفق وعناية، وجمعه : الطوّافون .وفي الحديث: " الهرة ليست بنجسة ، إنما هي من الطوافين عليكم والطوافات " ، جعلها بمنزلة المماليك من قوله تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ ﴾ (الواقعة ١٧))) (٤).

وكذلك قوله : ((طَمِع فيه – بالكسر – يَطْمَعُ طَمَعاً ، وطَماعة، وطماعية، فهو طمِعٌ ، وطامعٌ ، وطَمُع ، ومنه الحديث : " استعيذوا بالله من طَمَعٍ يهدي الى طَبَع"(*) .

وقال ثابت ابن قطنة :

---

(١) البصائر ٣ / ٥١٢ .
(٢) قرأها يحيى بن يعمر . ينظر مختصر في شواذ القراءات ١٦٤ .
(٣) البصائر ٣ / ١٧٩ .
(٤) البصائر ٣ / ٥٢٣ .
(*) يعني : الى سجية بحيث تصبح ملكة خاصة بالنفس .

لا خيرَ في طَمَعٍ يَهدي الى طَبَعٍ وغُفَّةٌ من قِوام العيش تكفيني)) (١).

ومنها قوله :((وتألف فلان فلاناً أي قاربه ، ووصله ، حتى يستميله اليه . والإلف والأليف بمعنًى . وفي الحديث : " المؤمن ألوف مألوف" وفيه :(يعني : الحديث) : " للمنافقين علامات يعرفون بها : لا يشهدون المساجد الا هجراً ، ولا يأتون الصلاة الا دبراً ، متكبرين مُتَجَبِّرين لا يألفون ولا يؤلفون . جيفة بالليل بُطَّال بالنهار" وفي الصحيحين : " الأرواح جنود مجندة . فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" . ويقال : النفس عَزُوف ألُوف)) (٢) .

وقد يروي الفيروزآبادي حديثاً ويبدأ بتفسيره نقلاً عن اصحاب الحديث من ذلك قوله :((وقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير" فسّره أهل الحديث فقالوا : الحصير كلّ ما نسج من جميع الاشياء لأن بعضه نسج ببعض ، سداه بلحمته . وقالوا : المراد من هذا أن الحصير ثوب مزخرف موشّى حسن إذا نُشر أخذت القلوبَ مآخِذُهُ لحسن وشيهِ وصنعته ، وكذلك الفتنة تُزَيَّن للناس وتُزَخْرَف ، وعاقبة ذلك الى غرور)) (٣) .

ونود هنا أن نشير الى ان الفيروزآبادي قد يستشهد بالحديث القدسي ثمَّ يُوردُ الحديث النبوي . مثال ذلك :((وجمع الظن : ظنون وأظانينُ . وفي الأحاديث القدسية : " انا عند ظن عبدي بي ، وانا معه اذا ذكرني " . وفي الحديث الصحيح : " إياكم والظن ، فان الظنَ أكذبُ الحديث " . وقال : " لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بي " قال الشاعر:

أحسنتَ ظَنَّك بالأيّام إذْ حَسُنت ولم تَخفْ سُوءَ ما يأتي به القَدَرُ
وسالَمَتْكَ اللّيالي فاغتررتَ بها وعند صَفْو الليالي يَحْدُث الكَدَرُ)) (٤)

---

(١) البصائر ٣/٥١٦ .

(٢) البصائر ٢/٥٠٤، وينظر : ٢/٢٢٠ و٤٠١ و ٤٢٣ و٤٢٧ ، ٣/٢٨٩ ، ٤١٣ ، ٤/ ١٠٩ .

(٣) البصائر ٢/ ٧١ ٤ .

(٤) البصائر ٣/٥٤٥ .

* الأمثـال :

استشهد الفيروزآبادي في البصائر بالأمثال . جاء ذلك في معرض حديثه عن كثير من المواد اللغوية واشتقاقاتها .ومن ذلك ما جاء في اشتقاق كلمة(العارية) اذ يقول فيها : ((والعارِيَّة : (فَعْلِيَّة) من (العار) لأنَّ استعارتها تجلب المذمة والعار . وفي المثل : قيل للعارية : أين تذهبين ؟ فقالت : أجلب الى أهلي مذمَّة وعاراً)) (١).

وفي (بصيرة في أفلح) يرى أن أصل المادة للشق : ((وسُمّي الفلّاح لكونه يشق الأرض .وفي المثل : (الحديدُ بالحديدِ يُفلح) . والفَلاح : الظفر، والفوز بالبغية)) (٢).

وقد يرد معنى بعض الألفاظ ويستشهد عليه بمثل نحو قوله : ((والحصير البارِيّ . وفي المثل : (أسير على حصير) قال :

فأضحىٰ كالأسير على سريرٍ وأمسىٰ كالأسير على حصير))(٣)

ويرى أن الجذع ((واحدُ جذوع النخل . وفي المثل : (خُذْ من جِذع ما اعطاك) ، يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل، وقيل : المراد بالجذع في المثل : جذع بن عمرو الغساني ،كان من أبخل الناس)) (٤) .

ويقال إن((الصوف للضَّأن، والصوفة أخص منه . وفي المثل : (خَرْقاء وَجَدت صُوفا) وأصله المرأة غير الصناع تصيب صوفاً فلا تحذِق غزله ، فتفسده . يضرب للأحمق يجد مالاً فيضيّعه)) (٥) ومواضع الاستشهاد بالأمثال كثيرة (٦) .

---

(١) البصائر ٤/ ١١٢ . وينظر: مجمع الأمثال ٢/ ٣٧، مع بعض التغيير.
(٢) البصائر ٢/ ١٨٠ . وينظر: الأمثال ١١٦، مجمع الأمثال ١/ ٤٠، المستقصى ١/ ٤٠٣.
(٣) البصائر ٢/ ٤٧٠.
(٤) البصائر ٢/ ٣٧٥ . وينظر : مجمع الأمثال ١/ ٢٩٩.
(٥) البصائر ٣/ ٤٥٥ . وينظر: الأمثال ١٢٦، مجمع الأمثال ١/ ٣٠٥.
(٦) ينظر: البصائر ١/ ٧٠ و٨١ و٣٨٤، ٣/ ٧ و١٤ و٢١ و٣٣٠، ٤/ ٥١١ و٦٦ ، ٥/ ١٠٥ و١٥٦ و٥٦ و٢٧٨.

* اللهجات واللغـات:

استأثر كتـاب (بصائر ذوي التمييز) بطائفة لا بأس بها من الاستشهاد باللغات . وكان ذلك مكملاً لجملة الاستشهاد بالنثر التي وقف عندها الفيروزآبادي جاء ذلك في تفسير كثير من القضايـا النحوية واللغوية، إذ إنه قد يعزو اللهجة أو اللغة الى الناطقين بهـا . وقد لا ينسبها اليهم . من ذلك ماجاء في (بصيرة في الواو) وذكر أوجها متعـددة للواو تخرج عن إفادة مطلق الجمع منها (واو) علامة المذكّرين في لغة طيء أو ازد شنوءة أو بلحارث . واستشهد على ذلك بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " يتعاقبـون فيكـم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " (١) .

وقد تسمى هذه اللغة بلغة " أكلوني البراغيث " وهي اللغة التي تلحق الفعـل ضمير تثنية أو جمع مع وجود الفاعل الظاهر بعدها وهو مثنى أو مجموع .

ويرى أحد الباحثين (٢) أن الأصل في اللغات السامية أن يعامل الفعل فيهـا معاملته في لغة (أكلوني البراغيث) وقد بقي من هذا الأصل في العربية، أمثلة فـي اللهجـات المختلفة، كما توجد منه بعض الأمثلة في : القرآن الكريم (٣) ، والحديـث الشريف (٤) ، والأشعار (٥) .

كما أن هذه الظاهرة موجودة في كلامنا، في اللهجات العربية الحديثة، كقولنـا مثلاً: (ظلموني الناس) . وقد جعل الحريري (ت٥١٦هـ) ذلك من لحن العامة(٦) ورَدّ عليه

(١) ينظر: البصائر ٥/١٤٩ـ١٥٠ .
(٢) الدكتور حاتم الضامن في كتابـه : فقه اللغة ١٥ .
(٣) مثال ذلك قوله تعالى :((ثم عَمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهم)) (المائدة ٧١) .
وقوله تعالى :((وأسرُّوا النَّجْوَى الَّذينَ ظَلَمُوا)) (الانبياء ٣) .
(٤) منها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " ما أغبَرَّتا قدما عبدٍ في سبيل اللـه فتمسه النار" . صحيح البخاري ١٦ .
وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " يعتزلْنَ الحَيَّضُ المُصَلَّى " ينظر: صحيـح البخاري ٢٢، الجامع الصحيح ٢٦ .
(٥) قول أحيحة بن الجُلاح :
يَلُومُونني في اشتراء النخيـ ـلِ أهلي فَكُلُّهُمُ يَعْذِلُ (شرح شواهد المغني ٢٦٥) .

وقول مجنون ليلى :
ولو أَحْدَقوا بِي الأنسُ والجنُّ كُلُّهم لكي يمنعوني أن أجيكِ لَجِيْتُ (ينظر: الديوان ٧٤) .

(٦) ينظر :درة الغواص في أوهام الخواص ٦٥ .

الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) بأنها لغة قوم من العرب يجعلون الألف والواو حرفين علامة للتثنية والجمع والاسم الظاهر فاعلاً. وقد وقع منها في الآيات والأحاديث وكلام الفصحاء ما لا يحصى (١) .

ومما جاء في (البصائر) قوله :((اليأس واليآسة : القنوط ، ابن فارس : اليأس: قطع الأمل ، وليس في كلام العرب ياءٌ في صدر الكلام بعدها همزة إلا هذه...، يئِسَ يَيْئِسُ بالكسر فيهما ، وهي شاذة ، وقرأ الأعرج ومجاهد : ﴿ ولا تَيْئِسوا من روح اللّه ﴾ (*)(يوسف ٨٧) بكسر الهمزة . وقرأ ابن عباس رضي اللّه عنهما ﴿ انه لا يِيئِس من روح اللّه ﴾ (**) (يوسف ٨٧) وهذا على لغة تميم وأسد وقيس وربيعة ، يكسرون أول المستقبل إلا ما كان في أوله ياءٌ نحو يَعْلم لاستثقالهم الكسرة على الياء، ... وقال المبرد : منهم من يبدل في المستقبل من الياء الثانية الفا فيقول ياءس قال : ويقال : يئِس ييأس ك (حَسِب ـ يَحْسِبُ) و(نعِم ـ يَنْعِم) ، ويئِس ييئِس بالكسر فيهن، وقال أبو زيد : عُليا مضر يقولون : يَحْسِبُ وينعِم ويييئِس بالكسر، وسُفلاها بالفتح . وقال سيبويه :وهذا عند اصحابنا يجيء على لغتين ، يعني يئِس ييأس ، يأس ييئِس، ثم يركب منهما لغة ثالثة ...ويئِس ايضاً بمعنى عَلِمَ في لغة النخع ، ومنه قوله :﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ (الرعد ٣١) ...)) (٢) .

ومما ذكره نقلاً عن بعض العلماء قوله :((... رجل غضبان وامرأة غَضْبَى . ولغة بني أسد غضبانة، وقوم غضبى وغُضابى وغَضابى مثل سكرى وسُكارى وسَكارى)) (٣) .

وقال في (بصيرة في وجد) :((وَجَدَ مطلوبَهُ يَجِدُهُ وُجوداً، ويَجُدُه بالضم لغة عامريّة لا نظير لها في باب المِثال .ووَجِدَ بكسر الجيم لغةٌ ...)) (٤) .

وغير ذلك من الأمثلة التي ذكر فيها اسماء الناطقين باللهجة أو اللغة (٥) .ومن أمثلة ما لم يذكرفيه ذلك، بل يكتفي بذكر (لغة) أو(لغات) قوله :((وسئل ابو عمرو بن العلاء عن تصغير (اسم) فقال : (أُسَيْمٌ)وفيه سبع لغات :إسم وأُسْم ـ بكسر الهمزة وضمّها ـ وسِم مثلثة، وسِمي مثلثة . وقرئ (بِسْمَى الله) على وزن (هُدَى))) (٦) .

---

(١) ينظر: شرح درة الغواص ١٥٢ .
(٢) البصائر ٥ / ٣٧٤ـ٣٧٥ .
(٣) البصائر ٤/ ١٣٦ .
(٤) البصائر ٥ / ١٦٢ .
(٥) ينظر: البصائر٣/ ٥ ٢و٩٨ ٢و٥٨ ٤و٤٧٦، ٤ / ١٨٤، و٧٥ ٢و١٥٢و٥٣٦، ٥ / ٨٨ و٥٦ ١و٥٧ ١و١٤١ .
(٦) البصائر ٢/ ٧٤ـ٧٥ .

(*) وهي في المصحف بفتحها .
(**) وهي في المصحف بفتحها ايضاً .

وكذلك قوله : ((والأبا لغة في الأب • وكذا الأبُّ مشددة)) [١] • ومنها قوله : ((لَدُنْ ولَدَن بضم الدال وفتحها، ولَدْن كـ (أَيْنَ) ، ولُدْنِ بضم اللام وكسر النون، ولَدُ بضم الدال : ولَدَى كـ (على)، ست لغات)) [٢]. وأمثلة هذا كثير [٣].

وقد يذكر أوجهاً مختلفة على اختلاف اللغات من غير تفريق أو تمييز، من ذلك قوله :((و الصَّنْع والصُّنْع، الفتح لتميم والكسر لقيس، والمِصْرَع بفتح الراء ، الطرح بالأرض، ...)) [٤] • وكذلك قوله : ((وقرأ قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ [٥] (الكهف ٥١) • بالفتح الأعرج وأحمد بن موسى عن أبي عمرو • وهي لغة تميم وبكر، وقرأ بالضم ابو حَيْوة • وقرأ الحسن والأعرج وابن عامر وأبو عمرو (عُضُداً) بضمتين وهي لغة بني أسد)) [٦] .

وقد يفرق بين بعض اللغات التي يستشهد بها ويصدر بعض الأحكام بأنها فصيحة أو رديئة من ذلك ما جاء في (بصيرة في الحشر) قوله :((والمَحْشَر والمَحْشِر ـ بفتح الشين وكسرها • موضع الحَشر، والكسر أفصح ، كذا في العباب)) [٧] •وكذلك قوله :((وأوقفتُ وقفاً للمساكين لغةٌ رديئة، وليس في الكلام أوقفت عن الأمر الذي كنتُ فيه ، أي أقلعت، قال الطرماح :

فَتَطَوَّبْتُ لِلْهَوَى ثمَّ أوقـ ... ـتُ رِضاً بالتُقَى وذُو البِرِّ رَاضي)) [٨]

---

(١) البصائر ٢/١١٣ •
(٢) البصائر ٤/٤٦ •
(٣) ينظر: البصائر ١/٨٣ و٤٤و٣٩٦، ٢/٦٠و٦٠٧، ٣/٣٠و١٨٩ و٧٨ و ٤٣٤ و ٣٤٧و٤٥٤، ٤/٣٦٨و٥٣٩، ٥/٨٥و٩٣و١٢٤ و٣٦٢و٣٧٧و٣٨١ و٣٨٤و٣٨٧ •
(٤) البصائر ٣/٤١٢ •
(٥) قرأ الجحدري ويزيد بن القعقاع والحسن (عَضَداً) بفتحتين • وقرأ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (متخذاً المضلين) بفتح التنوين • وقرأالحسن (عُضُداً) وقرأ عيسى (عَضْداً) • ينظر: مختصر في شواذ القراءات ٨٠ •
(٦) البصائر ٤/٧٥ •
(٧) البصائر ٢/٤٦٨ •
(٨) البصائر ٥/٢٥٤ •

وقولـه :((والزَّوج يطلق على كل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانـات المتزاوجة ، ويقال لكل قرينين فيها وفي غيرها ، كالخُفِّ والنَّعل ، ولكل ما يقترن بآخـر مماثلاً له ومضاداً (*) :زوج . قال تعالى : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (سـورة البقرة ٣٥) ، و(زوجة) لغة رديئة، والجمع: زوجات ، وجمع الزَّوج : أزواج)) (١) .

واخيراً قوله : ((الشُغْل والشُّغُل ، والشَّغْل ، والشَّغَل ، أربع لغات والجمـع : أشغال . وقد شغلت فلاناً فأنا شاغل .ولا يقال : أشغلته ، فانها لغة رديئة . وشُغْـل شاغل . توكيد كـ (ليلٌ لائـل)) (٢) . وغير هذا كثيـر (٣) .

* الأشعار والأرجاز:

الذي يقلب صفحات (بصائر ذوي التمييز) يجد مادة كثيرة في الاستشهاد بالشعر وكذا بالرجز ، فلا تكاد تخلو مادة نحوية أو لغوية من ذلك ، وما ذكرناه في الصفحـات السابقة وما سنذكره في الصفحات اللاحقة شاهد على مانقول ، ولكننا هنا نذكر بعض الأمثلـة من أجل الوقوف على حقيقة ما نقـول .

استشهد الفيروزآبادي بشعر شعراء الطبقات الأربع: الجاهليين (٤) والمخضرمين (٥) والاسلاميين (٦) ، والمولدين (٧) ، وبشعر الشعراء المتأخرين (٨) ، كما استشهد بأنصـاف الأبيـات (٩) ، وبالرجز (١٠) ، وقد كان يصرح بأسماء بعضهم، ويترك اسماء بعضهم الآخـر من غير تصريح ، وقد يكتفي بأن يقول : (قال الشاعر) (١١) ، أو (قال) (١٢) .

(*) هكذا ورد في النص . والاولى (مماثلٍ له ومضادٍ) صفتين لآخر .
(١) البصائر ٣ / ١٤٢ .
(٢) البصائر ٣ / ٣٢٨ .
(٣) ينظر: البصائر ٢ / ٢٨٤ ، ٣ / ٣٠٣ و ٤٤٩ ، ٤ / ١٩٢ و ٤٨٧ .
(٤) ينظر: البصائر ٣ / ١٤ ٢ و ١٧ ٢ و ٢٢٧ و ٤٤ ٢ و ٦٠ ٢ و ٣٠٧ و ٣٣٤ ، ٤ / ٨ ، ٥ / ٦١ و ٥٤ ٢ و ٣٠٩ و ٣٢٠ .
(٥) ينظر: البصائر ٣ / ٧٠ و ١٩٣ و ٠٤ ٢ و ٤٤ ٢ و ٦٨ ٢ و ٤٨٧ ، ٥ / ٦٠ و ٥٤ ٢ و ٠٠ ٣ و ٣٠٣ .
(٦) ينظر: البصائر ٣ / ٦ ٢ ٢ و ٧٩ ٢ و ٣٤٢ و ٣٤٨ .
(٧) ينظر: البصائر ٣ / ٤٧٩ .
(٨) ينظر: البصائر ٤ / ٣٨ .
(٩) ينظر: البصائر ٢ / ٣٢ و ٩٢ ٢ و ٤٩١ ، ٣ / ٢٣٤ و ٧٣ ٢ و ٣٨٨ .
(١٠) ينظر: البصائر ٣ / ٧٣ ١ و ٤٣٤ ، ٤ / ٢١ .
(١١) ينظر: البصائر ١ / ٨١ و ١٤٥ و ٣٣٧ ، ٣ / ٣٨ و ٦١ و ٩٠ و ٠٣ و ١٢ ١ و ١٦٨ .
(١٢) ينظر: البصائر ٣ / ٣٩ ، و ٨٦ و ٨٧ ٢ و ٣٢٠ .

وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد بعض النصوص منها قوله : ((ورد (الضَّرب) في اللغة والقرآن على وجوه : الضَّرْب : الخفيف من المطر • والضَّرْب : الصفة والصنف من الاشياء ، والضرب : الرجل الخفيف اللحم • قال طَرَفة بن العبد :

أنا الرَّجلُ الضَّرْب الَّذي تَعْرِفونَني ... خِشاشٌ كرأس الحيَّة المتوقِّدِ))(١)

وقوله : ((والمُطْفِلُ : ذات الطفلَ من الإنس والوحش وهي قريبة عهد بالنتاج • والجمع : مطافل ومطافيل • قال أبو ذؤيب الهذلي :

وأنَّ حديثاً منكِ لو تَبْذُلِينَه ... جَنَى النحْلِ في ألبان عُوذ مطافل

مطافيل أبكار حديث نتاجها ... يُشاب بماءٍ مثل ماءِ المفاصل))(٢)

وأما السبيل : ((هو الطريق السهل ، جمعه سُبُل وسُبْل • يذكر ويؤنث ، قال تعالى : ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ (الأعراف ١٤٦) • وقال جل ذكره : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي ﴾ (يوسف ١٠٨) أي محجتي وسنتي وطريقي ، وقوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان ٢٧) • قال جرير :

أفبعدَ مقتلكم خليلَ محمّدٍ ... ترجو القُيونُ مَعَ الرّسولِ سَبِيلا

أي سبباً ووصلة ، أي ياليتني سلكت قصده ومذهبه))(٣).

وروى عن المتنبي قوله في لفظ (الضعف) (٤) :

ولستُ بدون يُرتجَى الغيث دُونه ... ولا منتهى الجود الذي خلفَه خَلْفُ

ولا واحداً في ذا الورَى من جماعة ... ولا البعضَ من كلّ ولكنّك الضِّعفُ

ولا الضِّعف حتى يتبع الضِّعف ضِعْفُه ... ولا ضِعف ضِعف الضِّعفِ بل مثلَه ألفُ

وفي (بصيرة في عرب) يقول الفيروز آبادي : ((وتصغير العرب : عُرَيْب بلا هاء ، قال عبد المؤمن بن عبد القدّوس :

وتكْسِن الخَبّاب طعام العُرَيب ... ولا تشتهيه نفوس العَجَم

وانما صغرهم تعظيماً لهم • كقول الحُبَاب : انا جُذَيلها المحكّك))(٥).

ومن استشهاده بالرجز قوله : ((والزُّلفة والزُّلفى والزُّلف : القربة والمنزلة ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً ﴾ (الملك ٢٧) ، وقال : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ ﴾ (سورة ص ٤٠) وهي اسم المصدر كأنّه قال : إزد لافاً • وجمع الزُّلفة : زُلَفٌ • قال العجاج :

ناجٍ طَواهُ الأَيْنُ مِمّا وَجَفا ... طيَّ اللّيالي زُلَفاً فزُلَفا

سماوة الهلال حتّى احْقَوْقَفا (٦)

وعقد الفيروز آبادي (بصيرة في التراب) قال : فيه لغات : التُّرْب ، والتُّرْبة والتُّرباء ، والتَّيرب ، والتَّيراب ، والتَّوْرب ، والتَّوراب ، والتَّريب • وجمع التُّراب : أتْرِبَة ، وترْبان ، ولم يسمع لسائر لغاته بجمع • قال بعض الشعراء :

خُلِقتُ بخيرٍ ذنبُه من تراب ... فأرجع بالذنوب إلى التراب

ألا وجميعُ من فوق التراب ... فداءُ تراب نعل أبي تراب))(٧)

---

(١) البصائر ٣/٤٦٥ •
(٢) البصائر ٣/٥١٠ •
(٣) البصائر ٣/١٨٥ •
(٤) البصائر ٣/٩٤٧ •
(٥) البصائر ٤/٣٨ •
(٦) البصائر ٣/١٣٦ ـ ١٣٧ •
(٧) البصائر ٢/٩٧ ٢ •

المبحث الثالث

المصطلحات اللغوية العامة (في البصائر) :

يُعدّ تحديد المصطلحات الخاصة بأي جانب من جوانب العلم بل في مطلق عملية الاتصال لغوية كانت أم غير لغوية أمراً مهما في نجاح هذه العملية ومن ثم في تقويم نتائج ذلك الجانب العلمي .

ولقد تعارف العلماء في البحث بكل علم على كون المصطلحات مفاتيح العلوم . ومن هنا كان لابدّ لنا من أنْ نحاول عرض طائفة من المصطلحات التي وردت في (البصائر) والعمل على تحديد دلالاتها بدقة. مع أنّ هذه المصطلحات في حقيقة أمرها في البصائر لم تكن خاصة بالجانب اللغوي . بل كانت من توابع عملية فهم النص القرآني من خلال هذه الطريقة الباحثة عن (بصائر) في لطائف هذا النص وهي عملية دلالية أكبر تسعى لبيان قصد اللّٰه سبحانه وتعالى على وفق هذا الأسلوب الذي وصفه صاحبه بأغرب اسلوب لطرافته وكونه من المناهج الجديدة للتفسير .

على أن الممتع في الأمر أن الفيروزآبادي كان مدركاً لأهمية تحديد المصطلحات في العمل اللغوي وقد ظهر ذلك من خلال الفصل الثالث الذي عقده في سياق عدة فصول جعلها مقدمة للتفصيل في آيات القرآن وبيان عددها وحروفها وناسخها ومنسوخها واسم السورة وموضع نزولها وفضلها ... يقول : ((الفصل الثالث ، في شرح كلمات لابدّ من معرفتها قبل الخوض في شرح وجوه التفسير)) (١) .

وتُظهر عبارة (لا بد من معرفتها ..) الأهمية التي تعطى للبحث عن معاني المصطلحات ووصفها في العصر الحديث بـ (مفاتيح العلوم) وحدد هذه الكلمات بخمس عشرة كلمة بقوله : ((إعلم أن الكلمات التي يحتاج الى معرفتها في مقدمة هذا النوع من العلم خمسة (*) عشر كلمة ، وهي : التأويل ، والتفسير ، والمعنى ، والتنزيل ، والوحي ، والكلام ، والقول ، والكتابة والفرقان ، والقرآن ، والسورة ، والآية ، والكلمة ، والصحيف ، والحرف)) (٢) .

والملاحظ أنّ الكلمات التي سنعنى بها ستكون محددة بـ (التأويل والتفسير والمعنى والكلام والقول والحرف) نظراً للطبيعة اللغوية لبحثنا ولما لهذه المصطلحات من علاقة وشيجة بالمباحث اللغوية .

وسنحاول فيما يأتي ذكر تفصيل كلام الفيروزآبادي في بيان هذه المصطلحات مع محاولة تعزيز هذه الجهة من هذا البحث بما أورده في علم المعجمي المشهور (القاموس المحيط) . مع الافادة من بعض المظان الاخرى .

إنّ الأمر الطريف الذي يبدو للباحثة هو اهتمام الفيروزآبادي بايضاح الصلة بين المعنى اللغوي للفظة والمعنى الأصطلاحي الذي يستعمل آخذاً بنظر الاعتبار تعدد الأصل اللغوي الذي اشتق منه المصطلح الذي يؤدي الى تعدد في الدلالة الاصطلاحية للفظة . ونبدأ بما بدأ به الفيروزآبادي :

١ـ التفسير :

قال الفيروزآبادي : ((أما التفسير فمن طريق اللغة : الأيضاح والتبيين ، يقال : فسّرت الحديث أي بيّنته وأوضحته))(٣) .

---

(١) البصائر ١/٧٨ .
(*) اشار المحقق الى أن الواجب في العربية " خمس عشرة " .
(٢) البصائر ١/٧٨ .
(٣) البصائر ١/٧٨ . وينظر : القاموس المحيط مادة (فسّر) .

وجاء في اللسان أنه من: الفَسْر، وهو: البيان، من قوله فَسَر الشيءُ يفسِره بالكسر ويفسُره بالضم فَسْراً، وفسّره أبانه . وقال عن قوله تعالى : ﴿ وأحسنَ تَفْسِيراً ﴾ (الفرقان ٣٣): تعني كشف المغطّى [١] .في حين ذكر أحمد بن فارس(ت ٣٩٥هـ) رواية ابن عباس(ت ٦٩هـ) في تفسير الآية أن المراد بها : تفصيلاً [٢] .

ثم ذكر اختلاف الرأي في اشتقاقه من غير أن يسند ما ذكره من آراء الى أحد من العلماء، فقال : ((واختلف في اشتقاقه فقيل من لفظ التفْسِرة،وهو نظر الطبيب في البول لكشف العلة والدواء، واستخراج ذلك [*] . فكذلك المفسّر ينظر في الآية لاستخراج حكمها ومعناها . وقيل : اشتقاقه من قول العرب : فسرت الفرس وفسّرته أي أجريته وأعديته اذا كان به حُصْر، ليستطلق بطنه . وكأن المفسّر يجري فرس فكره في ميادين المعاني ليستخرج شرح الآية، ويحل عقد إشكالها))[٣] .

ويقرر كلا الاشتقاقين حقيقة أن التفسير يقوم على مبدأ الاجتهاد في فهم النص القرآني على أن يكون هذا الاجتهاد صادراً عن صاحب الاختصاص الذي يظهر من ذكر الطبيب في الرأي الأول في حين يحيل الرأي الثاني ــ فضلاً عمّا سبق ــ على مسألة تعدد المعاني للنص القرآني الواحد ، وبهذا تقع على المفسّر مهمة اختيار ما يراه الأنسب بالآية من تلك المعاني ، أو أن المعاني متعددة في العربية وعلى المفسّر أن يختار المعنى الذي يمكن أن تعطيه الآية . ويُحَلُّ ما يمكن أن يُشكل منها .

وكأن المسألة ههنا تذكّرنا بقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) :((المعاني مطروحة في الطريق ...)) [٤] والمقصود به أن المعاني موجودة ويبقى العمل متوجهاً نحو اختيار اللفظ المناسب لاعطاء معنى من تلك المعاني . فكأن وظيفة المفسّر تتوجه نحو ابراز وجه الصلة بين المعنى المراد ونظم الألفاظ .((وقيل : هو مأخوذ من مقلوبه . تقول العرب: سفرت المرأة اذا كشفت قناعها عن وجهها ، وسفرتُ البيت اذا كنسته .ويقال للسَّفَر سَفَراً لأنه يسفر ويكشف عن أخلاق الرجال . ويقال للسُّفرة لأنها تُسفر فيظهر ما فيها، قال تعالى : ﴿ والصُّبْحِ إذَا أَسْفَرَ ﴾ (المدثر ٣٤) أي: أضاء . فعلى هذا يكون أصل التفسير

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة (فسر) .
(٢) ينظر: الصاحبي ١٩٣ .
(*) ينظر: البصائر ٤/ ١٩٢ . وينظر: البرهان ٢/ ١٤٧ .
(٣) البصائر ١/ ٧٨ .
(٤) الحيوان ٣/ ١٣١ .

التسفير على قياس صعق وصقع ، وجذب وجبذ ، وما أطيبه وأيطبه ، ونظائره ، ونقلوه من الثلاثي الى باب (التفعيل) للمبالغة . وكأن المفسر يتتبع سورة سورة، وآية آية، وكلمة كلمة ، لاستخراج المعنى)) (١) .

فالتفسير ههنا هو الكشف عن المعنى الدقيق من خلال الوقوف على آيات القرآن آية آية وتتبعها كلمة كلمة ويعني ذلك أن المفسر ينظر في الموضع الواحد من القرآن جميعاً وأن يتم فهم الآية بالنظر الى بقية الآيات . وأجمل معنى التفسير في موضع آخر بقوله :((الفسر والتفسير : كشف المعنى المعقول ... وكذلك كل ما ترجم عن حال شيء فهو تفسرته)) (٢) .

وهذا المعنى ـ كما هو واضح ـ يحيل على الوحدة الموضوعية للنص القرآني في حين كان الرأيان السابقان يحيلان على مقدرة المفسِّر في كشفه عن المعنى القرآني .

ويخلص الفيروزآبادي من كل ذلك الى ما يمكن أن نعدّه رأياً خاصاً به اذ قال : ((وحقيقته (يعني : التفسير) كشف المتغلّق من المراد بلفظه ، واطلاق المحتبس عن الفهم به)) (٣) .

اذ يرى أن حقيقة التفسير وهي الجهة التي يظهر فيها قيمة هذا العمل على وجه الكمال أو الجهة التي يبرز بها عمل المفسر دون غيره . تلك الجهة هي الألفاظ المعقدة التي يصعب فهمها فتكون وظيفة المفسر العمل على تذليل تلك الصعوبة بالكشف عن المراد بظاهر النص . فهو يجعل من رأيه هذا مجملاً للآراء الثلاثة المذكورة آنفا .

وبهذا ، فالتفسير يفترق عن التأويل باقتصاره على حل المشكل المراد بظاهر اللفظ من غير البحث عمّا وراء النص من المعاني التي يحتملها . التي هي وظيفة (التأويل) .

٢ـ التأويل :

قال الفيروزآبادي في القاموس:((وأوّلَ الكلامَ تأويلاً وتأوّله دبّره وقدّره وفسّره ...)) (٤)
ولم يذكر معناه اللغوي في البصائر ، بل بدأ بالمعنى الاصطلاحي بقوله :((وأما التأويل فصرف معنى الآية بوجه تحتمله الآية، ويكون موافقاً لما قبله ، ملائماً لما بعده .

---

(١) البصائر ١ / ٧٩ .
(٢) البصائر ٤ / ١٩٢ .
(٣) البصائر ١ / ٧٩ .
(٤) القاموس المحيط مادة (ال) ، وينظر: لسان العرب مادة (أول).

واشتقاقه من الأوّل وهو الرجوع • فيكون التأويل بيان الشيء الذي يرجع اليه معنى الآية ومقصودها)) (١) •

ومعنى ذلك توجه التأويل نحو الآيات التي تحتمل أكثر من معنى فتكون مهمة المؤول اختيار المعنى الذى يراه على أن يكون سبيل الى ذلك ، ويربط هذا المعنى من جهة معنى الأصل الاشتقاقي للتأويل وهو الرجوع • وهو ما يجعل من التأويل وسيلة الى الكشف عن (المقصد) الاساس، فكأنه معنى المعنى ، فالمعنى يعطيه التفسير، أما التأويل فهو البحث لماذا هذا المعنى وما الغرض من هذا المعنى •

النص ← التفسير ← التأويل •

ويستطرد الفيروزآبادي الى ذكر رأيين في الأصل الاشتقاقي لمصطلح (التأويل) بعد النص المذكور آنفاً وذلك في قوله :((وقيل : التأويل ابداء عاقبة الشيء،واشتقاقه من : المآل بمعنى المرجع من لفظ الأوّل • وهو صرف الكلام الى أوله)) (٢) •

فكلا الرأيين يحاول أن يحيل على شيء هو خارج النص وان كان له مساس علاقة بالنص سواء بكونه عاقبة الشيء أم أوّله •

ويعلّق الامر الذي حداه على ان يصف الرأيين بكونهما متقاربين فكأنه عُنِيَ بصرف الكلام الى أول والى المعنى الذي أقيم عليه أو الذي استند اليه من غير أن يُعْنَى بالربط بين عجز الكلام وأوله •

ويقف عند رأي آخر لاشتقاق مصطلح التأويل إذ يرى انه من الأيالة،والأيالة عنده هي السياسة، اذ نقل عن العرب قولهم : (أُلْنا وأيل علينا) أي : سُسْنا وسيس علينا: معناه ساسنا غيرنا •

ويخلص الى القول :((وعلى هذا يكون معنى التأويل أن يسلّط المؤول ذهنه وفكره على تتبع سرّ الكلام الى أن يظهر مقصود الكلام ، ويَتَّضِحَ مُراد المتكلم))(٣) •

وكأن هذا الرأي يبدو لنا خلاصة رأيه في معنى مصطلح (التأويل) • ويبدو انه استعمل (سرّ الكلام) بمعنى مقصود للتدليل على خفايا النص التي يمكن أن تفهم من خلال

---

(١) البصائر ١/٧٨ •
(٢) البصائر ١/٧٩ •
(٣) البصائر ١/٨٠ •

النص . فالتأويل ((هو ردّ الشيء الى الغاية المرادة منه ...)) [١] وفي قوله تعالى : ﴿ يَومَ يأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ (الأعراف ٥٣) يقول : ((أي: غايته)) [٢] .

والملاحظ أن التأويل يبحث عن أسباب الاشياء غير الظاهرة من النص اللغوي فمن ذلك قوله : ((والأيلاف في سورة قريش : شبه الاجازة بالخفارة، وتأويله : أنهم كانوا سكّان الحرم ، آمنين في امتيارهم ، شتاءً وصيفاً، والناس يتخطّفون من حولهم . فاذا عرض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم اللّه ، فلا يُتَعرَّض لهم . وقيل اللام لام التعجب ، أي: اعْجَبُوا لأيلاف قريش))[٣] . إذ التأويل كما نرى محاولة لبيان هذه المعاهدات التي عرفت بالايلاف .

وكذلك الحال في النص الآتي الذي يوضح سبب استعمال تاء التأنيث أو عدم استعمالها في صيغة (فعيل) التي يشترك فيها المذكر والمؤنث والمفرد والجمع. إذ يقول : ((ويستوي في (القريب) نقيض البعيد : الذكر والأنثى والفرد والجمع ، تقول : هو قريب مني ، وهي قريب، وهم قريبه وهن قريب . وكذلك القول في (البعيد) . قال ابن السكيت: لأنه في تأويل هو في مكان قريب مني . وقد يجوز (قريبة) و(بعيدة) بالتاء تنبيهاً على (قَرُبَتْ) و(بَعُدَتْ) وأنشد :

ليالِيَ لا عفراءُ منك بعيدةٌ ... فتسلَى ولا عفراءُ منك قريبُ)) [٤]

فإبن السكيت الذي استعان به الفيروزآبادي ههنا يرى أن سبب هذا الاستعمال (التأويل) يرجع الى أن الصيغة متعلقة بمحذوف هو مذكر تقديره (مكان) .

الفرق بين التفسير والتأويل :

فرّق الفيروزآبادي بين المصطلحين السابقين بقوله :((أن التفسير هو البحث عن سبب نزول الآية، والخوض في بيان موضع الكلمة، من حيث اللغة . والتأويل هو التفحّص عن أسرار الآيات، والكلمات ، وتعيين أحد احتمالات الآية وهذا إنّما يكون في الآيات المحتملة لوجوه مختلفة ، نحو: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيكُم نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان ٢٠)، وكقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ﴾ (فاطر ٣٢)، وكقوله : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ (سورة

---

(١) البصائر ٢/ ٢٩٢.
(٢) البصائر ٢/ ٢٩٢.
(٣) البصائر ٢/ ٤.
(٤) البصائر ٤/ ٢٥٢.

الفجر٣) ، وكقوله : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ (البروج ٣) فأن هذه الآيات ونظائرها تحتمل معاني مختلفة، فإذا تعين عند المؤول أحدها وترجّح، فيقال حينئذٍ : أنه أوّل الآية)) (١) .

فالتفسير عنده عام للنص القرآني يبحث عن مناسبة نزول النص، وتقديم المعنى اللغوي للمفردات فهو يبحث عن المقام (سياق الحال)، والمعنى اللغوي الظاهر من دون الخوض في غير ذلك، في حين : أن التأويل خاص ببعض آيات القرآن وعلى نحو خاص تلك الآيات التي تتعدد أوجهها الدلالية فيكون وظيفتهُ اجتهادية تحاول ترجيح وجهٍ من هذه الوجوه .

والملاحظ أن توجههُ ههنا في مصطلح التفسير كان الى البحث عن اسباب النزول والبحث اللغوي فكأن قوله فيما سبق ووصفه بأنه الكشف عن المتعلّق من المراد باللفظ القرآني واطلاق المحتبس لما لهما من اثر فعّال في هذا المجال . فهما في الحقيقة آلتا المفسر لا التفسير بعينه . وبمعنى آخر أنهما وسيلتا المفسر لا غاية التفسير .

ويَحْسن أن نشير الى أن التفرقة بين التفسير والتأويل تمت في حقبة متأخرة (٢)، إذ إنّ ابن عباس (حبر الأمة) يرى أنه يعلم تأويل القرآن، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد دعا له فقال : " اللهم فقّهْهُ في الدين وعَلّمْهُ التأويل " كما ان الطبري (ت ٣١٠هـ) سمّى تفسيره : (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) .

٣ـ المعنى :

قال الفيروزآبادي : ((وأما المعنى فمن طريق اللغة : المقصد ، يقال : عناه يعنيه أي أراده وقَصَده)) (٣) . وقريب منه قوله في القاموس : ((وبالقول كذا (أي : عنى بالقول كذا) أراد معنى الكلام ومعينه ...)) (٤) وقد ربطه بالآية بقوله : ((فيكون معنى الآية : ما به يظهر حكمة الحكيم في نزول الآية، ويكون قصد من يروم سر الآية الى (فهمه)(*))) (٥) .

---

(١) البصائر ١/ ٨٠ .
(٢) ينظر : فلسفة التأويل (دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين ابن عربي) ١٣ . وينظر : التأويل النحوي في القرآن الكريم ١/ ١١ـ١٢ .
(٣) البصائر ١/ ٨٠ .
(٤) القاموس المحيط مادة (عنـاه) .
(*) ورد في النص (خمسة) وقد أشار المحقق الى تحريفها عن (فهمه ومحنته أي اختباره وكشفه) .
(٥) البصائر ١/ ٨٠ .

وبهذا سيكون المعنى عنده محدداً بهدفه الأساسي من بصائره وهو الوصول الى مقصد الآية، عامة لا خصيصة الألفاظ المفردة أو تركيبها بعضها مع بعض . فيكون هو الهدف الذي يسعى اليه المفسر والمؤول على اختلاف طُرقِهما في ذلك لكون التفسير والتأويل وسيلتي الوصول الى المعنى .

وقول الفيروزآبادي (ما به تظهر حكمة الحكيم) يحيلنا على الوجه الاعجازي للنص القرآني ، ويُعضّد ذلك ما قيل من وجهي اشتقاقه اللذين هما : (العناية والعناء) اذ قال :((وقيل : اشتقاق المعنى من العناية ، وهي الاهتمام بالأمر، يقال : فلان مَعْني بكذا ، أي : مهتم به . فيكون المعنى أن الباحث عن الآية يصرف عنايته واهتمامه الى ان ينكشف له المراد من الآية . وقيل : اشتقاقه من (العناء)، وهو التعب والمشقة . والمعنى لا يمكن الوصول اليه الا بكدّ الخاطر ومشقّة الفكر، لما فيه من الدقة والغموض)) (١) .

إذ يتوجه الاشتقاق الأول نحو الباحث (المفسر) الذي ستقع عليه مهمة الكشف عن المراد من الآية من خلال ما يبذله من عناية واهتمام تجاه النص القرآني في حين يتوجه الاشتقاق الثاني الى المعنى نفسه بكون الوصول اليه صعباً لا يتم الا بعد مشقة وتعب وذلك لدقته وغموضه .

ولعل الاشتقاق الأول يفسح المجال واسعاً للوصول الى العرفانيات التي كانت موضع عنايته ، وفي قوله (الى ان ينكشف ...) عَضْدٌ لهذا .

٤- الكلام :

سا وى الفيروزآبادي في القاموس (٢) والبصائر (٣) في بعض رأيه وغايره في بعضه الآخر بين الكلام والقول بقوله :((الكلام القول أو ما كان مكتفياً بنفسه)) وهو على مايبدو قد سلك فيه مسلك اللغويين ، في حين نراه قد تجاوز هذا المسلك في بصائره ، إذ نظر الى الكلام بوصفه العملية الكلامية القائمة بين الاصدار والتلقي . فيقول : ((واما الكلام فإنه اسم لما يصح به التكلم، وضده الخرس ، والكلام والتكليم مصدران على قياس السلام

---

(١) البصائر ١/ ٨٠-٨١ .
(٢) ينظر: القاموس المحيط مادة (الكلام) .
(٣) ينظر: البصائر ٤/ ٣٧٧ .

والتسليم • وقد يطلق الكلام على التكلم والتكليم، وقيل للقرآن : كلام في نحو قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (التوبة ٦) وقوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (سورة الفتح ١٥) لأنه تكليم وتكلم • وايضاً هوما يصح به التكلم • وقيل : الكلام ما اشتمل على أمر ونهي واخبار واستخبار • وقيل : هو معنى قائم بالنفس،والعبارات تدل عليه ، والاشارات تجر اليه • وقيل: هو ما ينافي السُّكوت والبهيمية)) (١) .

فالكلام عنده مصطلح عام يطلق على العملية الكلاميّة المتبادلة ما بين المتكلم والسامع • وفي رأي أنَّ ما نتطقه وما نسمعه هو الكلام على أن يكون مما يمكن أن تقوم به عملية التواصل •وذلك هو (التكلم والتكليم) اللذان ورد ا في النص •

ولعل الرأي الذي يقول(الكلام ما اشتمل على أمر ونهي •••) يعضد وصفه إياه أولاًأنه اسم لما يصح به التكلم •

وقد استحسن الفيروزآبادي بالضد لايضاح مراده حين قال :(وضده الخرس) أو : (هو ما ينافي السُّكوت والبهيمية) •

أما الرأي الذي يقول : (هو معنى قائم بالنفس ،والعبارات تدل عليه ، والاشارات تجر اليه) فهو رأي الأشاعرة ، إذ رأوا الكلام انعكاساً لمعنى قائم بالنفس سابق عليه ، وما هذه الأصوات أو الحروف الا أمارات تدل على ذلك المعنى ، وقد عرف هذا الجانب في مباحثهم العقيدية بالكلام النفسي ، وهم يصرحون بذلك • إذ قال أبوبكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) في رده على المعتزلة : ((قد وهمتم علينا في قولكم : إنا لم نعقل كلاماً الا حروفاً واصواتاً لانالم نعقل قط ذلك • لأن الكلام فيما بيّنا إنما هو معنى قائم بالنفس يُعبَّر عنه بهذه الاصوات المسموعة تارة وبغيرها أخرى •••)) (٢) .

واستطراداً نشير الى الرأي المقابل وهو رأي المعتزلة اذ ذهبوا الى أن الكلام في الحقيقة هو هذه الأصوات التي نسمعها ولا وجود للمعنى قبل ذلك : ((فمن ادّعى أن الكلام ليس هو هذا المعقول، وانه معنًى في القلب لم يشر به الى سائر ما عَقلناه من أفعال القلوب ، فقد ادّعى اثبات معنى لا سبيل الى معرفته باضطرار ولا بدليل ، فيجب نفيه)) (٣) .

---

(١) البصائر ١/ ٨٢ •

(٢) التمهيد ١/ ٢٥١، وينظر: البحث الدلالي عند المعتزلة ٧٦ـ٧٧ •

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل ٧/ ١٥ • وينظر: البحث الدلالي عند المعتزلة ٧٦ •

ثم عاد الفيروزآبادي في بصيرة (كلّم) الى ذكر مصطلح (الكلام) ومن جملة ما قال :((والكلام يقع على الألفاظ المنظومة ، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة • وعند النحاة يقع على الجزء منه ، اسماً كان أو فعلاً او أداةً • وعند كثير من المتكلّمين لا يقع إلا على الجملة المركّبة المفيدة، وهو أخصّ من القول، فإن القول عندهم يقع على المفردات، والكلمة تقع على كل واحد من الأنواع الثلاثة، وقد قيل بخلاف ذلك)) (١) .

وقوله (وعند النحاة يقع ...) ربما فيه شيء من عدم الدقة ، إذ إن مصطلح الكلام عند هم غالباً ما انحصر في شيئين إما أن يكون جنساً عاماً للجمل (مفردهُ الجملة) وإما أن يكون هو الجملة ذاتها على ما نُقل عن بعضهم (*) .

كما يحيلنا هذا الكلام على المعاني التي ذكرت في النص السابق وهو كون المعنى قائماً بالنفس، والعبارات دالة عليه ، ولعلّ هذا الرأي قريب من رأي الأشاعرة الخاص بالكلام النفسي ، ولعل ما يعضّد ذلك ذكره لرأي المتكلمين بقوله : (وعند كثير من المتكلمين لا يقع الا على الجملة المركبة المفيدة ...) •

٥ ـ القـول :

قال الفيروزآبادي في القاموس :((القول : الكلام أو كل لفظ مُذَل به اللسان تاماً أو ناقصاً)) (٢) في حين قال في البصائر: ((وأما القولُ ففي أصل اللغة: النطق)) (٣) •فقد اقتصر على المعنى الثاني ، وأحال المعنى الأول ليكون قريباً من المعنى الاصطلاحي (القول) الذي ذكره في البصائر بقوله :((وحقيقته من حيث المعنى : كلام مُهذب مرتب على مسموع ومفهوم ، مُؤدًّى بمعنى صحيح)) (٤) .

وعلى ما يبدو أن وصفه (القول) بـ (المُهذب) مقترن بالنص القرآني اذ قال بعد ذلك : ((وعلى هذا يصح إطلاق القول على القرآن ، فإنه يتضمن التهذيب والترتيب لفظه مسموع، ومعناه مفهوم)) (٥) .

فالقول ههنا مختص بالموضوع الذي عُقد عليه الكتاب وهو : القرآن الكريم •

---

(١) البصائر ٤/٣٧٧ •
(*) ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه ١٧ الهامش •
(٢) القاموس المحيط مادة (القول) •
(٣) البصائر ١ / ٨٢ •
(٤) البصائر ١ / ٨٢ •
(٥) البصائر ١ / ٨٢ـ٨٣ •

٦ـ الحـــرف:

ذكر الفيروزآبادي في القاموس أن : ((الحرف من كل شيء : طرفه وشفيره وحـدّه ومن الجبل : أعلاه المحـدد ... وواحد حروف التهجي)) (١) . وقال ايضاً : ((وعنـد النحاة ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وما سواه من الحدود فاسدا)) (٢) .

وقد اعاد ذكر هذه المعاني للحرف في (البصائر) بقوله : ((واما الحرف فقد جـاء لمعانٍ : منها طرف الشيء ، وحدّ السيف ، وذروة الجبل ، وواحد حروف الهجاء ، والناقـة القوية ، والناقة الضعيفة ، وقسيم الاسم والفعل . فقيل للحرف حرف لوقوعه في طـرف الكلمة ، أو لضعفٍ في نفسه ، أو لحصول قوة الكلمة به ، أو لانحرافه ؛ فإن كل حرف مـن حروف المعجم مختص بنوع انحراف يتميز به عن سائر الحروف)) (٣) .

والذى يهمنا فيما نحن بصدده من الدرس اللغوي (قسيم الاسم والفعل) وهـو الذي أُطْلِق عليه (حرف المعنى) ، وحرف من حروف المعجم الذي هو مختص بنوع انحـراف يتميز به عن سائر الحروف كما ذكر الفيروزآبادي ، وكأنّه بذلك يشير الى الناحية الصوتيـة من هذا المصطلح اذ لا يتم التمييز بين حرف وآخر الا بوجود ميز فيه ، سماه : (الانحراف) وهو قريب الى لمح الصفة المهيمنة في الحـرف .

---

(١) القاموس المحيط مادة (الحـرف) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) البصائر ٨٦/١ .

الفصل الثاني
المباحث الصوتيّة في البصائر

توطئـــــــة :

على الرغم مما يشاع في الدرس الصوتي الحديث من كون وظيفة الكلام وظيفة ثانوية تقوم بها أعضاء خصصت للقيام بوظيفتي الأكل والتنفس ، وعلى هذا جرى النظر الى مصطلح (أعضاء النطق) بوصفه مصطلحاً يحمل تجوزاً في اطلاقه .

بدا هذا الأمر في الآونة الأخيرة مجانباً للصواب بل لعل الذي يرجح في نظرنا كـــون وظيفة الكلام لا تقل من الناحية الفسلجية عن وظيفة الأكل والتنفس . فكما كونت هذه الأعضـــاء لتقوم بالوظيفتين الاخيرتين على خير وجه فكذلك كونت أعضاء النطق لتقوم بوظيفة الكلام علـى خير وجـــه .

إن الملاحظة المهمة في هذا الشأن تبرز من وجود مرونة عالية في حركة اللسان تتجاوز وظيفة الأكل خاصة ، ومن وجود عدة تجويفات لها أثرها الفعّال في انتظام عملية التصويت .

إن القول الذي يذهب الى : ((أن الكلام يبقى اساساً نتاج أعضاء تنتمي الى الجهازين التنفسي والهضمي ... فالاعضاء التي تستعمل في التصويت هي أعضاء وظيفتها الأساسيـــة بقاء الانسان والحفاظ على حياته ، ثم تعدلت وظيفتها في فترة (كذا) لاحقة من تاريـــخ البشرية لتفي باغراض الكلام...))[1] يدور في حيز تصور نظرية النشوء والارتقاء التي أتى بها دارون وهي نظرية لم تثبت علمياً في حين أن الدليل على خلاف ذلك أكثر وضوحاً بـــل رفض بعض المحدثين [2] مايشاع من ذلك فرأى أن هذه الأعضاء مثلما خلقت للقيام بوظيفتـــي الأكل والتنفس فكذلك خلقت لأنجاز وظيفة توليد الأصوات المختلفة ، لأنها أصوات لما فيهـــا من التجاويف والمرونة الحركية مايفوق حاجات الانسان لأداء الأكل والتنفس .

وإنه قد ثبت من الناحية التشريحية وجود مراكز في المخ مسؤولة عن إدراك الكـــلام وإنتاجه .[3] وعلى هذا فإننا نرى أن الحكمة الآلهية اقتضت أنه مثل ماتكون هذه الأعضاء للأكل تكون للتنفس وتكون للنطـــق .

---

(١) علم الأصوات العام ٥٩ .

(٢) ينظر : الكلام : انتاجه وتحليله ٢٧ ومابعدها .

(٣) ينظر : المصدر السابق ، أضواء على الدراسات اللغوية ٢٣ ومابعدها ، اللغة والفكر ٣٩ .

ونجد أن الفيروز ابادي لم يغفل أن يفرد (بصيرة في صوت) عرّف فيها الصوت بقوله : ((الصوت هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين... والصوت ضربان : ضرب مجرد عن تنفس بشيء كالصوت المتد المتنفس (*) بصورة ما ، وهو ضربان : ضروري كما يكون في الجمادات وفي الحيوانات ، واختياري كما يكون من الانسان . وذلك ضربان : ضرب باليد كصوت العود ونحوه ، وضرب بالفم وهو ايضاً ضربان : نطق وغير نطق : كصوت الناي . والنطق إما مفرد من الكلام ، واما مركب كأحد الأنواع من الكلام ، قال تعالى : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ (الحجرات ٦) وتخصيص الصوت بالنهي لكونه أعمّ من النطق والكلام .

ويجوز أنه خصّه لأن المكروه رفع الصوت فوق صوته لا رفع الكلام .))[1] فالفيروزآبادي أدرك أنّ المادة الاولى للصوت هي الهواء الذي يتعرض لضغط مابفعل قرع بين جسمين . وميز الصوت اللغوي عن غيره من الأصوات التي تحدث نتيجة لضرب باليد ونحوه . فالصوت اللغوي هو الصوت الذي محله الفم المكون للكلام المفرد منه والمركب .

(*) ذكر محقق البصائر أنّ المراد بالمتنفس الصوت المرافق للنفس .

(١) البصائر ٣/٤٥٠ .

المبحث الأول

في الصوت المفرد

مخارج الأصوات :

قبل أن نبدأ بعرض كلام الفيروزآبادي الخاص بانتاج الأصوات نؤكّد امراً :

١. لم يكن هذا المبحث إلا جزءاً من محاولة إكمال المعلومات المعطاة في البصائر ١٠ ذ لم تكوّن مبحثاً مستقلاً أو نحو ذلك ، كما هو الحال في كتب اللغة ولا سيما كتب الصرف عند المتأخرين التي ينزع مؤلفوها في القسم الأخير من مؤلفاتهم الى تناول ظواهر صوتية أو ظواهر صرفية ـ صوتية من نحو : الاعلال والابدال والادغام ، وغير ذلك . وفي الوقت نفسه هو أمر يدعونا الى عدم محاولة عرضها بصورة اعتدناها في الدراسات الصوتية يقسم موضوع انتاج الأصوات على وفق جدول توزيعي بحسب المخارج أولاً ثم الصفات ثانيا ثم عرضها في مخطط للجهاز الصوتي . مع مقارنة ذلك بالجهود السابقة لتلك الدراسات وتعضيدها بما قدّمه المحدثون في هذا المجال .

٢. أكّد الفيروزآبادي على الناحية الكتابية في هذا الموضوع إذ إنه دأب على أن يبدأ كلامه على الحرف بكونه أحد حروف التهجي أو التهجّي بها . كما ان ذلك يحيل على اعتبار للأصوات التي تتألف منها العربية مهملاً بذلك الأصوات الفرعية فيها سواء منها المستحسنة الأساسية في قراءة القرآن . أو غير المستحسنة التي نبّه عليها سيبويه وتبعه من جاء بعده .

٣. كانت مواضع ذكر المخارج الخاصة بالحروف تقتصر على بدايات أبواب الكتاب التي رتبت على وفق الترتيب الهجائي للحرف الا شيئا يسيراً وجدته في أثناء هذه الأبواب . وكان من المتوقع أن يذكر الفيروزابادي مخارج جميع الحروف والأصوات وصفاتها ، ولكن الأمر بدا على خلاف ذلك ، إذ وجدته قد أهمل ذكر مخارج طائفة من الحروف ، وهي : الراء والسين والعين والفاء ، ولم يبيّن السبب الذي خلف هذا الاهمال . ذلك الأهمال الذي قد يكون بلا سبب ظاهر الا أنّه جرى القلم على ذلك إذ انه لم يكن معنياً بذكر كل شيء كما أنه لم يكن مقيداً بذكر شيء بعينه . ويحتمل مع ذلك أن يكون من سقط النساخ .

٤. المعلومات الصوتية التي يقدّمها الفيروزآبادي ههنا قد تقتصر على نسبة الحرف أو مخرجه أوماقرب منه .

أما ماذكره الفيروزآبادي من المخارج فهو على النحو الآتي مرتباً على وفق ورودها :

١ــ الألف والهمزة :

عقد الفيروز آبادي للألف بصيرة خاصة قال فيها واصفاً الالف بأنه : ((حرف من حروف التهجي ، هوائي ، يظهر من الجوف ، مخرجه قريب من مخرج العين))(١) . وهو الرأي السائد في الدرس اللغوي العربي ابتداءً بالخليل ومن بعده سيبويه ، وقد يظهر من النص أن الفيروز آبادي وصف الألف كما يصف بقيّة الحروف من امتلاكها لمخرج محدد قريب من أول مدرجة من مدارج الجهاز الصوتي وهي مدرجة العين .

في حين نرى سيبويه يحسن وصف الألف وبقية حروف المد وأعني بها الواو والياء في باب : (هذا باب الوقف في الواو والياء والألف) قال فيه : ((وهذه الحروف غير مهموسات ، وهي حروف لين ومدٍّ ، ومخارجها متّسعة لهواء الصوت ، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ، ولا أمدّ للصوت ؛ فاذا وقفت عندها لم تَضُمَّها بشفةٍ ولا لسانٍ ولا حلق كضمّ غيرها ، فيهوي الصوت إذا وجد مُتسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة . واذا تفطّنت وجدتَ مَنّ ذلك...))(٢) . إذ إنها لا يمكن أن تنسب الى مخرج من المخارج كما هو الحال مع الأصوات الصحيحة أو الأصوات نصف المدّيّة (يْ ، وْ) على وفق الدرس الصوتي الحديث . ويظهر أن موضعها من خلال وجهة نظر تعامل الأصوات عند الوقف قريب من موضع الهمزة . وهو الأمر الذي يوضح كون الهمزة أولى الأصوات على مدارج الجهاز الصوتي لا العين وهي مسألة كان الخليل وسيبويه قد أشارا اليها .

ونرى الفيروز آبادي قد استفاد من هذا القرب بين الألف والهمزة على نحو خاص بقوله : ((والألف الحقيقي هو الألِف الساكنة في مثل (لاءوما) ، فاذا تحركت صارت همزة ، ويقال للهمزة ألِف توسُّعاً لا تحقيقاً)) .(٣)

فقد جرى الباحثون في الدرس النحوي العربي على أن يطلقوا الألف على الهمزة ايضاً ، ولا يخفى أن في ذلك اشعاراً بالعلاقة الصوتية المتداخلة بين صوتي الألف والهمزة من الناحية الفنولوجية .(*) على أن ذلك ربما أحدث نوعاً ما من الابهام واللبس ولهذا

---

(١) البصائر ٢/٦ . (٢) الكتاب ٢/٢٨٥ . (٣) البصائر ٢/٦ .

(*) ونعني بها علم الأصوات الوظيفي وكونه خاصّاً بلغة بعينها ، يحيل على أن الألف والهمزة يمتلكان وظيفة واحدة ولهذا يمكن أن يعد من هذه الناحية تنوعاً

أراد بيانه بكونها (ساكنة) ، بمعنى : أنّ الألف لا يمكن أن تأتي بعدها حركة ، وهي ناحية مهمة في بيان التشكيل المقطعي للأصوات .

كما لا يخفى أن الرسم الكتابي قد يكون له أثرٌ مهم في ربط الألف بالهمزة على نحو خاص . ولعل الرأي الأخير الذي نقله الفيروز آبادي يوضح هذا الأثر إذ قال : ((وقيل : الألِف حرف على قياس سائر الحروف يكون متحركاً ويكون ساكناً ، فالمتحرك يُسَمّى : همزة والساكن ألِفاً)) .(١)

٢ـ البـــاء :

يكتفي الفيروز آبادي ههنا بأن يذكر في بداية (بصيرة في الباء) ـ وهو الباب الثالث من البصائر التي تبدأ بحرف الباء ـ مخرج الحرف . بقوله : ((حرف من الحروف المتهجى بها ، ومخرجه من انطباق الشفتين قرب مخرج الفاء)) .(٢)

ونرى أنّه يقدّم لنا الآلية التي بوساطتها يتم إنتاج هذا الصوت لا فقط ذكر المخرج مع محاولته أن يكون أكثر دقة بتحديد المخرج فأشار الى قربه من مخرج الفاء ، ولم يذكر الفيروز آبادي صفة الجهر التي تتصف بها الباء .

٣ـ التـــاء :

قال الفيروز آبادي في (بصيرة في التاء) : ((هو حرف هجاء ، لثوي ، في جوار مخرج الطاء)) .(٣)

= فونيماً (ألفون) لا فونيمين مستقلين ، وقد لاحظ الدرس الحديث ذلك واصطلح على هذه الظاهرة بما يسمى : الفونيم الرئيس والتحييد (Archiphoneme and Neutralization) إذ الفونيم الرئيس يعبر به عن أُسرة من الفونيمات أبطل التمييز بينها في مواقع معينة فتداخلت وصارت فونيماً واحداً ومثال ذلك فضلاً عن (الهمزة والألف والواو والياء) ابطال التمييز بين الطاء والتاء في صيغة الافتعال والتاء والهاء في نحو : قادمة ، أما التحييد فهو المصطلح الذي يطلق على هذه العملية .
ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٢١٧ ، أسس علم اللغة ٨٩ الهامش (١) ، مدرسة براغ اللغوية ٢٨ـ٢٩ . (بحث منشور)

(١) البصائر ٢/٦ . (٢) البصائر ٢/١٩٠ . (٣) البصائر ٢/٢٨٣ .

إنّ وصف التاء بكونه (في جوار مخرج الطاء) يتناقض مع رؤية سيبويه بكونهما من مخرج واحد إلا أنهما يختلفان في صفة الاطباق التي يتصف بها الطاء ولا يتصف بها التاء . ويمكن أن يكون الفيروزآبادي قد أراد بالجوار : الجوار المعنوي أو القرب الصوتي البحت بين صوتي التاء والطاء فيكون المخرج لا على صيغة أسم المكان بل على صيغة المصدر الميمي .

وقد خالف الفيروزآبادي هنا الخليل وسيبويه في نسبة الحرف على وفق موضع نطقه فقد نسبها الخليل الى القطع مع صوتي الدال والطاء ، ((لأن مبدأها من قطع الغار الأعلى))[1] ونسبها سيبويه الى ((طرف اللسان بينه وبين أصول الثنايا))[2]

٤ـ الشـــــاء :

قال في وصف الثاء : ((حرف من حروف التهجي ، لثوي ، يظهر من أصول الأسنان ، قريباً من مخرج الذال)) .[3]

والنسبة (لثوي) الى اللثة وهي المنطقة المحززة فوق أصول الأسنان بينها وبين سقف الفم (الطبق) ، ووصفه لمخرج الثاء بأنه قريب من مخرج الذال ، يشير الى الشبه الواضح بين الصوتين ، وهو شيء ذهبت اليه الدراسات الحديثة إذ إن الثاء هو المقابل المهموس للذال المجهور .[4] وهو شيء قد يؤكد أن مصطلح المخرج عند الفيروزآبادي يحيل على الآلية التي يتم بها انتاج الصوت لاكونه موضع احتكاك الهواء (أي : المخرج المكاني) .

٥ـ الجيـــــم :

عقد الفيروزآبادي بصيرة في الجيم وصف فيها هذا الحرف بقوله : ((اسم لحرف شجري مخرجه مفتتح الفم قريباً من مخرج الياء)) .[5] اذ ينسب الجيم الى الشجر وهو كما في القاموس : ((مخرج الفم أو مؤخره أو الصامغ أو ما انفتح من منطبق الفم أو ملتقى اللهزمتين))[6] . وذكر أن الحروف التي تنسب اليه تعرف بالحروف الشجرية وهي (ج ، ش ، ي) .

وبتعبير آخر فإن شجر الفم استعمل للاشارة الى مناطق الفراغ الفمي بعد الفـــــراغ

---

(١) العين ١/٥٨ .
(٢) الكتاب ٢/٤٠٥ .
(٣) البصائر ٢/٣٣٢ .
(٤) ينظر : علم الأصوات العام ١٢١ .
(٥) البصائر ٢/٣٥٠ .
(٦) القاموس المحيط مادة (الشجر) .

الحلقي الذي يفصل بينهما منطقة اللهاة ، التي هي موضع نطق القاف .

٦ـ الحـــــــاء :

قال الفيروزآبادي في (بصيرة في الحاء) : ((حرف من حروف التهجي يذكر ويؤنث مخرجه وسط الحلق قرب مخرج العين)).[١] فالحاء أحد الحروف الحلقية أي تلك التي يكون موضع انتاجها (أي اعتراض الهواء الخارج من الرئة) في الحلق وهي المنطقة التي شغلت من الجهاز النطقي خلف اللهاة أدخل الى قرب الحنجرة . وكان الخليل قد قال : ((فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ...)).[٢]

٧ـ الخـــــــاء :

قال في (بصيرة في الخاء) : ((حرف من حروف التهجي ، وهي من حروف الحلق قرب مخرج العين في أنحاء الحلق)) .[٣] فالخاء ليست بذلك القرب من العين كالحاء، ولهذا احتاج الى أن يوضح ذلك بأنه قريب بكونهما من الحيز نفسه وهو حيز الحلق .

وكان سيبويه قد قسّم الحلق على ثلاثة مخارج ، فقال : ((فللحلق منها (أي :المخارج) ثلاثة . فأقصاها مخرجاً : الهمزة والهاء والألف . ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء . وأدناها مخرجا من الفم : الغين والخاء)).[٤]

وسيأتي في (بصيرة في الغين) مايجعل فيه العين أقرب الحروف الى الخاء .

٨ـ الـــــــدال :

وُصف هذا الحرف بكونه من حروف طرف اللسان إذ جاء في (بصيرة في الدال) قوله : ((حرف من حروف التهجي مخرجه من طرف اللسان قرب مخرج التاء)).[٥]

يعدّ التاء المقابل المهموس لصوت الدال المجهور ، معنى ذلك أن التاء والدال كليهما من مخرج واحد ، إلا أن صفة الجهر تميز الدال عن التاء الذي لاتهتز الأوتار الصوتية عند التصويت به .

---

(١) البصائر ٢/٤١٧ .
(٢) العين ١/٥٧ .
(٣) البصائر ٢/٥١٩ .
(٤) الكتاب ٢/٤٠٥ .
(٥) البصائر ٢/٥٨٣ .

٩ـ الذال :

صوت آخر من أصوات طـــرف اللسان إذ يتصل بأُصول الأسنان مع اهتزاز الوتريـــن الصوتيين • وقد اقتصر الفيروز آبادي على الوصف المخرجي للذال مهملاً ذكر صفته الصوتيـة فقد وصفه بقوله في (بصيرة في الذال) : ((حرف من حروف التعجّي ، لثوية مخرجها مـــن أصول الأسنان قرب مخرج الثاء)) .(١) فقد شبّهها بـ (اللثة) وهذا يعني أن طرف اللسان يتصل باللثة ، وعلى مايبدو فإن اللثة عند الفيروز آبادي تعني منطقة أُصول الأسنان تلك التي تنغرز فيها جذور الأسنان •

وكان الخليل قد وصفها باللثوية مع الظاء والثاء ((لأن مَبْـدأها من اللثة)) .(٢) فـي حين رأى سيبويه أن ((ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مُخْرج الظاء والذال والثاء))(٣) والملاحظ أن الفيروز آبادي أقرب الى كلمات الخليل منه الى كلمات سيبويه •

١٠ ـ الـــــراء :

لم يذكر الفيروز آبادي مخرج الراء كما كان متوقعاً جرياً على منهجه إذ خلا الموضع(٤) المتوقع فيه ذلك من أية اشارة الى وصف المخرج للراء كما اننا لا نجد في بقية الكتاب مايمكـــن أن نسدّ به هذه الثغـــــرة •

وكان الخليل قد وصف الراء مع اللام والنون بالذلقية ((لأن مبدأها من ذلق اللســـا ن وهو تحديد طرفي ذلق اللسان)) .(٥)

أما سيبويه فقد ذكر أنّها أدخل في ظهر اللسان قليلاً من مخرج النون الذي هو مـــن طرف اللسان بينه وبين مافوق الثنايا وذلك لانحرافه الى اللام .(٦)

(١) البصائر ٣/٣ •
(٢) العين ٥٨/١ •
(٣) الكتاب ٤٠٥/٢ •
(٤) ينظر : البصائر ٢٨/٣ـ ٢٩ •
(٥) العين ٥٨/١ •
(٦) ينظر : الكتاب ٤٠٥/٢

١١ـ الـــــزاي :

قال في (بصيرة في الزاي) : ((حرف من حروف التَهجي ، أَسَـــلي مخرجه من قرب مخرج الذال)) .(١) فقد نسبه الى الأسلة (*) وهي كما جاء في القاموس : ((والأسلة .. ومن اللسان طرفه)) .(٢)

وقد ذكر الخليل الذي استعمل مصطلح أسلة اللسان كون الزاي ممّا ينسب اليها إذ قال : ((والصاد والسين والزاي أسلية ، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طـــــرف اللسان)) .(٣)

إن الملاحظ ههنا كون الزاي كما يراها الفيروزآبادي تنتمي الى طرف اللسان من غيـــر أن تكون بمثل ذلك التحديد الدقيق الذي تبناه الخليل كما انها في نظره أقرب الى مخرج الذال الذي مخرجه كما مرّ سابقاً في قوله : ((لثوية ، مخرجها من اصول الأسنان قرب مخرج الثاء)) .(٤) فعلى مايبدو أن هناك من الأصوات ماهو أقرب الى الزاي من الذال ، كالسـين والصاد مثلا . لكنَّ ما ينبغي لنا ان نتذكره ههنا وجود تبادل صوتي بين الزاي والذال(٥) ويظهر ذلك ايضا في بعض اللهجات الحديثة . (تذكر اللهجة المصرية ذهب . زهب ، ذكي . زكي ...) (٦)

أما سيبويه فقد قال : ((ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والســـــين والصاد)) .(٧)

ولم يذكر الفيروزآبادي صفة الصفير التي تميز بها هذا الصوت مع السين والصاد عـــن بقية الصوامت . على أن اشارته الى قربه من مخرج الذال يحيل على تشابه في آلية انتاج الصوتين . وهي مســـألة اقرهـــا الدرس الصوتـــي الحديث .

---

(١) البصائر ٣/١٢٠ .

(*) ذكر المحقق الفاضل في الهامش من الصفحة السابقة أن المعروف كون الزاي ليست من الحروف الأسلية وهو مردود بقول الخليل المذكور آنفاً .

(٢) القاموس المحيط مادة (الأسل) .

(٣) العين ١/٥٨ .

(٤) البصائر ٣/٣ .

(٥) ينظر : البصائر ٣/١٢٠ . إن من اقسام الزاي مايسميها (زاي العجز والضرورة) ويعني بها : العجز عن النطق بها زايا فيقلبونها ذالاً وقد يحصل العكس .

(٦) ينظر : التطور اللغوي ٥٥ وفي ٥٤ ((كما تحولت الذال الى زاي في الحبشية والعبرية والاكادية ...)) .

(٧) الكتاب ٢/٤٠٥ .

١٢ـ السين :

لم يذكر الفيروزآبادي عن السين ماكان يتوقع أن يذكره وقد سلك سبيلا مسلكه مع الراء. وقد مرّ بنا أن الخليل نسبها الى أسلة اللسان وهي مستدق طرفه واصطلح سيبويه عليها وعلى زميلتيها في المخرج (الصاد والزاي) بالحروف الصفيرية.(١) وهي عند سيبويه المقابل المرقق للصاد المطبقة (المفخمة) والمقابل المهموس للزاي المجهور. أي انها لا تفترق عن الصاد إلا بالاطباق ولا تفترق عن الزاي الا بالجهر.(٢)

١٣ـ الشين :

قال في (بصيرة في الشين) : ((من حروف الهجاء شجريّ من مفتح (الأقوى : مفتتح) الفم جوار مخرج الجيم)).(٣) لقد وضع الفيروزآبادي الشين والضاد والجيم في حيز واحد هو شجر الفم (وهو مفتتحه من جهة الحلق). فهو يتبنّى رأي الخليل الذي يرى ((الجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي مخرج الفم)).(٤)

أما سيبويه فقد اختار لهذه المنطقة التي اصطلح عليها بـ ((وسط اللسان)) بينه وبين وسط الحنك الأعلى أن تكون مخرجاً للجيم والشين والياء. أما مخرج الضاد فقد قال عنه : ((ومن بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد)).(٥) فهو يضيف الياء الى هذا الحيز، كما يرى أن الضاد ينحرف عن وسط اللسان الى حافته المقابلة للأضراس.

١٤ـ الصاد :

حرف من حروف الصفير، وهو حرف مطبق يرتفع به اللسان حتى ينطبق مع سقف الفم (الطبق). وقد وصفه الفيروزآبادي في احدى بصائره التي سمّاها (بصيرة في الصاد) بقوله : ((حرف هجاء يظهر من طرف اللسان جوار مخرج السين)).(٦)

(١) ينظر : الكتاب ٢/٤٢٠.
(٢) ينظر : المصدر السابق ٢/٤٠٧ و٨ ٤١.
(٣) البصائر ٣/٢٩١.
(٤) العين ١/٥٨.
(٥) الكتاب ٢/٤٠٥.
(٦) البصائر ٣/٣٦٧.

١٥ـ الضـــــاد :

كنا قد لاحظنا أن الفيروزآبادي يتبنّى رأي الخليل في وصف الضاد بالشجريّة يسـب للشجر وهو مفتتح الفم ، اذ وصف الضاد في (بصيرة في الضاد) بقوله : ((حرف من حـروف المجاء ، شجري مخرجها من مفتتح الفم)).[١] وقد شَغَل الكلام على الضاد مساحة واسعـة من التراث العربي ، وعلى الرغم من ذهاب هذا الصوت من العربية منذ وقت مبكرعن زمـن النحويين ، فقد جرى وصف العربية بأنها (لغة الضاد) كأنَّ من اصطلح عليها بهذا عمل علـى محاولة الوقوف بوجه التغيير الصوتي بالتركيز على ذلك من خلال ربط اللغة العربية بالضاد .

١٦ـ الطـــــاء :

سبق أن وقفنا على كون مخرج هذا الحرف اقرب الى مخرج التاء ، من هنا نجد الفيـروز آبادي يصفه بقوله : ((حرف من حروف المجاء . مخرجه طرف اللسان قريباً من مخرج التاء))[٢] .

لكن الملاحظ هنا أنه نسب الطاء الى طرف اللسان في حين نسب التاء الى اللثـة . وبهذا فهو يخالف الخليل الذي نسبها الى نطع الغار الأعلى .[٣]، ووافق بعض رأي سيبويه في نسبتها الى طرف اللسان في حين نسبها سيبويه الى طرف اللسان بَيْنَهُ وبين فويـق الثنايا .[٤]

١٧ـ الظـــــاء :

قال الفيروزآبادي في (بصيرة في الظاء): ((مخرجه من أصول الأسنان جوار مخـرج الذال)).[٥] وكان قد ذكر أن مخرج الذال من أصول الأسنان ووصفها بـ (اللثوية) .

ولم يصف الظاء بذلك مما قد يعني أنَّ الصوتين قد لاينتميان الى الحيز نفسه . وكـان الخليل قد رأى : ((الظاء والذال والثاء لثوية ، لأن مبدأها من اللثة)).[٦] في حين قـال سيبويه : ((ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مُخرج الظاء والذال والثاء)).[٧]

فالفيروزآبادي اكثر قرباً الى رأي الخليل منه الى رأي سيبويه لأن أُصول الأسنان هي اللثـة .

---

(١) البصائر ٣/٤٥٨ .
(٢) البصائر ٣/٤٩٢ .
(٣) ينظر : العين ١/٥٨ .
(٤) ينظر : الكتاب ٢/٤٠٥ .
(٥) البصائر ٣/٥٣٤ .
(٦) العين ١/٥٨ .
(٧) الكتاب ٢/٤٠٥ .

١٨ـ العيـــــن :

لم يذكر الفيروزآبادي مخرج العين وهو الأمر نفسه الذي رأيناه في الراء وفي السين. وقد ورد في المخارج السابقة مايوضح كون مخرج العين في جملة مخارج الحلق ، فمخرج الألف الذي يظهر كون مخرجها قريباً من مخرج العين ومن الواضح أن أقصى الحلق أقرب المخارج الى الجوف . وهو مخرج الهاء الذي يصفه الفيروزآبادي بكونه قريباً من مخرج الألف .(١) وكون العين من أقصى الحلق مذهب سيبويه واكتفى الخليل بكونها أقصى الحروف كلها وهي تشارك الحاء والخاء والغين في الحلق .

١٩ـ الغيـــن :

حرف آخر من حروف الحلق ، قال عنه الفيروزآبادي في (بصيرة في الغين) : ((حرف من حروف الهجاء ، مخرجه من أعلى الحلق جوار مخرج الخاء)).(٢)

وكان الفيروزآبادي قد قال في الخاء : ((وهي من حروف الحلق قرب مخرج العيـــن في أنحاء الحلق)).(٣) ويبدو أن الأصح أن يكون الكلام قد اشتمل على تصحيف ، اذ ان الأقرب أن يكون مخرج الغين لا العين وهو أقرب الى الخاء وكذلك تحريف في أنحاء إذ الأقرب (أعلى) الذي ينسجم مع الكلام المتقدم في مخرج الغين .

وكان الخليل قد وضع الغين في مرتبة رابعة من حيز الحلق بعد العين والحاء والخاء .(٤) أما سيبويه فقد وضعه في القسم الثالث من مخارج الحلق وهو أدنى الحلق اذ قـــال : ((وأدناها مخرجاً من الفم : الغين والخاء)).(٥)

٢٠ـ الفاء :

هذا هو الصوت الأخير الذي لم يذكر الفيروزآبادي عن مخرجه أي شيء ـ كما ســبقت الاشارة الى ذلك . سوى أنه حين ذكر مخرج الباء . كما مرّ سابقاً قال : ((ومخرجه مـــن انطباق الشفتين قرب مخرج الفاء)).(٦)

(١) ينظر : البصائر ٥/٢٩٥ .
(٢) البصائر ٤/١١٩ .
(٣) البصائر ٢/٥١٩ .
(٤) ينظر : العين ١/٥٨ .
(٥) الكتاب ٢/٤٠٥ .
(٦) البصائر ٢/١٩٠ .

٢١ـ القـــــاف :

وصف الفيروزآبادي القاف بقوله : ((حرف هجاء لهويّ مخرجه من اللهاة قرب مخرج الكاف ...))[١] واللهاة هي اللحمة المتدلية مابين الحلق وبداية الفراغ الفموي (شجرالفم)

وقد تبنّى الفيروزآبادي ههنا رأي الخليل الذي رأى أن القاف والكاف لهويتان .[٢]

أما سيبويه فقد قال : ((ومن أقصى اللسان ومافوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف)).[٣]

٢٢ـ الكـــــاف :

وكذلك الكاف فقد نسبها الى اللهاة فقال : ((حرف من حروف الهجاء لهويّ مخرجه من اللهاة جوار مخرج القاف ...)).[٤]

وكان سيبويه قد ذهب الى أن الكاف من موضع اسفل من موضع القاف ولعله أراد بأسفل كونها قبل مخرج القاف أي متقدمة على أقصى اللسان ، اذ قال : ((ومن أسفل من موضـــــع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف)).[٥]

وتجدر الإشارة الى أن الباحثين قد فهموا كلام سيبويه ههنا بأن القاف متقدمة على الكاف التي تليها مباشرة في حين أن سيبويه ذكر كونها أسفل من مخرج القاف وهو مايعني كـــون الكاف اكثر عمقاً من القاف ومتقدّمة عليها في مدارج الجهاز الصوتي .

---

(١) البصائر ٤/٢٢٥.
(٢) ينظر : العين ١/٥٨.
(٣) الكتاب ٢/٤٠٥.
(٤) البصائر ٤/٣١٨.
(٥) الكتاب ٢/٤٠٥.

٢٣ـ اللام :

قال الفيروزآبادي في (بصيرة في اللام) : ((حرف هجاء من حروف الذلاقة مخرجها ذلق اللسان جوار مخرج النون))(١). وذلق اللسان كما يقول الخليل ((وهو تحديد طرفي ذلق اللسان))(٢). وتشترك اللام مع النون والياء في حيز واحد مخرجها ذلق اللسان . ويومي قول الفيروزآبادي بأن لحرف اللام مخرجاً مستقلاً كما أن للنون مخرجاً مستقلاً ايضاً وكذا الأمر للياء ايضاً . وهو الأمر الذي يبدو خلاف رأي الخليل الذي يجعلها من مخرج واحد .

وكان سيبويه قد جعل لكل منها مخرجاً مستقلاً فقد قال في اللام : ((ومن حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان مابينها وبين مايليها من الحنك الأعلى وما فُوَيق الضاحك والناب والرباعية والثّنية مخرج اللام ...))(٣).

ويلاحظ أن الفيروزآبادي فضّل أن يكون أقرب الى رأي الخليل منه الى رأي سيبويه الذي كان في وصفه لمخارج الأصوات أكثر دقة من استاذه الخليل .
وكان الخليل قد أشار الى انحراف هذه الحروف عن ظهر اللسان(٤) . وحروف الذلاقة عند ابن جنّي ستة هي : اللام والراء والنون والفاء والباء والميم . والثلاثة الأُولى : ذلقية والثلاثة الاخرى: شفوية .

٢٤ـ الميم :

وصف الفيروزآبادي هذا الحرف في (بصيرة في الميم) بقوله : ((حرف شفوي من حروف الهجاء يظهر من انطباق الشفتين قرب مخرج الباء))(٥) اذ يلاحظ ان الفيروزآبادي ركز اهتمامه على الوصف المخرجي للحرف مهملاً ذكر صفته المميزة وهي هنا الغنة ، ويماثل عمله هذا عمل سلفه الخليل (رحمة الله عليه) الذي اكتفى في أولى خطوات الدرس الصوتي العربي الذي بدأه بذكر المخارج دون الصفات الصوتية . وهو الأمر الذي ركز سيبويه جهده عليه بالنظر للأهمية التي تتخذها الصفات الصوتية في بيان التطورات الصوتية التي طرأت على الألفاظ العربية مفردة وفي اثناء الكلام في ماعرف بظواهر الابدال والادغام والقلب والوقف وغيرها .

---

(١) البصائر ٤/٤٠٨ .
(٢) العين ١/٥٨ .
(٣) الكتاب ٢/٤٠٥ .
(٤) ينظر : العين ١/٥٢ .
(٥) البصائر ٤/٤٧٥ .

وتبنّى الفيروزآبادي رأي الخليل الذي قال الليث (ت ١٧٥هـ) عنه: ((وكان الخليل يُسمّي الميم مطبقة لأنها تطبق الفم اذا نطق بها)) .(١)

٢٥ـ النـــــون :

وصف الفيروزآبادي هذا الحرف في (بصيرة في النون) بقوله : ((حرف من حروف التَمجّي ذولقيّ مخرجه قرب مخرج اللام)) .(٢) عبّر عنه بـ (ذولقي) لأن هذا الحرف أحد حروف الذلاقة : ((لأن الذلاقة في المنطق ، إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين)) .(٣)

ولم يشر الى صفة الغنة التي تتصف بها النون مع الميم وهي الصفة التي تتولد عـــن طريق مرور جزء من الهواء بالمر الأنفي عبر مدخل الخيشوم . وكان سيبويه قد وصف النـــون مخرجياً بقوله : ((ومن طرف اللسان بينه وبين ما فُويق الثنايا مخرج النون)) .(٤)

٢٦ـ الـــــواو :

يعدّ هذا الحرف في العربية ذا قيمتين صوتيتين إذ يعبّر به عن صوت المد الطويل كما في (طُورودُور) ويعبّر به عن صوت نصف المد (قَوْل / أقوام) . وقد وصف الفيروزآبادي هذا الحرف بقوله : ((حرف من حروف الهجاء . شفوي يحصل من انطباق الشفتين جوار مخـــرج الفاء)) .(٥)

وعلى مايبدو فإن انطباق الشفتين الذي يعنيه الفيروزآبادي ليس ذلك الانطباق الـــذي يحدث عند التصويت بحرف الميم الذي سبق أن ذكرنا وصف الفيروزآبادي له باطباق الشفتين ، فالاطباق هنا هو تدوير الشفتين من غير أن يمنعا مرور الهواء من بينهما .

وقد تبنّى الفيروزآبادي في نسبه هذا الحرف الى الشفة رأي سيبويه الذي قال : ((ومما بين الشفتين مخرج الياء والميم والواو)) .(٦) في حين نسبها الخليل الى مدرجة من المدارج الصوتية هي واختيها الألف والياء . كما تبين لنا فيما نقلناه عنه في كلامنا حول الألف والهمزة(٧).

واذا كان سيبويه قد نسبها الى مخرج محدد فإنّه لم تغب عنه سمتها الصوتية المتمثلة بكونها من الحروف التي يُمدّ بها الصوت ولا يمدها حلق أو لسان أو شفة واتسع المجرى لهوائها ، على مانقلنا فيما سبق .

---

(١) العين ١/٥٨ .
(٢) البصائر ٥/٦ .
(٣) العين ١/٥١ .
(٤) الكتاب ٢/٤٠٥ . ٥) البصائر ٥/١٤٥ .
(٦) الكتاب ٢/٤٠٥ .
(٧) ينظر : موضوع الألف والهمزة من هذا الفصل .

٢٧ـ الهـــــاء :

وصف الفيروز آبادي هذا الحرف في بداية البصائر التي تبدأ بهذا الحرف في (بصيرة في الهاء) : ((حرف من حروف الهجاء مخرجه من أقصى الحلق من جوار مخرج الألف)) .(١)

وكان الفيروز آبادي قد ذكر في (بصيرة في الألف) كونها من جوار مخرج العين وعلى ذلك كان مخرج العين كما ذكرنا في محلها من أقصى الحلق مع الهاء. وكون الهاء من أقصى الحلق هو ماذهب اليه كل من الخليل وتلميذه سيبويه رائدي الدراسة الصوتية العربية . إذ جعلها الخليل في أقصى الحروف مخرجاً بعد الحاء : ((لولا هتة في الهاء ، وقال مرة (هـهـة) - لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء . فهذه الثلاثة (يعني : العين والحاء والهاء) في حيز واحد بعضها أرفع من بعض)) .(٢)

وقال سيبويه : ((ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً فللحلق منها ثلاثة : فأقصاها مخرجاً : الهمزة والهاء والألف ...)) .(٣)

٢٨ـ اليـــــاء :

كان الفيروز آبادي قد ذكر في وصفه مخرج الجيم بأنه قريب من مخرج الياء (٤) . ويجعل هنا الياء أقرب الى مخرج الضاد الذي ذكر أنه من مفتتح الفم (٥) إذ قال في (بصيرة في الياء) : ((وهي حرف هجاء شجري مخرجه من مفتتح الفم جوار مخرج الضاد)) .(٦)

والياء من جملة الحروف التي ذكرها الخليل في أنه لاتنسب الى مدرج من مدارج الجهاز النطقي وهي هوائية ومبدأها الجوف .(٧) أما سيبويه فقد ذكرها في جملة المخرج السادس وهو قوله : ((ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء)) .(٨) وهو أقرب الى أن يكون مخرج شجر الفم الذي ورد ذكره عند الخليل، ولعل منشأ قربها من مخرج الضاد يتأتى من ترتيب سيبويه للمخارج إذ وصفها بعد المخرج السابق الذكر الذي آخره الياء فقال : ((ومن بين أول حافة اللسان ومايليها من الأضراس مخرج الضاد)) .(٩)

---

(١) البصائر ٥/٢٩٥ .
(٢) العين ١/٥٧ ـ٥٨ .
(٣) الكتاب ٢/٤٠٥ .
(٤) ينظر : البصائر ٢/٣٥٠ .
(٥) ينظر : البصائر ٣/٤٥٨ .
(٦) البصائر ٥/٣٧١ .
(٧) ينظر : العين ١/٥٧ و٥٨ .
(٨) الكتاب ٢/٤٠٥ .
(٩) المصدر السابق .

المبحث الثاني

الظواهر الصوتية

ظاهرة الإبدال :

يعرّف الإبدال بأنه ((جَعلُ حرف مكان حرف غيره)) (١) وهو بهذا عام لأنواع القلب جميعها التي منها مايحدث عند الإدغام لكنهم على مايبدو من كلام رضي الدين الاسترآبادي (ت ٦٨٨ هـ) خصوه بالابدال الذي لايحدث عنه الادغام . قال الرضي مشيراً الى ذلك عند كلامه على الإبدال : ((والقلبُ الذي للادغام ليس مما نحنُ فيه)) . (٢) وورد مصطلح القلب بمعنى الابدال هنا . وقال ايضاً : ((الابدال في اصطلاحهم اعم من قلب الهمزة ، ومن قلب الواو والياء والالف)) (٣) ونبه على ذلك كلاّ من الأشموني (ت ٩٢٩ هـ) والصبّان (ت ١٢٠٦ هـ) :((وإنما المراد البدلُ من غير الإدغام)) . (٤) وقد أشار الفيروز آبادي الى دلالة الابدال العامة من خلال وقوفه على المعنى اللغوي للإبدال اذ قال مانصه ((وهو الشيء يكون مكان آخر . وهو أعم من العِوض ، فان العِوض هو أن يصير لك الثاني باعطاء الأول ، والتبديل ، والابدال ، والاستبدال : جعل الشيء مكان آخر)) . (٥)

بالنظر لما تقدّم فإننا سنهمل الحديث هنا عن الهمزة والحروف المعتلة إذ سنفرد لهما محلين خاصين بهما فيما يصطلح عليه بظاهرة الهمز وظاهرة الاعلال . فهذه الأصوات تمتلك سلوكاً فونولوجياً (وظيفياً) يفردها عن غيرها من الأصوات الأخرى . وسنأتي الى تفصيل هذا لاحقاً .

أما الآن فسنحاول عرض طائفة مظاهر الإبدال التي وقف عندها الفيروز آبادي في كتابه (البصائر) مبتدئين بأولها مخرجاً ومنتهين بآخرها مخرجاً وعلى وفق التقسيم الحديث للأصوات .

ويعود هذا الاختيار الى كون هذه الظاهرة ذات مساس بتطور الأصوات في حالة تأثر بعضها ببعضها الاخر . وهي مسألة شغلت حيّزاً لا بأس به من الدراسات الصوتية الحديثة

---

(١) شرح الشافية ٣/١٩٧ .
(٢) المصدر السابق ٣/٢٢٧ .
(٣) المصدر السابق ٣/١٩٧ .
(٤) حاشية الصبّان على شرح الاشموني ٤/٩ ٢٧ .
(٥) البصائر ٢/٢١٦ ، وينظر : القاموس المحيط مادة (بدل) .

التي حاولت تسويغ حصول هذه التطورات في اطار من فهم جديد ، وان لم يكن غاية في الجدة ، يأخذ بعين الاعتبار مخرج الصوت وصفاته وموقعه من الكلمة والسياق اللغوي المحيط به ونحو ذلك .

الإبدال في حروف الشفة :

وهي الميم والباء والفاء ، وذكر الفيروز آبادي تبادل الحرفين (الميم والباء) في الابدال فقال في بصيرة الباء : ((ومن أقسام الباء: الباء المبدلة ، كمكة وبكة ، ولازم ولازب)) .(١)

وقال في بصيرة الميم : ((الميم المبدلة من الباء نحو : بنات بخر وبنات مخر)) .(٢)

ولم يحاول الفيروز آبادي تعليل هذه الظاهرة بل الملاحظ أن اصطلاحه بالباء المبدلة والميم المبدلة يكاد يوحي بانها حالة طبيعية ، وأن لبعض الحروف مواضع توصف بها بالمبدلة ، ولا تستعمل الا في هذه المواضع ونحوها .

وذكر ابدال الميم من النون وهو من الأصوات اللثوية فقال : ((الميم المبدلة ... من النون ك (البنام) في البنان)) .(٣)

وعلى الرغم من البعد بين مخرجي الحرفين فإن اشتراكهما في الصفة المميزة (الغنة) هو الذى أمكن الاستغناء عن التمييز الحاصل بالنقطة المخرجية والاكتفاء بالصفة الصوتية . في حين كان الأمر مختلفاً نوعاً ما مع الباء ، إذ جرى التمسك بالنقطة المخرجية والتنازل عن الصفة الصوتية (الغنة في الميم) لصالح صفة انطباق الشفتين عند نطق الباء .

الإبدال في حروف اللثة :

وهي حروف النون والراء واللام ، قال الفيروز آبادي : ((النون المبدلة من اللام : هتلت السماء وهتنت)) .(٤) وقال في ابدال الراء لاماً : ((والفَرْق والفلق أخوان وكذا فَرَق الصبح وفَلَقه . و الفَرَقُ بالتحريك : الخوف الذي يفرق القلب)) .(٥)

ويمكننا تفسير الابدال الحاصل مابين اللام والنون بالعودة الى الخصائص الصوتية التي تجعل من هذه الأصوات طائفةً متميزةً عن غيرها إذ إنها تشتمل على اعتراض تام للهواء يعمل

---

(١) البصائر ٢/٩٥ ١ . (٢) البصائر ٤/٤٧٦ . (٣) البصائر ٤/٤٧٦ .
(٤) البصائر ٥/٧ . (٥) البصائر ٤/٩ ١٨ .

على غلق المجرى الهوائي وهو مايؤدي الى أن يتخذ الهواء له طريقاً آخر هو السر الأنفي في النون وهو ماسبب حدوث الغنة أو أن ينحرف الى جانب اللسان في اللام وكذا الحال في الراء لكنَّ الأمر هنا يشتمل على مخالفة ماتكمن في تعدد الاعتراض التام بفعل ضغط الهواء الذي يعمل على إزاحة هذا الاعتراض وهو ماسبب حركة تكرارية لطرف اللسان ٠

الإبدال في حروف طرف اللسان (اللثوية) :

وهي حروف (ت ، د ، ط) ، يقرر علم اللغة الحديث حدوث التبادل بين هذه الطائفة من الأصوات ، وذلك لما بين أفرادها من تقارب إذ تشترك جميعها في النقطة المخرجية ولاتختلف الا من جهة الصفات ٠ إنَّ الدّال يعدّ المقابل المجهور للتاء ، كما أن الطاء يُعدّ المقابل المفخم له ويعدّ النظير المهموس والمرقق لهما ٠

ولعلّ ذلك أدى بالصيغة المشهورة (افتعل) الى أن تُعامل بوصف الابدال فيها ابدالاً قياسياً ونعني به إبدالاً ترتضيه العربية وينسجم مع بنيتها الصوتية من نحو : (اضطر ، اضطرم ، وغيرهما) ٠

ومن ذلك ماذكره مؤلف البصائر في (بصيرة في الاستطاعة) إذ قال : ((ويقال فيه استاع واسطاع ، قال تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوه وَمَا ٱسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾ (الكهف ٩٧) ، قال :

تكثّر من الأخوان ما استطعت إنَّهُمْ ... عِمادٌ إذا استَنجَدتَهُمْ وظهورُ
فما بكثير الف خلٍّ وصاحبٍ ... وإنَّ عدوا واحداً لكثيرُ)) ٠ (١)

وقال في بصيرة الطاء : ((٠٠٠ والطاء المبدلة من التاء نحو : اصطلح واصطبر)) ٠ (٢)

ويبيّن هذا المثال أن التاء قد تأثرت بالاطباق في الحرف السابق لها وهو الصاد الأمر الذي أدّى الى ان تكتسب هذه الصفة فتتحول الى نظيرها المنطبق وهو الطاء وهكذا الحال مع (اصطبر) ٠

ويظهر أنَّ هذا التحول ارتبط بهذه الصيغة وهو الشيء الذي أدّى الى حدوث تحوّلات صوتية أخرى قد لايؤخذ فيها وجود صوت سابق مطبق وهو ماحدث مع المثال الأول في نحو: استاع واسطاع ٠

---

(١) البصائر ٢/١٨٨ ٠ (٢) البصائر ٣/٩٢ ٤ ـ ٤٩٣ ٠

ويحدث إبدال بين الطاء والدال كقوله في بصيرة الطاء : ((الطاء المبدلة من الدال نحو : انقطت مكان انقدت)) .[١] ولعل الأمر مرتبط بوجود الصوت المستعلي (القاف) قبل الدال إذ إن الاستعلاء يقتضي أن يرفع ظهر اللسان عند النطق وهو وضع يستمر الى حين النطق بالصوت التالي إذا أخذنا بعين الاعتبار السرعة المطلوبة في نطق الاصوات خاصة عند الكلام .

وينحو ذلك بالدّال الى أن تتحول الى مقابلها المهموس المطبق (الطاء) .وذكر الفيروز آبادي ابدال التاء من الواو ومن السين فقال في نحو التراث والطست ان اصلهما الوراث والطسّ .[٢] ومثل ذلك في بصيرة (ورى) عند الكلام على لفظة (التَّوْراة) وهي (تَفْعِلَة) من (وَرِيَ الزند) ،اذا كانت التاء زائدة ،اصله : وِوراة ، بابدال الواو تاء .[٣]

وفي الحق إننا لا نستطيع أن نتبين الجهة الصوتية التي تمّ من خلالها هذا الابدال . ويمكن ارجاعه الى الناحية الصرفية إذ أملى التصوّر الخاص بالمادة الأصل رجوع التاء الى الواو التي تظهر في المادة الأصل (وري) .

ومثل ذلك في بصيرة (الجبت) اذ تبدل الى الجبس وهما ((الفسل الذي لا خير فيه)) ويعلل ذلك تعليلاً دلالياً ظريفاً فيقول : ((وقيل : التاء بدل السين تنبيها على مبالغته في الفسولة كقول الشاعر :

عَمْرُو بن يَرْبُوع شِرارَ النّاتِ .[٤]

أي : خساس الناس)) وعرفت هذه الظاهرة في اللهجات بالوتم .[٥]

ويقول في ابدال (الدّال من التاء) ويعني ذلك أن التاء تحوّلت الى مقابلها المجهور ويشترط الفيروز آبادي لحدوث هذا الابدال وجود الجيم ،إذ قال في (بصيرة في الدال) : ((الدّال المبدلة من التاء إذا كان بعد جيم نحو قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ (يوسف ٦) وقرئ في الشاذ (يَجدَبِيكَ) .[٦] وقال الشاعر :

فقلت لصاحبي لا تحبسنّا ينزع أصوله وأجدّ شِيحَا

أي : أجتزّ)) .[٧]

---

(١) البصائر ٣/٩٣ ٤ .
(٢) ينظر : البصائر ٢/٢٨٤ .
(٣) ينظر : البصائر ٥/٢٠١ .
(٤) البصائر ٢/٣٥٩ .
(٥) ينظر : ملامح من تاريخ العربية ٤٧ـ٤٨ .
(٦) لم أعثر على القراءة فيما لديّ من مصادر تخص القراءات . ولم يشر صاحبا المعجم المفهرس للقراءات القرآنية الى وجود قراءة كهذه .
(٧) البصائر ٢/٥٨٤ .

ونرجح أن الظاهرة المتبعة في نطق الجيم (بالقلقلة) هي المسؤولة عن اكتساب التاء الجهر وتحوّله الى الجهر فيصبح دالاً .

ولعل الأمر قد يبدو مغايراً لما سبق وذلك بارجاع التأثير الى الصوت التالي له أي: صوت الزاي المجهور وعلى وفق نظرية الحرف الأقوى في تسويغ التصورات الصوتية التي جاء بها (جرامونت) (*) يمكننا أن ندّعي تأثر التاء بالجهر في الزاي خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار ماحدث في نحو (ازدهَى ، وازدَان) .

الإبدال بين حروف طرف اللسان واطراف الثنايا (ظ ، ذ ، ث):

قد تبدل الظاء من الذال وتسمى هذه الظاء بالظاء المبدلة وقال عنها الفيروز آبادي : ((والظاء المبدلة في نحو : وقيظ ووقيذ)) .(١)

ومن الملاحظ أن الذي حدث ههنا يكمن في أن الذال المتحدة مخرجاً مع الظاء اكتسبت الاطباق فتحولت الى الذال المطبقة التي هي الظاء . ولعل وجود الصوت المستعلي (القاف) في (وقيذ) هو المسؤول عن حدوث هذا التطور في هذه الكلمة .

ويحدث أن يكتسب صوت الثاء المهموس صفة الجهر فيتحول الى صوت الذال ولاحظ الفيروز آبادي ذلك فقال في (بصيرة في الذال) في أنواع الذال : ((الثامن : الذال المبدَلة من الثاء ، نحو تلعثم في كلامه ، وتلعذم))(٢) فالظاهر أن الثاء قد اكتسب الجهر بتأثير الأصوات المجاورة له وبهذا يتحول الى نظيره المجهور الذي هو الذال .

وذكر الفيروز آبادي مايفيد في بيان أن الخلط بين صوتي الظاء والضاد ومعهما الصاد قد يعتمد على خطأ في الكتابة وهو من جملة مايذكره المحدثون في بيان بعض التطورات اذ قال في بصيرة (الضاد) : ((الضاد المبدَلة : اما من الصاد كالنصنصة والنضنضة للحركة ، واما من الظاء كما في قول الشاعر :

إلى اللّهِ أشكو من خليلٍ أودُّه ... ثلاث خِلالٍ كُلُّهَا لِي غائضُ

أي : غائظ)) .(٣)

مع أنه يمكن تفسير هذا التطور من الجانب الصوتي لما بين الضاد والظاء من تقارب مخرجي وكونهما مطبقين مجهورين . في حين نرى أن الحالة في الابدال من الصاد قد يكون الأرجح فيها أن تكون نتيجة خطأ كتابي إذ إنّ الصاد : مهموس وصفيري وان كان قريباً من الضاد في المخرج .

(*) ينظر : أثر الأصوات في القراءات والنحو العربي ٢٣٢ ومابعدها .

(١) البصائر ٣/٥٣٤ ـ ٥٣٥ . (٢) البصائر ٣/٤ . (٣) البصائر ٣/٤٥٩ .

الإبدال في الحروف الشجرية :

وحروف الشجر (وهو مفرج الفم) هي : الجيم والشين والياء (المتحركة) .ولعل أبرز ماذكر في الابدال الخاص بهذه الحروف ماكان من ابدال الياء المشدّدة جيماً . إذ جاء في بصيرة الجيم قوله : ((الجيم المبدلة من الياء المشددة نحو : أجّل ، في أيّل ، وعلجّ في عليّ ، أو من ياء النسب نحو : دارجّ في داريّ . قال الشاعر :

* يارب إن كنت قبلت حِجَّجِجْ *

أي حجّتي .))[1] وقد أبدلت من الياء المخففة . وقال ثعلب (ت ٢٩١ هـ) في مجالسه : ((أبدلت من الياء الجيم في التشديد لقرب مخرجها ، ولا بأس أن تجيء في الياء المخففة مثل : حجتي . وأنشد(*) :

لا هُمَّ إن كنت قبلتِ حِجَّجِجْ فلايزال بازلٌ يأتيك بِجْ))[2]

وقد فسّر ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) هذه الظاهرة فقال : ((ان الجيم شديدة ولولا شدتها لكانت ياء واذا شددت الياء صارت جيماً)) .[3]

ويقول الدكتور غالب المطلبي : ((واحسب أن قلب الياء جيماً في الوقف إنما كان بسبب من الضغط على الياء ، والياء اذا ضغطت انقلبت الى الجيم)) .[4]

ولعل المسألة في هذا الابدال ترتبط بناحية مقطعية عند الوقف إذ جرى في العادات اللغوية أن يضعف النطق بالأصوات التي تكون في نهاية الكلام أو الكلمات . زيادة على كون الجيم أحد حروف القلقلة وهي الظاهرة التي على مايبدو جيء بها للمحافظة على هذه الأصوات .[5]

وتختلط هذه الظاهرة بظاهرة اخرى عرفت بـ (عجعجة قضاعة) التي يشترط فيها لقلب الياء جيماً وجود العين قبلها .[6]

ولم يذكر الفيروزآبادي إبدالاً آخر يقع بين أفراد هذه المجموعة ولكنه ذكر أن الشين تبدل مكان كاف المخاطبة على نحو خاص وسيأتي الكلام عليها .

---

(١) البصائر ٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

(*) ذكر ابن يعيش هذا الابدال وذكر الشاهد على الصورة الآتية :

لا هُمَّ إن كنتَ قبلت حِجَّتِجْ فلايزال شاجِجٌ يأتيك بِجْ

أَغَرُّ نَهَّاتٌ يُنَزِّي وَفْرَتِجْ

شرح المفصل ٩ / ٥٠ ينظر : شرح الشافية ٢/ ٢٨٧ .

(٢) مجالس ثعلب ١/ ١١٧ . (٣) شرح المفصل ٩ / ٥٠ . (٤) لهجة تميم ١٠١ .

(٥) ينظر : الدرس الصوتي عند رضي الدين الاستربادي ٣٢ـ٣٣ .

(٦) ينظر : لهجة تميم ١٠٢ .

الإبدال في حروف أقصى الفم (ق ، ك) :

ذكر الفيروزآبادي في الإبدال بين هذين الحرفين مايسمى بالقاف المبدلة من الكاف ، والكاف المبدلة من القاف كما ذكر أن الشين تبدل من الكاف التي للمخاطبة المؤنثة ، فالأول قوله في بصيرة القاف : ((القاف المبدلة من الكاف أعرابيّ قحٌّ وكحٌّ ، أي : محض خالص ، ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (الضحى ٩) و (وَلَا تَكْهَرْ) .(١) قرأ بها ابن مسعود (رضي الله عنه) (٢)..)) والصحيح أن هذا الابدال يقتصر على بعض اللهجات والى ذلك اشار ابن سيده (ت٤٥٨هـ)(٣) ولعلّ قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تدل على اختصاص الابدال بقبيلة هذيل التي ينتمي اليها ابن مسعود .

أما ابدال الكاف من القاف فقوله : ((الكاف المبدلة من القاف : امتقَّ وامتكَّ ، وتمعّق وتمعّك)) .(٤)

يمكن أن نلحظ أن الابدال الوارد ههنا يرجع الى كون الحرفين متقاربين في صفاتهما الصوتية زيادة على تقاربهما المخرجي فكلاهما مهموسٌ انفجاري .

أما ابدال الكاف للمخاطبة شينا فهو لهجة لبعض العرب وهم بنو تميم ، ويعرف هذا السلوك الصوتي بـ (كشكشة تميم) .(٥) قال الفيروزآبادي في (بصيرة الشين) : ((الشين المبدلة من كاف خطاب المؤنث نحو : بشرٍ وعَلَيْشِ . قال :

فعيناشِ عيناها وجيدُشِ جِيدُ هَـــا ولكنَّ عظم الساق مِنْشِ دَقِيقُ))(٦)

وينسب سيبويه هذه الظاهرة الى تميم وأسد ثم يرى أن يفسرها فيقول : ((فاما ناس كثير من تميم وناس من أسد فانهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين . وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف ، لأنّها ساكنة في الوقف ، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث ، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل ، لأنّهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كانّه أقوى من أن يفصلوا بحركة ، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف ، كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا : ذهبوا وذهبن ، وأنتم وانتن ، وجعلوا مكانها اقرب مايشبهها من الحروف اليها ، لأنّها مهموسة كما أن الكاف مهموسة ولم يجعلو مكانها مهموساً من الحلق

---

(١) قوله (ولاتكهر) قرأها ابن مسعود . ينظر : مختصر في شواذ القراءات ١٧٥ .
(٢) البصائر ٤/٢٢٥ . (٣) ينظر : المخصص ١٣/٢٧٧ . (٤) البصائر ٤/٣١٩ .
(٥) ينظر : شرح الشافية ٣/٢٠٠ . (٦) البصائر ٣/٢٩٢ .

لانها ليست من حروف الحلق . وذلك قولك : إنَّ ذاهبةٌ ومالكٌ ذاهبةً يُريد : إنَّكِ ومالكٍ))[١] يحمل سيبويه على تفسير هذه الظاهرة في ضوء سلوك لغوي هو إرادة إبراز الفارق بين المذكر والمؤنث كما فرقوا بين ذهبوا وذهبن وانتم وانتن .[٢]

الإبدال في حروف الحلق :

وهي حروف (العين والغين والهاء والحاء والخاء) وقد ذكر الفيروزآبادي طائفة من النصوص التي توضح حدوث الابدال بين هذه الحروف ولعلّ من أبرز هذه النصوص ما اشتهر عند اللغويين بـ (الفحفحة) .[٣] التي اتفقوا على كونها لهجة لهذيل .

والفحفحة هي إبدال العين حاءً او المشهور منها ما يروى عن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود (رض) في قراءة الآية : ﴿عَتَّى حِينٍ﴾[٤] (يوسف ٣٥) بدلاً من (حتّى حين) . قال الفيروزآبادي : ((وقد يُبدل حاؤها عيناً ، وقرئ في الشاذ (عتّى حين) قرأ بها ابن مسعود (رض) ، فلما بلغ ذلك عمر (رضي الله عنه) قال : إن القرآن لم ينزل على لغة هُذيل فاقرئ الناس بلغة قريش . قال الفراء : حتى لغة قريش وجميع العرب الا هذيلاً وثقيفاً فإنّهم يقولون : (عتى) . وأنشدني بعض أهل اليمامة :

لا أُضـــــع الدّلو وَلا أُصَلّـــي عتّـــى أرى جِلّتهـــا تُولّـــى
صَـــوادِراً مثل قِبـــاب التلّ))[٥]

---

(١) الكتاب ٢/٢٩٥ . (٢) ينظر : لهجة تميم ١٠٦-١١٠، فصول في فقه العربية ١٣٥ .
(٣) المحتسب ١/٣٤٣ ، الابدال لأبي الطيب ١/٢٩٢ ومابعدها . وينظر لمزيد من التوسع : اللهجات العربية في التراث ٣٧٠-٣٧٤ .
(٤) ذكر ابن خالويه أن ابن مسعود قرأها في (سورة يوسف) حسب ـ ينظر ـ مختصر في شواذ القراءات ٦٣ . وجاء في حاشية الأمير على المغني ١/١١ أن ابن مسعود قرأها في (سورة الصافات) وهذا خطأ لأن ابن مسعود قرأها في (سورة يوسف) حسب . ينظر : البحر المحيط ٥/٣٠٧ ، الكشاف ٢/٣١٩ ، وينظر : معجم القراءات القرآنية .
(٥) البصائر ٢/٤٢٩ .

وقد ورد عكس هذا الابدال ، في موضع آخر فقي بصيرة (تَعَمْ) : ((وقرأ ابن مسعود نحم بابدال العين حاءً)) .(١)

وقد تكون هذه الظاهرة منسجمة مع بعض ماوجد في اللغات السامية والعربية الجنوبية من ابدال الحاء عيناً .(٢)

وتبدل العين غيناً ومنه ماورد في بصيرة (الغين) : ((يكون (الغين) بدلاً من العين في نَشُوع ونَشُوغ (*) . وارْمَعَلَّ وارمغل (**))) . (٣)

ولعل هذا الابدال لم يحدث في الحقيقة الا بفعل التصحيف . وقد ساق اللغويون (٤) أمثلة عدة لبعض مايتوهم فيه الابدال وهو في الحقيقة تصحيف .

ومن الابدال فيما بين هذه الحروف أن تبدل الحاء خاءً من أنواع الخاء : ((التاسع الخاء المبدلة من الحاء ، نحو : خَمَصَ الجُرح وحَمَصها اذا تورم)) .(٥)

وقد نقل وقوع الابدال وتعاقبه بين الحرفين أبو الطيب (ت ٣٥١هـ) في كتابه (٦) ولا يبعد وقوع الابدال بين الحرفين إذ كلاهما حلقي مهموس ((وقد حدث التبادل بين هذين الحرفين في السامية الأم والعبرية ...)) .(٧)

ومنه ايضا ابدال الحاء هاءً فقد جاء في بصيرة (الحاء) : ((الحاء المبدلة نحو مَدَح ومَدَه وأنه أنها وأبح اذا زَجَر عند السؤال)) .(٨)

وقد نقل اللغويون مظاهر أخرى (٩) لهذا الإبدال إذ الحرفان حلقيان مهموسان وكما يقول الخليل : ((ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرجها منها)) (١٠)

وقد بيّن الدكتور أحمد علم الدين الجندي : ((أن هذه السمة اللهجية فارسية تأثرت بها القبائل العربية التي كانت تتاخم حدود فارس)) (١١) وكان يعاب على زياد بن أبيه هذه اللهجة بأنه يرتضخ لكنه فارسية .

ولا يخفى أن هذا لا يلغي كون اللغة تنحو الى قبول الابدال بين الحرفين كما تقدم من تقاربهما مخرجاً وصفة . وقد ذكر الفيروز آبادي ماسماه به : ((هاء العجز والضرورة يقول الصمد لله)) (١٢) . يعني الحمدُ لله .

---

(١) البصائر ٥/٨٨ . (٢) ينظر : اللهجات العربية في التراث ٣٧٣ .

(*) النشوع والنشوغ : السعوط والوجور . والسعوط : مايدخل في الأنف ، الوجور : مايدخل في الفم من الدواء .

(**) ارمعل الصبي : سال لعابه ، وكذلك ارمغل . (٣) البصائر ٤/١١٩ .

(٤) ينظر: المزهر ٢/٣٦٣ . اللهجات العربية في التراث ٣٥٨ـ٩ ٣٥ .

(٥) البصائر ٢/٥٢٠ . (٦) ينظر : إبدال ابي الطيب ١/٢٦٥ و٢٦٦ .

(٧) اللهجات العربية في التراث ٤٦٧ . وينظر: التطور النحوي ٢٣ .

(٨) البصائر ٢/٤١٥ . (٩) ينظر : اللهجات العربية في التراث ٤٦٧ ـ ٤٧١ .

(١٠) العين ١/٥٧ . (١١) اللهجات العربية في التراث ٤٧٥ . (١٢) البصائر ٢/٤١٥ .

وذكر الفيروز آبادي مظاهر أخرى تبدل فيها الياء من طائفة من الحروف الصحاح. ويمكن تقسيم هذه المظاهر على ثلاثة أقسام وذلك بحسب السوغ لهذا التحوّل الصوتي وهي على النحو الآتي :

١ـ يُبدل الحرف الى الياء وهو في الحقيقة تعويض للحرف بصوت الياء باشباع كسرة الحرف السابق . لعدم وجود العلاقة الصوتية المسوغة للتبادل بين ذلك الحرف والياء ومظاهر هذا الابدال هي :

أ ـ إبدال الباء ياءً : ((كالثعالي في ثعالب)).[١]

ب ـ إبدال الثاء ياءً : ((كالثالي في الثالث)).[٢]

جـ ـ إبدال السين ياءً : ((كالسادي والخامي في السادس والخامس)).[٣]

د ـ إبدال العين ياءً : ((كالضفادي في ضفادع))[٤]

هـ ـ إبدال الكاف ياءً : ((كالمكاكيّ في جمع مكوك)).[٥]

٢ـ الاستجابة لظاهرة المخالفة الصوتية فيبدل أحد الحرفين المتماثلين أو المضعفين ياءً سواء كان ذلك في أول المتشابهين أو في الثاني أو في الثالث تخلصاً من اجتماع المثلين . ومظاهر هذا الابدال هي :

أ ـ إبدال الراء ياءً : ((كالقيراط في قرّاط)).[٦]

ب ـ إبدال الصاد ياءً : ((نحو : تَقَصَّيتُ في قصَصْتُ)).[٧]

جـ ـ إبدال الضاد ياءً : ((نحو : تَقَضِّي البازي أي تَقَضُّض)).[٨]

د ـ إبدال اللام ياءً : ((نحو : أطيتُ في أَمْلَلْتُ)).[٩]

هـ ـ إبدال الميم ياءً : ((نحو : ديماس في دِمَاس))[١٠]

و ـ إبدال النون ياءً : ((نحو : دينار والأصل دِنّارٌ)).[١١]

---

(١) البصائر ٥/٣٧٣ .
(٢) البصائر ٥/٣٧٣ .
(٣) البصائر ٥/٣٧٣ .
(٤) البصائر ٥/٣٧٣ .
(٥) البصائر ٥/٣٧٣ .
(٦) البصائر ٥/٣٧٣ .
(٧) البصائر ٥/٣٧٣ .
(٨) البصائر ٥/٣٧٣ .
(٩) البصائر ٥/ ٣٧٣ .
(١٠) البصائر ٥/٣٧٣ .
(١١) البصائر ٥/٣٧٣ .

٣ـ أورد الفيروز آبادي مثالين للإبدال جعل الأول فيهما إبدال الياء الفاً : ((كحِمـــلاق في حِمْليْق))(*) (١)

وهو في الحقيقة يكمن في حدوث مخالفة صوتية بين الكسرة بعد الحاء ، والياء (حِمْليْق) وهما من جنس واحد أو الكسرة من الياء كما يقول الخليل ، والكسرة بعض الياء كما يرى ابن جنّي . فيخالف بين الصوتين بقلب الياء الفا .

أما الثاني فهو إبدال الواو ياءً في : ((نحو : مِيزان ، والاصل مِوْزان))(٢) ويُسوِّغ حدوث هذا الابدال كون التنافر الصوتي قائماً بين الكسرة في الميم والواو بعدهـــا فيتخلص من الواو بقلبها ياءً (مجانسة للكسرة).

ويستعمل الفيروز آبادي احياناً مصطلح (القلب) مرادفاً للابدال من أمثلة ذلك قولـه : ((الكبت : الصرف ، والاذلال . كبت الله العدو : صرفه وأذله ... قال الفـراء : ﴿ كُبِتُـوا ﴾ (المجادلة ٥) أي : غيظـوا واحزنوا يوم الخندق . وانما قال ذلك لأن أصل الكبت : الكبد ، فقلبت الدال تاءً ، أخذ ذلك من (الكبد) وهو موضع الغيظ والحقد . وكأن الغيظ لما بلغ منهم مبلغ المشقة أصاب اكبادهم فأحرقها))(٣) وغيرها من الأمثلة .(٤)

وتقلب الألف في الوقف ياء (٥) قال الفيروز آبادي : ((ياء الوقف ، في نحو : حبلـى وكسْرَى اذا وقفوا عليها جعلوا الألف المقصورة ياءً))(٦)

وهو سلوك لهجي وقد ذكر ذلك الرّضي (ت ٦٨٨هـ) فقال : ((إعلم أن فزارة وناساً مـــن قيس يقلبون كلّ الف في الآخر ياءً سواء كانت للتأنيث ك (حُبْلى) أولا ك (مُتَنَـى)...))(٧)

(*) ((الحِمْلاق : ماغطّت الجفون من بياض المُقلة . وحملق الرجل إذا فتح عينيه)) العين ٣/٣٢٢ .

(١) البصائر ٥/٣٧٣ .

(٢) البصائر ٥/٣٧٣ .

(٣) البصائر ٤/٣٢١ .

(٤) ينظر : البصائر ٣/٤٢٨ ، ٤/٥٤١ ، ٥/٣٦٣ و٣٧١ .

(٥) ينظر : شرح الشافية ٣/٢١٠ .

(٦) البصائر ٥/٣٧١ .

(٧) شرح الشافية ٢/٢٨٦ .

ظاهرة الإدغـــام :

تُعدّ ظاهرة الادغام من الظواهر الصوتية البارزة في العربية ولعلّها اشهر تلـــك الظواهر وقد تناولها العلماء بالدراسة ورصدوا مواضعها ، ونجد اشارات واضحة الى هذه الظاهرة في كتاب العين للخليل بن أحمد كما أن لهذا الرجل جهداً غير قليل ظهر فـــي كتاب سيبويه بصورة واضحة • وقد كانت عناية سيبويه بالادغام كبيرة إذ شغل مساحـــة لا بأس بها من الكتاب كوّنت الجزء الأخير منه ، ولما لهذه الظاهرة من أهمية فإنه ضَـــمَّ أهم المباحث الصوتية المعروفة عند القدماء والمحدثين أعني بها مبحثي (مخارج الأصـوات ، وصفاتها) • وصوّر هذان المبحثان تناسقاً منهجيا في فهـم تحولات البنية اللغوية وتفاعل أصواتها مع بعضها أو مع الأصوات المجاورة من الكلمات الأخرى •

ووسّع ابن جنّي هذه الظاهرة من خلال وضع طائفة من الاصطلاحات التي تقسم الادغام الى : إدغام كبير وصغير ، وإدغام المتقاربين والمتجانسين والمتماثلين • والادغام في الكلمة وفي كلمتين ، وغيرها • وهو الجهد الذي نال عناية علماء التجويد والقراءات القرآنيـــة • فوسعوا فيه ورصدوا مظاهره جميعاً في كلام الله وفيما ورد من القراءات القرآنية • ويساق الفيروزآبادي في هذا الاهتمام بهذه الظاهرة ونجد له مايُعضّد هذا وإن لم تكـــن أمثلته كالكثرة التي كانت لظاهرة الابدال •

إن الموضع الذي برز في كتاب البصائر هو ذلك الموضع الذي يرد في بدايات الأبـــواب التي خصصت للكلام على الحرف الذي وضع له الباب ؛ إذ يذكر الفيروزآبادي أنواع هـــذا الحرف وأحواله ويذكر منها حالة الادغام على نحو ماجاء في بداية (بصيرة في الجيـــم) اذ قال : ((الجيم المدغمة في مثل حجّ وحجّة ، ﴿ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً ﴾ (الواقعـة ٤))) [١] ومثلها في بصيرة في الحاء [٢] والخـــاء [٣] والـــدال [٤] ، والـــذال [٥] •

وقال في (بصيرة في الذال) متحدثاً على انواعها : ((الذال المدغمة مثل حـذّ ، وقذّ)) [٦] وذكر الزاي المدغمـة [٧] ، والشين المدغمـة [٨] ، والصاد المدغمـة [٩] ، والضاد المدغمـة [١٠] •

---

(١) البصائر ٣٥١/٢ •
(٢) ينظر: البصائر ٤١٥/٢ •
(٣) ينظر : البصائر ٥١ ٩/٢ •
(٤) ينظر : البصائر ٥٨٤/٢ •
(٥) ينظر : البصائر ٤/٣ •
(٦) البصائر ٤/٣ •
(٧) البصائر ١٢٠/٣ •
(٨) البصائر ٢٩١/٣ •
(٩) البصائر ٣٦٧/٣ •
(١٠) البصائر ٤٥٨/٣ •

والطاء المدغمة التي قال فيها : ((الطاء المدغمة مثل خطّ وقطّ)) . [١] وقال في الظاء المدّغمة : ((الظاء المدغمة ، في مثل : كظّ الطعام بطنه : اذا ملأهُ حتى لا يطيق النفس . والكِظة : شيء يعتري من الامتلاء)) . [٢]

ومن الموضوعات التي وردت في كتاب البصائر لهذه الظاهرة .

إدغام الواو في التاء :

قال في (بصيرة في وقى) : ((وأصل التقوى : وَقْوى ، أُبدلت الواو تاء كما أبدلت في تُراث وتُخَمة وتُجاه . وكذلك اتّقى يَتّقي أصله اوْتَقَى يَوْتَقِي ، فقلبت الواو ياءً لانكسار ماقبلها ، وأبدلت منها التاء وأُدغمت ، فلما كثر استعماله على لفظ (الافتعال) توهموا أن التاء من نفس الكلمة فجعلوه . اتقى يَتَقي بفتح التاء فيهما ، ثم لم يجدوا له مثالاً فقالوا : تَقَى يَتْقِي مثل قَضَى يقضِي ، ويقول في الأمر : تَقِ ، والمرأة تقِي ومن ذلك قوله :

زيادتنا نعمان لاتقطعَنّها تَقِ اللّه فينا والكتاب الذي يتلو

بني الأمر على المخفّف ومن عصى اللّه لم تَقِهِ منه واقية)) . [٣]

فبعد أن يوضح الفيروز آبادي السبب الصوتي الذي برزت به كلمة (تقوى) على هذه الصورة علل مجيء (اتّقَى يَتّقِي) بالعود الى مبدأ التناسب الصوتي فهو المسؤول عن قلب الواو ياءً من (اوْتقى) وقلب الياء تاء بوجود تاء الأصل فجرى عندئذٍ إدغام هذه التاء مع التاء الحادثة . ثم جرى التعامل مع هذه التاء على انها أصل من نفس الكلمة فبدوا المضارع عليها بقولهم : اتّقي يَتّقِي وكان الاعلال الطريق الذي أدى الى ابدال الواو تاء من خلال ابدالها ياءً للمناسبة مع الكسرة السابقة . وكما نرى فإن الفيروز آبادي يتبع طريقة النحويين والصرفيين في تقديمهالتعليل الذي يتناسب وعملية الابدال بين الأصوات ، ولكننا نرى أنه كان يمكنه أن يقول بابدال الواو تاءً ثم ادغامها في التاء الأصل من غير توسط انقلاب الواو الى ياء ويعضّد هذا وجود أمثلة صرفية عدة للابدال بين التاء والواو كما في تُراث وتُجاه وتَتْرى . [٤]

---

(١) البصائر ٣/٤٩٢ .
(٢) البصائر ٣/٥٣٤ .
(٣) البصائر ٥/٢٥٦ ـ ٢٥٧ .
(٤) ينظر : البصائر ٢/٢٨٤ و٢٩٥ .

إدغام التاء في الدال :

ومثاله عند الفيروزآبادي قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر ١) ((أي: المُتَدثر وهو المتلفّف في الدِّثار ، وهو ماكان من الثياب فوق الشِّعار . يقال : (ادّثّر الرجل يدَّثّر ادِّثّارًا) أي: (تدثر يتدثّر تَدَثُّراً) ، فأُدغمت التاء في الدّال وشدّدت أي : تلفّف في الدِّثار)) .(١)

وفي قوله تعالى : ﴿مُرْدِفِينَ﴾ (الانفال ٩) نقلَ عن الخليل قوله : ((... قال الخليل : سمعت رجلاً بمكة ، يزعمون أنه من القراء ، وهو يقرا : ((مُرُدِّفين))(٢) بضم الميم والراء وكسر الدّال المشدّدة ، وعنه في هذا الوجه كسر الراء . فالاولى أصلها (مرتدفين) لكن بعد الادغام حركت الراء بحركة الميم . وفي الثانية حركت الراء الساكنة بالكسر . وعنه في هذا الوجه وعن غيره فتح الراء ، كأن حركة التاء أُلقيت عليها . وعن الجحدري : بسكون الراء وتشديد الدّال جمعاً بين الساكنين)) .(٣)

والملاحظ هنا أنَّ الفيروزآبادي يهمل التعليل لهذا الادغام . بل إنه اتجه الى تعليل تحرّك الراء في (مُرُدِّفين) بالضم دون التوجّه الى تعليل الادغام . لكنّه يفيدنا فيما روي عن الجحدري (ت ١٢٨ هـ) من قبول التقاء الساكنين أو حدوثه في العربية عندما يكون الثاني منهما مدغماً . تلك مسألة تشير الى قبول العربية للمقطع الذي يبدأ بصحيحين متواليين على شريطة أنْ يكون الثاني منهما مدغماً وهذه الحالة أشبه ماتكون بما رآه علماء الأصوات المحدثون وعلماء الصّرف القدماء من النطق بساكنين في نحو : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة ٧) .

ومما ادغمت فيه التاء في الدّال ماورد في قوله تعالى : ﴿بل ادّارك علمهم﴾ (النمل ٦٦) ((أي : تدارك ، فأُدغمت الدّال في التاء(*) وتُوصّل الى السكون بألف الوصل ...))(٤) ومثله قوله تعالى : ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ (سورة البقرة ٧٢) فقد قال : ((هو تفاعلتم ، فأدغم التاء في الدّال واجتلب الف الوصل كما تقدّم في ادّارك))(٥). وقد يُمنع الادغام حتى لا يحركون ما أصله ألّا يحرّك فيلجؤون الى الابدال ، ومنه إبدالهم التاءَ طاءً ، وقد

---

(١) البصائر ٢/٥٨٨ . (٢) قرأ نافع وحده : (مُرْدَفِينَ) بفتح الدّال . وقرأ الباقون : (مُرْدِفِين) بكسر الدّال السبعة في القراءات ٣٠٤ ، وينظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٣٦ .

(٣) البصائر ٣ / ٦٤ .

(*) يبدو أن هذا خطأ حدث في النسخ أو الطباعة أو التبس على صاحب الكتاب . اذ الصحيح هو إدغام التاء في الدّال لا العكس . وقد ورد في النص الذي يتلوه مايُعضّد ذلك فينظر في اعلاه .

(٤) البصائر ٢/٩٥ ٥ . (٥) البصائر ٢/٨ .

يتخذون طريقاً آخر غير الابدال وهو أنْ يدغموا التاء من (استطاع) في الظاء فيجمعون بين الساكنين كما حدث في (مُرَّدَّفين) إذ قرأ حمزة (ت ١٥٦ هـ) وهو من السبعة : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ (الكهف ٩٧) : ((فجمع بين الساكنين)) .(١)(٢)

وقال في المُطَّوِّعة : ((والمطَّوِّعة الذين يتطوعون بالجهاد ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ (التوبة ٧٩) ، أي : المتطوِّعين فأدغم)) .(٣)

إدغام التاء في الظاء :

وتدغم التاء في الظاء كما في ((يَظَّاهرون)) على بعض القراءات يقول : ((والظِّهار أن يقول الرجل لامرأته : أنتِ علي كظهر أمي ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ (٤) (المجادلة ٢) وقرئ (يَظَّاهرون) أي : يَتَظاهرون ، فأدغم هو (يَظَّهَّرون)[٥])).

من الواضح أن العامل الصرفي الكامن في كون الصيغ تدل على (الافتعال) هو الذي سمح بمثل هذا التطور الصوتي الذي تمَّ بإدغام التاء في الظاء ، أو قبول تتابع الساكنين المذكور آنفاً .

ونجد الأمثلة على هذا السياق واضحة وتخصص لها فقرات خاصة تربط بين صيغة (الافتعال) ، ومايحدث فيها من تطور . ويتجاوز مستوى هذا التطور اللغة العربية الى اللغات من أخواتها الجزرية (السامية) .(٦)

وقوله (يظَّهَّرون) يعني أنهم بعد أنْ أدغموا التاء في الظاء حذفوا الألف ويتجاوز التطور الصوتي في هذه الصيغة حذف التاء أو إدغامها الى أن يجمعوا معها تطوراً صوتياً آخر إذ يرى انهم قرؤوا بتشديد الهاء مع تشديد الظاء ويعني ذلك أنهم أدغموا الألف في الهاء وهو يتم في العادة بابدال الألف هاءً ثم إدغامها .

ويعدّ إبدال الألف هاءً من جملة مواضع الابدال عند الفيروزآبادي لكنَّ ماوردَ من الأمثلة

---

(١) قرأ السبعة كلهم : (فَمَا اسْطَاعُوا) بتخفيف الطاء ، غير حمزة ، فانه قرأ : (فَمَا اسْتَطَاعُوا) مشدَّدة الطاء ، يريد (فما استَتَطاعوا) ، ثم يدغم التاء في الطاء . وهذا غير جائز لأنه قد جمع بين السين ، وهي ساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة . السبعة في القراءات ٤٠١ . وينظر إتحاف فضلاء البشر ٢٩٥ . (٢) البصائر ٣/ ٥٢٠ . (٣) البصائر ٣/ ٥٢١ .

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو : (يظَّهَّرُون) بغير الف مشددة . وقرأ عاصم وحده : (يُظَاهِرُون) بالف وياء مضمومة . وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي : (يظَّاهَرُون) بفتح الياء والف مشددة الظاء . السبعة في القراءات ٦٢٨ ، الكشف عن وجوه القراءات ٣١٣/٢ ، إتحاف فضلاء البشر ٤١١ .

(٥) البصائر ٥٤٩/٣ . (٦) ينظر : التطور اللغوي ٢٦ .

يرتبط بآخر الكلمة لكونها آخر الكلام . وهو شيء قد يعلل من جهة غير مخرجية ؛ إذ تخضع ظاهرة الوقف لعوامل عدة من جملتها العادات النطقية والقدرة الاسماعية لبعض الأصوات والتشكيلات المقطعية للسلسلة الكلامية ، ولعل الأرجح أنّ يعلل ذلك باسقاط حرف الألف ثم التعويض المقطعي عنه بصوت الهاء الساكن مجانسة للهاء الأولى .

إدغام المتماثلين :

وقف الفيروز آبادي على هذا النوع من الادغام في المواضع التي تبرز فيها خصوصية لهذا الادغام بكونه لفظة ماوردت بالادغام في موضع من القرآن الكريم ووردت في مواضع اخرى بفك الادغام أو العكس ، وقد ربط في بعض تلك المواضع بين حدوث الادغام وعدم حدوثه ودلالة التعبير القرآني ، فقد وقف على قوله تعالى من سورة النساء : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾ (١) بالأظهار أي اظهار القافين محركتين في حين ورد في الأنفال والحشر بالادغام . قال تعالى من سورة الأنفال ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ (٢) ﴾ وقوله في الحشر : ﴿ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ ﴾ . (٣)

وعلل الفيروز آبادي هذا بقوله : ((لأن الثاني من المثلين إذا تحرك بحركة لازمة وجب إدغام الأول في الثاني ، ألا ترى أنك تقول اردُدْ بالاظهار ، ولا يجوز اردُدَا واردُدُوا — وازدُدِي ، لأنها تحركت بحركة لازمة والألف واللام في (اللّه) لازمتان ، فصارت حركة القاف لازمة ، وليس الألف واللام في (الرسول) كذلك . وأما في الأنفال فلانضمام (الرسول) اليه في العطف لم يدغم ، لأن التقدير في القاف أن قد اتّصل بهما ، فإنّ الواو يوجب ذلك)) . (٤)

ويتبيّن من كلامه في آخر النص محاولة أن يفهم الاظهار في : (وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ) من خلال السياق اللغوي ، إذ يرى ان العطف الحاصل بين الاسم الذي بعد الفعل (اعني : لفظ الجلالة) مع الاسم الثاني وهو (الرسول) يوجب كون الكلام في الأصل (وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ ، وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ) فامتنع الادغام بسبب هذا وأن القاف في التقدير بمنزلتها في الآية من سورة البقرة (ومن يشاقق الرسول) .

---

(١) الآية رقم ١١٥ .
(٢) الآية رقم ١٣ .
(٣) الآية رقم ٤ .
(٤) البصائر ١/١٧٥ .

ظاهرة الإعلال :

قال رضي الدين الاستربادي (ت ٦٨٨هـ) : ((إعلم أنّ لفظ الاعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حرف العلة : أي الألف والواو والياء ، بالقلب أو الحذف أو الاسكان . ولا يقال لتغير الهمزة بأحد الثلاثة إعلالٌ)) .(١)

على أنّ المعنى اللغوي يشير الى دلالة التغير مطلقاً . وترتبط هذه الظاهرة بالنظام المقطعي الخاص بالعربية ((ان المقطع ماهو الا هرم صوتي . وقمة هذا الهرم الصوتي تكون حركة دائماً وابداً في العربية ، في حين تشكل الصوامت القاعدة والقاعدة مرتبطة بالقمة ومشدودة إليها ، لأن قمة المقطع هي مركز الثقل فيه ، فهو العنصر الأقوى والعنصر الأكثر تاثيراً في السمع)) .(٢) و ((تتفاعل فيه المقطعية مع ظاهرة المماثلة في التخلص من التتابع الصوتي غير المرغوب ويعني هذا التتابع في كتب المحدثين وجود صوت المدّ المركب))(٣) وصوت المدّ المركب هو : أحد صوتي (وْ ، يْ) تسبقه حركة وتتبعها حركة . وقد أستأثر الاعلال بالقلب على ماقدّمه الفيروز آبادي في كتابه البصائر من هذه الظاهرة ويعني الاعلال بالقلب أنْ يتم التخلص من هذا التتابع بواسطة قلب (الواو أو الياء) بما يجانس الحركة السابقة تنقلب الفاً اذا كان ماقبلها فتحة وقلبها واواً اذا كان ضمة وياءً اذا كانت تلك الحركة كسرة . ففي (الصيّب) ، وهو (فَيْعِل) من (صاب-يصوب) ((وأصله (صَيْوِب) فابدل وأدغم))(٤) ويعني ذلك أنّ الواو أبدلت ياءً مجانسة للياء السابقة الساكنة فأُدغمت معها . وجاء في البصائر : ((قال ابن دريد : أصله (صَوْيِب) ، على (فَعْيِل)))(٥) وفيه تأثير رجعي للياء والكسرة على الواو السابقة . ومثل ذلك ماورد في : (السيئة) إذ قال الفيروز آبادي : ((والسيّئة : الفعلة القبيحة ، وهي ضد الحسنة ، وأصلها (سَيْوِئَة) فقلبت الواو ياءً ثم أُدغمت فقيل : سيّئة)) .(٦)

ويقول الفيروز آبادي في الطاغوت : ((وقيل أصله (طَغَوْوْتٌ) لكن قُلب لام الفعل ، نحو (صاعقة) و (صاقعة) ، ثم قُلب الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها)) .(٧)

---

(١) شرح الشافية ٣/٦٦-٦٧ . (٢) من مظاهر المعيارية في الصرف العربي ٨٢-٨٣ (بحث منشور) .
(٣) الدرس الصوتي عند رضيّ الدين الاستربادي ١٢٣ .
(٤) (٥) البصائر ٣/٤٤٩ .
(٦) البصائر ٣/٢٨٨ . (٧) البصائر ٣/٩ ٥٠ .

وقال في بصيرة (ورث) : ((ورِثْتُ أبي ، وورِثتُ المال من أبي ، أَرِثُه بالكسر فيهما ، وِرثاً ووِرَاثة ، وأَرْثاً ، الألف منقلبة عن الواو و (رِثَه) كـ (عِدَه) الهاء عوض عن الواو ، وإنما سقطت الواو من المستقبل لوقوعها بين ياء وكسرة وهما متجانسان ، والواو مضادتهما فحذفت لاكتنافهما إياها ، ثم جعل حكمهما مع الألف والياء والنون كذلك لأنهن مبدلات منها . والياء هي الأصل)) .(١)

وسوغ الفيروز آبادي سقوط الواو في (يَرِث) التي أصلها (يَوْرِث) بأن هذه الواو وقعت بين متجانسين هما (الياء والكسرة) فيتخلص منها بسبب مضادتها لهما . فيكون عامل الميل الى السهولة في النطق سبباً في التخلص منها بالحذف . ثم جرى هذا الحكم في الصيغ التي لا تظهر فيها الياء نحو : نِرث وأَرِث وتَرِث اطرادا لصياغة الفعل المضارع .

ويبيّن الفيروز آبادي رجاحة ذلك بوساطة ذكر مثالين لعدم سقوط الواو أو الياء لانعدام التنافر ، كما حصل في (يَوْجَل) و (يُوْرَث) . وقد عُرِف هذا النوع من الاعلال المتقدم بـ (الاعلال بالحذف) .

ويكون الحذف بسبب آخر غير صوتي ، فكثرة الاستعمال أدت الى سقوط الواو من (أب) ((وأصله (أبَوٌ) ، فلما كثر استعماله حذفوا الواو على قياس يدٍ ودمٍ .)) .(٢)

وهناك نوعان من الإعلال وقف عليهما الفيروز آبادي في بصائره هما :

١ـ إعلال سياقي : مثاله قوله : ((الواو المبدلة من الهمزة إذا كان ماقبلها مضموماً نحو : رأيتُ وَباك)) .(٣)

٢ـ إعلال اشتقاقي (صرفي) مثاله قوله في إبدال الواو : ((من الألف نحو : ضوارب))(٤)

يقوم هذا التقسيم على ملاحظة أنّ سبب الاعلال إمّا أنْ يكون موجوداً في أثناء النطق أولا يكون . ففي الاعلال السياقي الذي نعني به الاعلال في السياق الصوتي في أثناء النطق . حيث جرى التخلص من همزة (أباك) وابدالها (واواً) مُجانساً للضمة التي في تاء الفاعل . وفي الحق أنّه جرى اشباع الضمة فصارت واواً إذ يرى الدرس الصوتي الحديث أنّه لا وجود لضمة بعدها واو كما يذهب العلماء القدامى .

وكأنه جَرَتْ معاملة همزة القطع هنا على أنها همزة وصل تسقط عند الدرج .

---

(١) البصائر ٥/١٩٤ . (٢) البصائر ٢/١١٣ . (٣) البصائر ٥/١٤٦ .
(٤) البصائر ٥/١٤٦ .

ظاهرة الهمـــز :

الملاحظ أنَّ صوت الهمزة يسلك في العربية سلوك صوت معلول إذ إنّ السمة الواضحة للكلمات التي تشتمل على الهمز أنها تتغير فمرة تفقده وأخرى تبقيه . ويظهر من بعض الأمثلة أنَّ الواو المضمومة تتحول الى صوت الهمزة .

وفي ضوء علم اللغة الحديث (١) يمكننا أن نفهم من ذلك أنه جرى التخلص من توالـــي الأمثال باستبدال احدهما بصوت الهمزة الذي يبدو منحازاً عن الأصوات . لكونه أقرب الى أن يمثل نبراً توترياً تم التعامل معه بوصفه صوتاً صحيحاً على المستوى الصوتي وبوصفه حرفـــاً معلوماً على المستوى الصرفي والاشتقاقي .

كما يلاحظ ايضاً أنَّ الهمزة بتبادلها مع الأصوات التي هي من جنس حركتها تحيلنا علـــى مايأتـــي :

١ـ الهمزة تمتلك الوظيفة المقطعية نفسها التي تؤديها حروف المد إذ لا وجود للخلل في السلسلة المنطوقة عند الابدال .

٢ـ إن الهمزة وماتبدل اليه (أي : الألف أو الياء أو الواو) تمتلك الوظيفة الفونيميـــة نفسها إذ إنَّ همز الكلمة لا يخرجها عن دلالتها الاولى الى دلالة ثانية . والعكـــس هو الصحيح عند التسهيل أو الإمالة او الإبدال .

وجلبت هذه الظاهرة اهتمام الفيروزآبادي فوقف في بصائره عند طائفة من الألفاظ التي تهمز عند قوم وتخفف عند آخرين سواء أكانت هذه الألفاظ في كلامهم ،أم كانت مما قرأ به القراء .

ومعلوم لدى الباحثين قديماً وحديثاً أن الهمز ظاهرة تنسب الى تميم على حين يقابلها التخفيف عند الحجازيين . ولكن الملاحظ أن الفيروزآبادي نقل عن أهل مكة خاصة وهـــم حجازيون همزهم بعض الألفاظ التي لا يهمزها غيرهم . فقد جاء في بصيرة (نبأ) : ((... غير أنهم تركوا الهمزة في النبيّ ، والبريّة ، والذّريّة ، والخابية الا أهل مكة حرسها الله ، فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك)) .(٢)

وهمز أبو طالب (منسأة) التي لم يهمزها غيره : ((والمِنْسَأة : العصا يُهمز ولا يهمز ، قال أبو طالب بن عبد المطلب يخاطب خِداش بن عبد اللّـه بن أبي قيس في قطـــــه

---

(١) ينظر : الدرس الصوتي عند رضي الدين الاستراباذي ٦٠ و ١٧١ .
(٢) البصائر ٥ / ١٤ .

عمـــرو بن علقمـــــة :

أَمِـنْ أُجْـــلِ حَبْلٍ لا أباكَ ضَرَبْتَـــه بِمِنْسَـــأَةٍ قَدْ جَرَّ حبْلُك أَحْبُـــلاَ

وقال آخر في ترك الهمز :

إذا دَبَبْتَ على المِنْسـاةِ مِنْ هَـــرَمٍ فقد تباعَدَ عنك اللَّهْـوُ والغـزلُ))(١)

ومن المعروف في الدراسات الحديثة أنّ الصوت الذي يسلك مع طائفة من الأصوات التي يتبادل معها من غير أن يكون لهذا الابدال أثر في تباين المعاني . وقد سمّي هذا عند المحدثين بالآركيفونيم أو الفونيم الرئيس . وعلى مايبدو فان صوت الهمزة يمثّل هذا الفونيم الرئيس مع أصوات : الياء والألف والواو . إذ إن المسلك اللهجي مابين الهمز والتخفيف أدّى الى ضياع النطق الدلالي مابين هذه الأصوات فقد قال في أدوُر : ((وأدنى العدد (أدوُر) . والهمزة مبدلة من واو مضمومة ، ولك أن تقول : أدُوُر بالواو . وجمع الكثير (دِيار) و (دُور) كجبال وأُسُد .)) .(٢)

ونُقِل عن أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) قوله : ((الشَّنان بغير همز مثل الشَّنآن ، وأنشد للأحوص :

هَل العيشُ إلاّ ماتَلذُّ وتَشْتَهِـــي وأن لامَ فيه ذو الشَّنان وفَنَّـــدا)) .(٣)

((وقد أجمعت العرب على همز (الصائب) واصلها الواو بكأنهم شبهوا الأصل بالزائد . ويجمع ايضاً على (صاوِب) على الأصل وقال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى ٣٠))) .(٤)

وجاء في بصيرة (كيس) : ((والكأس بالهمز وتركه : الأناء الذي يشرب فيه. قال الله تعالى : ﴿بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ (الواقعة ١٨))) .(٥)
ومثله في (الرؤيا) فيقال بالواو .(٦)

وعلى أية حال فإن هذا المسلك لصوت الهمز مع حروف العلة لم يكن مطرداً دائماً بل نجد عند الفيروز آبادي بعض الاشارات الى أن الهمز وتركه يؤدي الى اختلاف في دلالة اللفظة ففي (نبأ) يذكر الفيروز آبادي انكار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على بعض الأعراب أن يقول له : يانبؤ الله إذ ادرك أنه على (نبأ) التي هي الخروج من أرض الى أخرى . وفي هذا السياق قال الفيروز آبادي : ((ونبأت على القوم نبأً ونُبُوءًا : إذا

---

(١) البصائر ٥/٤٤ .
(٢) البصائر ٢/٦١٣ .
(٣) البصائر ٣/٣٤٨ .
(٤) البصائر ٣/٤٤٩ .
(٥) البصائر ٤/٤٠١ .
(٦) ينظر : البصائر ٣/١٨٧ .

طلعت عليهم . ونبأتَ من أرض الى أرض : إذا خرجتَ منها الى أخرى وهذا المعنى اراد الأعرابي بقوله : يانبيءَ الله ، أي يامن خرج من مكة الى المدينة ، فأنكر عليه الهمز (١) وقال : ((انا معشر قريش لا نهمز)) ، ويروى : ((لا تهمز باسمي فانما انا نبي الله ولست بنبيء الله)) اذ أراد المعنى الآخر المأخوذ من (نبأ) إذ : ((النَبَأ محركة : الخبر. ونبّأ وأنبأ : اخبر ، ومنه اشتق (النبيّ) قال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الحجر ٤٩) وعلى هذا هو (فعيل) بمعنى (فاعل) وقال تعالى : ﴿ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (التحريم ٣) وعلى هذا فهو (فعيل) بمعنى (مفعول) . غير أنّهم تركوا الهمزة في النبيّ ...)) . (٢)

ولولا هذا التباين بين الهمز وعدم الهمز ماساغ هذا الانكار في حالة تكلم الرجل بلهجته التي اطلعها عليه بيئته وجبلت عليها فطرته . وانعكس التباين اللهجي في استعمال الهمز وعدم استعماله على لغة القرآن الكريم ، واشار اللغويون الى هذه الظاهرة في ماورد من القراءات القرآنية . وعلى مايبدو فإنها خرجت من دائرة الانتساب الى قبيلة بعينها ، بمعنى أننا نجد من القراء من مال الى الهمز وهو ليس من الحجازيين ومنهم من مال الى التسهيل وليس هو من التميميين . وعلى مايظهر فإنه دخل في هذه المسألة أثر المعلم أو الملقّن للقراءة. وبذلك يكون هذا سبباً مباشراً في بروز هذه الظاهرة بوصفها ظاهرة صوتية تبرز نزوعاً الى النطق بهذا الصوت المميز (الهمزة) أو التخلص منه .

وعلى هذا اهتم الفيروزآبادي بايراد طائفة من القراءات التي تتعلق بهذا الموضوع بوصفها طرفاً من اطراف الثقافة في جانبها اللغوي المتصل بكونها من جملة التبصر بكتاب الله المجيد .

فمما أورده الفيروزآبادي في هذا المجال أنّ (عاصماً) قرأ : ﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (التوبة ٣٠) بالهمز على حين قرأ الباقون بغير همز ((والمضاهاة : المشاكلة ، تقول : ضاهَيْتُ وضاهأت ، يُهمز ولا يهمز)) . (٣)

ومنه ايضاً ماجاء في بصيرة (وَصَدَ) إذ قال : ((وأُوْصِد الباب ، وآصده : اطبقه وأغلقه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ (الهمزة ٨) أي : مطبقة ، وهمزها أبو عمرو وحمزة وخلف وحفص ، واختلف على يعقوب ، والباقون بغير همزة)) . (٤)

---

(١) البصائر ٥/ ١٥ . (٢) البصائر ٥/ ١٤ .
(٣) البصائر ٣/ ٤٨٧ . وينظر : السبعة في القراءات ٣١٤ ، إتحاف فضلاء البشر ٢٤١ .
(٤) البصائر ٥/ ٢٢٢ . وينظر : اتحاف فضلاء البشر ٤٤٣ و٥٥ .

وذكر في حكاية قول الكافرين ((قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُون ﴾ (سورة البقرة ١٤) أي : بمحمد واصحابه ، وقرأ أبو جعفر[١] : مستهزُ ن ومَسْتهزون ، وقل اَسْتُهزوا بترك الهمزة فيهن[٢])) . وكذلك خفف أبو جعفر[٣] في ﴿ سَأَلَ سَآئِل ﴾ (المعارج ١) .

ويقول في (هيأ) : ((وقرأ علي بن ابي طالب وابن عباس رضي الله عنهم ، وشفيق بن سلمه ، والسلمي ، ومجاهد ، وعكرمة وابن وثّاب ، وقتادة ، وطلحة بن مصرّف وابن أبي إسحاق : ﴿ وَقَالَتْ هِئتُ لَكَ ﴾ (يوسف ٢٣) بكسر الهاء . وبالهمز ، أي تهيأت لك))[٤] .

وجاء في بصيرة (روي) قوله : ((والرَّوْي والرِّيّ والرِّيُّ : ضد العطش (رَوِيَ من الماء واللبن يَرْوَى) ك (رضي ـ يرضَى) رِيّاً ورِيّـاً . وروى وترَوَّى وارتوى بمعنى ، والاسم : الرِّيُّ قال تعالى : ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِيـاً ﴾ (مريم ٧٤) فمن لم يهمز جعله من (رَوِي) ، كأنه (ريّان) من الحسن ومن همز فللذي يُرْمَق من حسنه)) .[٥]

---

(١) ينظر : إتحاف فضلاء البشر ١٢٩ .

(٢) البصائر ٣٢٦/٥ .

(٣) ينظر : البصائر ١٦٢/٣ . وينظر : إتحاف فضلاء البشر ٤٢٣ .

(٤) البصائر ٣٦٦/٥ . وينظر : مختصر في شواذ القراءات ٦٣ .

(٥) البصائر ١١٣/٣ .

المبحث الثالث

ظواهر صوتية أخرى

أشار الفيروزآبادي إلى ظواهر صوتية أخرى من ضمن بصائره . وهي ظواهر : الإشباع ، والإمالة والتفخيم .

الإشباع :

ويعني به المدّ الزائد في حركة من الحركات تتحول إلى حرف المدّ المجانس . وتكاد تقتصر نصوص الاشباع في البصائر على القراءات،نحو قوله في بصيرة (ملك) : ((وقرئ : (مَلِكِي)با شباع كسرة الكاف ، ورُوي عن نافع)).[١] وقد عُدَّ ذلك شاذاً وخصّه بعضهم بالشعر ((وقال المهدوي : لغة)).[٢]

وكون اختصاصه بالشعر فيه لمحة إلى أنَّ الحاجة الى التنغيم الموسيقي للشعر هو الباعث على مثل هذا النحو . ومن ثمَّ فان ظهوره في القراءات كان تمثلاً لنزعة تنغيمية اقتضتها قراءة الآية رآها القارئ . وقرأ كلٌّ من الحسن وأبي حيوة : ﴿ وَتَنحَتُونَ مِنَ ٱلجِبَالِ ﴾ (الشعراء ٩ ١٤) بفتح الحاء . ((وزاد الحسن (تَنحَاتُونَ) باشباع الفتحة)).[٣] فكأنه أراد مزيداً من بيان الفتح في الحاء احترازاً من الصيغة المعروفة (تنحِتون) .

ومن الاشباع ماذكر من بيان أنواع الواو ،إذ ذكر واو الاشباع ك (البرقُوع) .[٤] ويلاحظ أن هذه الظاهرة ترتبط بالانسجام الصوتي الموجود مابين الحركات وحروف المد . وكان سيبويه قد أشار إلى رأي الخليل في أن الفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو.[٥] وتبعه ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) فقال : إن الضمة بعض الواو والفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء .[٦]

---

(١) البصائر ٥٢١/٤ . وينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/١ ، البحر المحيط ٢٠/١ .
(٢) البصائر ٥٢٢/٤ .
(٣) البصائر ٢٣/٥ . وينظر : مختصر في شواذ القراءات ١٠٧ .
(٤) ينظر : البصائر ١٤٨/٥ و١٥١ .
(٥) ينظر : الكتاب ٣١٥/٢ .
(٦) ينظر : سرصناعة الاعراب ١٩/١ .

الإمالة والتفخيـــــم :

تمّ ربط الامالة بوضع في نطق الألف يكون بالاتجاه السفلي إذ ينطق بها قريبة من الياء ، على حين ربط التفخيم بالاتجاه الايجابي إذ ينطق بها قريبة من الواو ، ولعلّ دلالتي الامالة والتفخيم اللغويتين تشير الى هذا الموقف من هاتين الظاهرتين .

ومّما ورد في هذا المجال أنّ أبا عمرو (ت ١٥٤هـ) الذي هو في مقدمة اللغويين الذين أرسوا قواعد كلام العرب ووضحوا اصطلاحاته فضلاً على كونه أول القراء السبعة قرأ الآية : ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الإسراء ٧٢) بالامالة في (أعمى) الاولى ، وبعدم الامالة في الثانية بالاعتماد على دلالة كلٍ من اللفظتين . ذكر ذلك الفيروزآبادي إذ قال في بصيرة : (عَمِي) بعد الآية المباركة : ((فالاول اسم الفاعل والثاني قيل : هو مثله ، وقيل : هو (افعل من كذا) الذي للتفضيل ، لأن ذلك من فقدان البصيرة ، ومنهم من حمل الاول على : عمى البصيرة والثاني على عمى البصر ، والى هذا ذهب أبو عمرو ، فأمال الأول لما كان من عمى القلب وترك الإمالة في الثاني لمّا كان اسماً ، فالاسم أبعد من الامالة . وقوله : ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ (فصلت ٤٤) و﴿قَوْماً عَمِينَ﴾ (الأعراف ٦٤) ، ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه ١٢٤) ، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً﴾ (الإسراء ٩٧) محتمل لِعَمَى البصر والبصيرة جميعاً)) .(١) وعلى مايبدو أنه لم يُعَلّ بالآيات الأخرى لاحتمال المعنيين .

على أن هذا الأمر لايطّرد في هذه الظاهرة فهناك بعض القراء أمال (مالك) وروي ذلك عن يحيى بن يعمر (ت ١٢٩ هـ) : ((وقرى (مالِك) بالامالة والتفخيم ، ونقل عن الكسائي)) .(٢)

وفي الحق أن الامالة تعد ظاهرة لهجية إذ تنحو قبائل تميم الى الإمالة وفي مقابلها الحجاز .

وكذا الحال مع التفخيم فهو ظاهرة لهجية تتميز بها لغة أهل الحجاز ، وتم ربط بعض مظاهرها بالمعنى غير ماورد من التفخيم الخاص بلفظ الجلالة .(٣)

إنّ الملاحظ هنا : أنّ الفيروزآبادي لم يحاول أن ينسب ظاهرة ما الى قبيلة بعينها بل تناول هذه الظواهر بوصفها مّما يعتري المفردات والتراكيب العربية مرتبطةً بالنص القرآني .

---

(١) البصائر ٤/١٠٢ ـ ١٠٣ . ينظر في قراءة الآية المتقدمة السبعة في القراءات ٣٨٣ ، النشر في القراءات العشر ٢/٥٢ .

(٢) البصائر ٤/٥٢١ .

(٣) ينظر : البصائر ٢/١٨ .

الفصل الثالث
المباحث الصرفيّة في البصائر

توطئـــــة :

سبقت الاشارة الى أن الفيروزآبادي اعتمد في إيراد (البصائر) على ذكر المـــواد اللغوية ، ومن ثم يأخذ في ذكر ما اتصل بهـذه المواد من اشتقاقات واستعمالات قرآنيـة فهـو يجعل من هذه المواد نقطة الانطلاق نحو ذكر ثروته المتعلقة بالـجوانـــب اللغوية (الصوتية والصرفية والدلالية) والنحوية والدينية، مركزا في أمره هذا على مواضعها من القرآن الكريم . ويُظهر هذا المنهج في تدوين (البصائر) الحس المعجمي الـــذي غلب على الفيروزآبادي الذي اطبقت شهرة معجمه (القاموس المحيط) الافاق ، وقـــدم ايراد المواد اللغوية على أهل المعاجم فقد يعتمدون الفعل وقد يعتمدون الاسم وقـــد يعتمدون المصدر . ولعل أمرهم ههنا يقترن بما اشتهر في الاستعمال من هذه المـــادة او تلك . وهكذا فعل الفيروزآبادي فقد وضع قسماً من عنوانات (البصائر) معتمدا علـــى الاسم وقسما على الفعل وقسماً آخر على المصدر واقساماً أخرى على الحروف (حروف المعجم) وحروف المعاني . وبهذا يكون الأساس في ذكر الاشتقاقات لهذه المادة او تلك مـــا وضعه في العنوان ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في (بصيرة في الانسان) فقد قال :((وهـــو اسم على وزن (فِعلان) . وجمعه من حيث اللفظ (أناسين) ، ك (سِرْحان وسَرَاحين) غيـــر أن الجمع الأصلي غير مستعمل . وجمعه المعروف (ناسٌ وأناس وإنْس وأُنس) و(الإنـــس) جمع جلـس)) [١] .

ويذكر الاختلاف في أصله الاشتقاقي فيقول : قيل إنه من الإيناس، وقيل انه مـــن النَوْس بمعنى التحرُّك ، سُمي لتحركه في الامور العظام [٢] .

وقال في (بصيرة في الحجاب) :((هو اسم على زنة (فِعال) وجمعه حُجُب ك (كتاب) و (كُتُب) ...)) [٣] . وفي (الحساب) قوله :((وهو استعمال العدد يقال : حَسَبْـــتُ أَحْسُب ك (كَتَبْتُ ـ أَكْتُبُ) حِسَابا وحُسْبانا وحِسَابةً وحِسْبَة وحَسْبا ...)) [٤] .

ويذكر في (بصيرة في الدأب والدُّوِر والدول) أن ((الدَأب والدَأب الشأن والعادة ... ،

---

(١) البصائر ٢/٣١ .
(٢) ينظر : البصائر ٢/٣١ـ٣٢ .
(٣) البصائر ٢/٤٣٣ .
(٤) البصائر ٢/٤٦٠ .

قال الله تعالى : ﴿كَدَأْبِ الِ فِرْعَوْنَ﴾ (آل عمران ١١) .

دأب فعلي عمله كـ (منع) دأباً ودَأباً ودَ وُبأً جدّ وتعِبَ . وأدأبه الدائبان : الليل والنهار)) (١) .

وقال في الدولة : ((الدَّولَةُ والدُّولَةُ واحدة . وقيل : بالضم في المال، وبالفتح في الحرب والجاه . وقيل : الدُّولة بالضم اسم الشيء الذي يتداول بعينه . والدَّولة : المصدر قال تعالى : ﴿كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر٧) . وتداول القوم كذا أي تناولوه من حيث الدولة . وداوَل الله بينهم . قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران ١٤٠))) (٢) .

إن صيغ الاشتقاق التي يذكرها الفيروزآبادي قليلة وهي تكاد تقتصر على ما ورد في القرآن الكريم ، وما اشتهر منها في الكلام ، بل إن طائفة كبيرة من (البصائر) لا يذكر ما اشتق من مادة البصيرة بل يدخل بصورة مباشرة الى إيراد الوجوه التي أتت في القرآن فيما يخص هذه البصيرة في جانبها الدلالي المعجمي .

---

(١) البصائر ٢/٦١٣ .
(٢) البصائر ٢/٦١٤ .

المبحث الاول

الأبنية

الأوزان الصرفية:

يُعدّ هذا الجانب من المباحث الصرفية الخالصة إذ يقتصر على الكلمة بوصفها بناءً لا بوصفها وحدة معجمية أو دلالية كما هو الحال في عدة مباحث من هذا الفصل . ويعد الميزان الصرفي وسيلة للكشف عن الحروف الاصول والزوائد في الالفاظ، ومن ثم يوصل الى الكشف عن المادة الاصل .

ومن البداهة القول بأن مواضع الاشارة الى الميزان الصرفي تكاد تقتصر على مواضع الخلاف الصرفي في اصل اشتقاق هذه اللفظة او تلك . أو على المواضع التي يُحتاج فيها الى ذكر الميزان لما فيه من فائدة في دلالة الالفاظ. وسنأتي الى ذكر طائفة من النوعين . فمن مواضع الخلاف الصرفي التي ذكرها الفيروزآبادي الخلاف حول أصل (آيَة) وقد وصل الخلاف فيها الى خمسة آراء فهو يقول : ((واصلها (أَيَيَة) على وزان (فَعَلَة) عند سيبويه ، و(آيَة) على مثال (فاعِلَة) عند الكسائي ، و (أَيِيَة) على (فعِلَة) عند بعض، و(أَيْية) عند الفراء ، و(أَأْية) بهمزتين عند بعض)) [١] . فالبحث عن اصلها يعني في حقيقته البحث عن وزنها الحالي ومعرفة الأصل تؤدي الى الكشف عن وزنها الصحيح الذي يراعى فيه الحروف الاصول والزوائد .

واختلفوا في وزن (الطاغوت)، فقد ذكر أن وزنه (فَلَعُوت) من طغووت ((وقيل وزنه (فَعَلُوت) نحو: جَبَرُوتٌ ومَلَكُوت . وقيل : أصله (طَغَوُوت)، لكن قلب لام الفعل نحو صاعقة وصاقعة ثم قلب الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها)) [٢] .فوزنه الأول يبين أنه لا زيادة في حروفه ، على أنّ صياغته على (جبروت) تعني ان الواو والتاء زائدتان . أما الصياغة الأخيرة فتعدّ تطورا صوتيا عن صياغة سابقة بحدوث قلب مكاني بين لام الكلمة وعينها ثم اعلال اللام بقلب الواو الفا . وفصّل مكي بن ابي طالب (ت٤٣٧هـ) القول في الرأى الاول بقوله :((وهو مشتق من (طغى) لكنه مقلوب واصله (طغيوت) على وزن (فعلوت) مثل (جبروت) ثم قلبت الياء في موضع الغين فصار (طيغوتا) فانقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار(طاغوتا) فأصله (فَعَلُوت) مقلوب الى (فَلَعُوتٌ)))[٣] .

---

(١) البصائر ١/٨٦.
(٢) البصائر ٣/٥٠٩.
(٣) مشكل اعراب القرآن ١/١٣٧.

أما المواضع الأخرى غير الخلافية التي ذكر فيها الميزان الصرفي فمن نحو ذهابه الى ان التنزيل (تَفْعيل) من (النزول) [١] . والفُرقان ((اسم على زنة (فُعلان))) [٢] . وقال في الإنسان : ((هو اسم على وزن (فِعلان))) [٣] .

و(الانزال) : ((وهو إفعالٌ من النزول)) [٤] . ومثله الإحسان [٥] . وقال في (بصيرة في الإمرأة) : ((اعلم أن المَرْء والمرأة اسمان على فَعْل وفَعْلَة)) [٦] .

ومما جاء على وزن (تفعل): التذكر والتبتل . وقال في التذكر ((تَفَعُّل من الذكر)) [٧] ، وفي التبتل : ((والتبتل : الانقطاع . وهو (تَفَعُّل) من البتل وهو القطع)) [٨] .

وأما في الحجة : ((وهي اسم مضعَّف على زنة فُعْلَة)) [٩] . وجاء في الهيئة (كذا) : ((والهَيِّء على فيعل : الحسن الهيئة من كل شيء)) [١٠] .

وقد يقيس بناء بعض الكلمات على أخرى أشهر منها كما تقدم في (طاغوت) عند تمثيله بـ (جبروت وملكوت) . وقد يختلف التقدير في حالة اذا استوى هذا اللفظ في دلالته على المفرد والجمع من نحو ما جاء في (الفُلْك) وهو السفينة قال : ((ويستوي فيه الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان ، فإنّه اذا كان واحداً فكبناء (قُفْل) ، واذا كان جمعا كان كبناء (حُمْر))) [١١] .

بناء المطاوعة :

المطاوعة ((التأثر اى قبول أثر الفعل المتعدى سواء كان هذا التأثر مع تعدية في المتأثر نحو قوله علّمته الفقه فتعلّمه ـ فالتعليم تأثير والتعلّم تأثر ـ أم كان مع لزوم نحو كسرته فانكسر أي تأثر بالكسر ...)) [١٢] .

---

(١) ينظر: البصائر ١/ ٨١ .
(٢) البصائر ١/ ٨٣ .
(٣) البصائر ٢/ ٣١ .
(٤) البصائر ٢/ ٤٩ .
(٥) ينظر: البصائر ٢/ ٦٧ .
(٦) البصائر ٢/ ٦٠ .
(٧) البصائر ٢/ ٣١٩ .
(٨) البصائر ٢/ ٣٢٣ .
(٩) البصائر ٢/ ٤٣١ .
(١٠) البصائر ٥/ ٣٦٦ .
(١١) البصائر ٤/ ٢١٥ .
(١٢) أوزان الفعل ومعانيها ١٥٧ .

وعقد سيبويه بابا عنونه بقوله :((هذا باب ما طاوع الذى فعّله على (فَعَل) وهو يكون على (انْفَعَلَ وافْتَعَلَ) وذلك قولك : كَسرتُه فانكسرَ ... وغمستُه فاغْتَمَّ...))(١) .

ونظير ما ذكره في هذا العنوان (أفْعَلْتُهُ فَفَعَل) نحو أدْخَلْتُه فَدَخَلَ ،وفَعَّلْتُهُ فتفعَّلَ نحو كَسَّرتُه فتَكَسَّرَ، وفاعَلْتُهُ فتَفاعَلَ نحو ناوَلْتُه فتَناوَلَ (٢) . وقيل :((والمطاوعة حقيقة في الذى يصحّ منه الفعل نحو (صَرَفْتُهُ فانْصَرَفَ)، ومجاز في الذي لا يصح منه الفعل نحو : (قطعت الحبل فانقطع)))(٣) .

ويقول أبو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) في (انفعل) :((ولا يُبنى الا من ثلاثي يدل على علاج وتأثير، ولا يُبنى من نحو(عرفه)، ولا من نحو: (أحكمت الشيء) ، وكذا (افْتَعَلَ) الذي بمعنى (انْفَعَلَ) للمطاوعة ، وقد يطاوع (افْعَلَ) افحمته فانفحم))(٤) .

يلاحظ في الكشف عن هذا المعنى في الأفعال أن يقترن دائماً بذكر بناء سابق مما يصح أن نطلق عليه (ثنائية ـ بنائية) أي ذكر بناءين ثانيهما مطاوع للأول . والا فان معنى المطاوعة لا يفهم في كثير من الأحيان إلا على هذا الاساس ، ولعل النحويين كانوا قد لاحظوا ذلك فأودعوه أمثلتهم ابتداء بسيبويه فهو يذكر فعلين فعلين عند كلامه على المطاوعة بل ربما يتجاوز هذا الأمر الى اقتران الفعل الاول بضمير المفعول الذي يصبح فاعلا للفعل الثاني (المطاوع) ولانه يمثل بفعل الضمير المفرد المذكر الغائب ، يستتر ضمير الفاعل فيه . فيقول كسرته فانكسر ، ادخلته فدخل . فالهاء في (كسرته) ضمير المفعول للغائب المفرد المذكر والفاعل في (فانكسر) ضمير مستتر تقديره (هو) .

ومن خلال هذه الثنائية يمكن أنْ يفهم كيف أنّ بعض الأفعال قد يقوم مقام الفعل المطاوع من نحو قول سيبويه :((وربما استغنى عن (انفعل) في هذا الباب فلم يستعمل ، وذلك قولهم: طردته فذهب ، ولا يقولون فانطرد ولا فاطّرد))(٥) .وقد ذكر الفيروزآبادي ذلك بقوله :((والطَّرْدُ ـ محركة ـ: الابعاد استخفافاً . تقول : طردته فذهب ، لا يقال منه (انفعل) ولا (افتعل) إلاّ في لغة رديئة ، والرجل مطرود وطريد))(٦) .

---

(١) الكتاب ٢/٢٣٨.
(٢) ينظر: المصدر السابق .
(٣) ارتشاف الضرب ١/٨٥.
(٤) المصدر السابق .
(٥) الكتاب ٢/٢٣٨. وينظر ايضا : ارتشاف الضرب ١/٨٥.
(٦) البصائر ٣/٤٩٩.

إن هذا المنحى في معنى المطاوعة يذهب بنا الى أن هذا المعنى لا يفهم إلا من خلال السياق اللغوي الذي يُفترض فيه وجود فعل سابق لهذا الفعل مؤثر في شيء فيكون هذا الفعل أثرا له في ذلك الشيء وهو المعنى المتصور في المطاوعة.

وكانت هذه الفكرة واضحة عند الفيروزآبادي من الوجوه التي تأتي عليها النون في العربية قوله في الوجه العاشر ((نون المطاوعة في الفعل كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾ (التوبة ٥) ، ﴿ فَٱنفَجَرَتْ ﴾ (سورة البقرة ٦٠)، ﴿ فَٱنفَلَقَ ﴾ (الشعراء ٦٣))) (١) .

فالنص يعطي النون الاختصاص بمعنى المطاوعة ويقتصر ذلك على بناء (انفعل). فتتخذ النون في بناء المطاوعة (انفعل) وظيفة صرفية هي العلامة المختصة التي تبين دلالة الفعل على المطاوعة ، وهي في الأصل صيغة (انفعل) كما يقول الرضي (ت٦٨٨هـ): ((لان هذا الباب (يعني : انفعل) موضوع للمطاوعة))(٢) ولهذا يجب الحفاظ عليها ، قال الرضي ذلك في سياق موازنتها بتاء (افتعل) :((ونون (انفعل) علامة المطاوعة فكسرة طَمْسُها، وأما تاء (افتعل) في نحو (ادّكر) و(اطّلب) فلما لم تختص بمعنى من المعاني التي كنون (انفعل) صارت كأنها ليست بعلامة ، اذ حق العلامة الاختصاص))(٣).

فعلى الرغم من مجيء (افتعل) للمطاوعة فان ذلك لم يجعل من التاء علامة للمطاوعة لان هذا الوزن لم يختص بالمطاوعة حسب بل اتى على عدة معان .

إن هذا الاطار لمعنى المطاوعة ادّى بنا الى الوقوف على ملاحظة جديرة بالاعتبار تأتت لنا من خلال استقراء مادة (البصائر) وهي وجود ثنائيات بنائية عدة يظهر فيها معنى المطاوعة غير تلك التي ذكرها سيبويه او من أتى بعده . فقد وقفنا على ثماني عشرة ثنائية بنائية للمطاوعة كان سيبويه قد ذكر منها خمس ثنائيات حسب وثنائية سادسة لم نجد ما عند الفيروزآبادي هي (فعللته فتفعلل) نحو(دحرجته فتدحرج).

وسنورد بعض النصوص التي تشير الى كونها امثلة جاءت على معنى المطاوعة. فالخمس التي ذكرها سيبويه وغيره ووردت في (البصائر) هي :

---

(١) البصائر ٥/٦ .
(٢) شرح الشافية ١/١٠٨ .
(٣) وردت في المصدر: " لم يختص بمعنى من المعاني كنون (انفعل) " والصواب ما اثبتناه . شرح الشافيه ١/٩ ١٠ .

١ــ فعلته فانفعل ، نحو قول الفيروزآبادي :((فصلت الشيء فانفصل)) [١] :((وَسَلَّ الشعرة من العجين فانسلتْ)) [٢] ، وسحقته فانسحق [٣] ، وهضمته فانهضم [٤] ، وهشمته فانهشم [٥] ، وقال : ((انكشف مطاوع الكشف)) [٦] .

٢ــ فعلته فافتعل ، جاء في (البصائر) : غمّه فاغتم وانْغَمَّ [٧] ونهى فانتهى [٨] ((ويقال : ردد ته فارتدَّ)) [٩] .

٣ــ أفعلته ففعل ، نحو: أوطأته الشيء فوطِئه [١٠] ، وأشكاني فشكوته [١١] وأركسته فركس وارتكس [١٢] ، وأحزنته فحزن [١٣] .

٤ــ فعّلته فتفعّل ، نحو: هيّأته فتهيّأ [١٤] ، وهورته فتهوّر اذا سقط البناء [١٥] ، وفلّق فتفلّق [١٦] ، وغيّظه فتغيّظ [١٧] ونكّرته فَتَنكّر [١٨] .

٥ــ فاعل فتفاعل ، نحو قوله : ((واترت الكتب فتواترت ، أي: جاء بعضها في إثر بعض)) [١٩] .

أما التي زادها الفيروزآبادي مما يدخل في معنى المطاوعة فهي :

١ــ فعّل فانفعل ، نحو: فلّق فانفلق [٢٠] ، وفتّقه فانفتق [٢١] ، وجاء في : ((عَزَلَه يَعْزِله وعزّله فاعتزل وانعزل وتعزّل : نحاه جانباً فتنحى)) [٢٢] .

٢ــ أفعل فانفعل ، نحو قوله :((واقفل الباب عليه فانقفل واقتفل)) [٢٣] .

٣ــ أفعل فافتعل ، نحو: أوقدتُ النارَ فاتّقدت [٢٤] ، واقفل فاقتفل [٢٥] وقد تقدم وألزمه إياه فالتزمه [٢٦] .

---

(١) البصائر ٤/١٩٤ .
(٢) البصائر ٣/٢٥١ .
(٣) ينظر: البصائر ٣/٢٠١ .
(٤) ينظر: البصائر ٥/٣٢٩ .
(٥) ينظر: البصائر٥/٣٢٨ .
(٦) البصائر٤/٣٥٤ . وينظر: ٤/١٧٦ و ٢٨٧، ٥/٣٢٩ .
(٧) ينظر: البصائر ٤/١٤٩ .
(٨) ينظر: البصائر ٥/١٣٠ .
(٩) البصائر ٣/٥٩ .
(١٠) ينظر: البصائر ٥/٢٣٥ .
(١١) ينظر: البصائر ٣/٣٤٢ .
(١٢) ينظر: البصائر ٣/٩٧ .
(١٣) ينظر:البصائر ٤/١٤٩ .
(١٤) ينظر: البصائر ٥/٣٦٧و٢٣٥ .
(١٥) ينظر: البصائر ٥/٣٥٦ .
(١٦) ينظر: البصائر ٤/٢١٤ .
(١٧) ينظر البصائر ٤/١٥٥ .
(١٨) ينظر: البصائر ٥/١١٧ .
(١٩) البصائر ٥/١٥٧ .
(٢٠) ينظر: البصائر ٤/٢١٤ .
(٢١) ينظر: البصائر ٤/١٦٦ .
(٢٢) البصائر ٤/٦٣ .
(٢٣) البصائر ٤/٢٨٧ .
(٢٤) ينظر: البصائر ٥/٢٤٨ .
(٢٥) ينظر: البصائر ٤/٢٨٧ .
(٢٦) ينظر: البصائر ٤/٤٢٨ .

٤ــ افعل فتفعل، نحو: أوْقدتُ النارَ فتوقَّدت [١] ، ((وعلمه العلم واعلمه اياه فتعلَّم)) [٢] .

٥ــ فعل ففعِل ، نحو: ((يقال : بشرته فبشِر نحو جبرته فجبِر)) [٣] . وقال في نص آخر : ((جَبَرته فانجبر واجتبر، وقد قيل : جَبَرته فَجَبَر، قال الشاعر:

* قَدْ جَبَرَ الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ *

وقيل : الثاني تأكيد للأول)) [٤] . وقد علّق ابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) بعد ان ذكر شعر العجاج [٥] . بقوله : ((فان قيل : فهل يقال (فَعَلتُه فَفَعَلَ) فقال نعم في حروف كثيرة . فقالوا خَسَأت الكلب فَخَسَأ ، ولا يقال الا ذلك)) [٦] . و((خسأت الكلب فخسأ اى زجرته مستهينا به فانزجر)) [٧] .

وقال الفيروزآبادي : ((وكسبتُ الرجل مالاً فكسبه . هذا ما جاء على فعلته ففعِل)) . [٨]

٦ــ فعلته فأفعل ، نحو: شكوته فأشكاني [٩] . قال جرير [١٠] :

أَشْكُوا إِلَيْكَ فَأَشْكني ذُرِّيَّةً لا يَشْبَعُون وأُمُّهُمْ لا تَشْبَعُ

وجاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَاهِرًا ﴾ (الكهف ٢٢) ((واصل ذلك من مِرى الناقة يمريها، مسح ضرعها فأمرت هي وهذا أحد ما جاء على (فعلته فافعل)) [١١] .

٧ــ فعّله فافتعل ، نحو: عزّله فاعتزل [١٢] .

٨ــ فعّل فاستفعل، نحو: ((وفّرت عليه حقه فاستوفره ونحو: وفّيته اياه فاستوفاه)) [١٣] ومكّنته فاستمكن [١٤] .

٩ــ استفعلته فأفعلني، نحو: استجرته فأجارني [١٥] ، و((استعنته فأعانني، قال تعالى : ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ (الكهف ٩٥)) [١٦] ، استسعدته فأسعدني [١٧] .

---

(١) ينظر: البصائر ٥/٢٤٨ .
(٢) البصائر ٤/٨٨ .
(٣) البصائر ٢/٢٠٧ .
(٤) البصائر ٢/٣٦٠ .
(٥) ينظر: ديوانه ٣٥٤ .
(٦) فعلت وافعلت ١٠٤ .
(٧) البصائر ٤/٣٤٩ .
(٨) البصائر ٢/٥٤٠ .
(٩) ينظر: البصائر ٣/٣٤٢ .
(١٠) ينظر: ديوانه .
(١١) البصائر ٤/٤٩٧ .
(١٢) ينظر: البصائر ٤/٦٣ .
(١٣) البصائر ٥/٢٤٣ .
(١٤) ينظر: البصائر ٤/٥١٦ .
(١٥) ينظر: البصائر ٢/٤٠٨ .
(١٦) البصائر ٤/١١٣ .
(١٧) ينظر: البصائر ٣/٢٢١ .

١٠ـ افعلته فاستفعل، نحو قوله : ((مكنته من الشيء وأمكنته منه فتمكن واستمكن))[١].

١١ـ فعلته فتَفَعَّل، نحو : ((هشَمَه يَهْشِمه ... فانهشم وتَهَشَّم))[٢].

١٢ـ افتعل فانفعل ، نحو قوله : ((سلَّ السيف من غمدِه ، واسطَّه فانسلَّ منه))[٣].

١٣ـ فعله فتفاعل، جاءت هذه في قوله : ((نهاه ينهاه نهياً ضد أمره ، فانتهى وتناهى))[٤].

---

(١) البصائر ٤/٥١٦.
(٢) البصائر ٥/٣٢٨.
(٣) البصائر ٣/٢٥١.
(٤) البصائر ٥/١٣٠.

المبحث الثاني
المصادر وأنواعها

المصادر:

جاء في العين :((والمصدر : أصل الكلمة الذى تصدر عنه الأفعال، وتفسيره : ان المصادر كانت أول الكلام، كقولك : الذَّهاب والسَّمْع والحِفظ ، وانما صدرت الأفعال عنها، فيقال : ذَهَبَ ذَهاباً، وسَمِعَ سمعاً وسَماعا ، وحَفِظَ حِفْظاً)) (١) . فالمصطلح يشير في الاساس الى أن الألفاظ التي تسمى مصادر هي المبدأ الاول لاشتقاق الأفعال، وبهذا فمصطلح المصدر يعدّ مصطلحا صرفيا، لما فيه من الاقتصار على جهة الاشتقاق في حدود الالفاظ المفردة .

وكان ذكر المصادر عند الفيروزآبادي من جملة اهتمامه عند ذكر المادة اللغوية للبصيرة واشتقاقاتها . وعلى العموم فاننا لا نجد للفيروزآبادي منهجاً معيناً في ذكر المصادر وانواعها في بصائره ، بل لا نجد له منهجاً في ذكرها اوعدم ذكرها إذ غالباً ما يلجأ الى ذكر استعمالات بصيرته في القرآن الكريم من غير أن يذكر شيئا عن اشتقاقات مادتها وقد يكتفي بالنزر اليسير-كما سبقت الاشارة الى ذلك في غير موضع من هذا الفصل- ويعود ذلك الى ان المادة الصرفية لم تكن الاّ وسيلة لبيان دلالات بصائره في مستويات الدلالة القرآنية والدلالة النحوية والدلالة المعجمية (وهي متدرجة بحسب اهميتها) .

وقد وجدت ــ من خلال تتبعي للبصائر ــ أن طبيعة الاهتمام بالمصادر تتجلى في مظاهره هي :

١ــ استعمال المصطلح (المصدر) ويتمثل هذا في أنه يستعمل المصدر منفرداً أو يستعمل مصطلح مصدر المرة والنوع (الهيأة) .

٢ــ أن يذكر المصدر أو المصادر المستعملة للمادة من غير ان يستعمل مصطلح المصدر .

٣ــ التنبيه على أن المصدر قد يقوم مقامه الاسم أواسم الفاعل .

٤ــ الاشارة إلى الدلالة الصرفية لبعض المصادره من (فعول والفِعِّيلَى) .

وسنأتي الى عرض أمثلة لهذه المظاهر . وهي أمثلة كثيرة ولكننا سنقتصر على ذكر بعضها ، والاحالة في الهامش على بقية المواضع .

---

(١) العين ٧/٩٦ .

١ـ استعمال المصطلح :

نص الفيروزآبادي في طائفةٍ من نصوصه على المصطلح من نحو قوله في (الخصم) : ((الخَصْم مصدر : خصمتُهُ أي نا زعته ، والخَصْم : المخاصِم المنازع، والجمع خصوم وخِصام وأخصام . وقد يكون للاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، قال تعالى : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ (الحج ١٩) أي فريقان . والخصيم : الخَصْم الكثير المخاصمة . والجمع: خُصَماء وخُصْمان ، والخُصم ـ بالضم ـ الجانب والزاوية)) [١] . فهو ينص على ان (الخصْم) يستعمل مصدراً مرة ومرة اخرى يستعمل اسماً بمعنى (المخاصِم)، وقد فرق لنا ما بين جمع (خَصْم) وجمع (خصيم) وذكرنا النص على الرغم من أن موضع الاشارة على المصدر ايثارا لبيان طبيعة مثل هذه النصوص التي تغلب عليها الناحية الصرفية ـ وهي موضع اهتمامنا هنا ـ، وهي متمثلة في ذكر طائفة من اشتقاقات المادة التي عقدت عليها(البصيرة) .

وقال في (الحُجَّة) : ((واصل الحج القصد للزيارة وخصّ في تعارف الشرع بقصد بيت الله اقامة للنسك فقيل : الحَج والحِج ، فالحَجّ مصدر والحِج اسم)) [٢] . وقد خالف الفيروزآبادي هنا سيبويه اذ ذكر سيبويه أن الحِجّ بالكسر هو المصدر ولم يذكره بالفتح فقال : ((وقالوا : حجّ حِجّا كما قالوا : ذكر ذِكرا)) [٣] .

وجاء في الزور: ((الزَّور ايضا : مصدر قولك زُرْته أَزُوره زَوْرا وزِيارة وزُوَاراً ومَزَارا اى لقيته بزوري ، او قصدتُ زَوْره اى وِجهته)) [٤] . واقتصر سيبويه في هذا الفعل على قوله :((وقالوا زُرْته زيارةً ، وعُدته عِيادة، وحُكته حِياكةً . كأنهم أرادوا الفعول فنزوا الى هذا كراهية الوات والضمات)) [٥] .

ففي النص تتضح لنا ثقافة الفيروزآبادي المعجمية إذ أورد للفعل (زار) أربعة مصادر على حين اقتصر سيبويه على ذكر مصدر واحد لهذا الفعل .

وقال في الكيل : ((الكيل مصدر ؛ كال الطعام كيلاً ومكيلاً، واكتاله بمعنى)) [٦]

---

(١) البصائر ٢/٥٤٧ .
(٢) البصائر ٢/٤٣٢ .
(٣) الكتاب ٢/٢١٦ .
(٤) البصائر ٣/١٤٦ .
(٥) الكتاب ٢/٢٣١ .
(٦) البصائر ٤/٤٠٤ .

فقد ذكر ههنا مصدرين للفعل (كال) على حين اقتصر سيبويه عند ما ذكر هـذا الفعل على مصدر واحـد هو: (الكيـل) (١) .

من خلال النصوص المتقدمة يتضح لنا ان الفيروزآبادي نص على كون هذا اللفـظ او ذاك مصدرا (*) ولكننا نجده في النصوص الاخرى لا يشير الى المصطلح ويكتفي بايـراد اشتقاقـات المادة المختلفة وفي ضمنها المصـادر.

٢ـ ذكر لفظ المصدر من غير أن يستعمل المصطلح :

من ذلك قوله في كذب :((كَذَبَ يكذب كَذِباً وكِذّباً وكِذابا واكذوبة وكاذبة ومكذوباً ومِكْذَبة وكُذابانا كغفران وكُذّبى ك (بُشرى)، فهو كاذبٌ وكذّاب وكَذوب وكَيْذَبان وكَيْذُبـان ومَكْذُبان ، وكُذَبة ك (هُمَزة)، وكُذُبّذب وكُذُبْذُبان وكُذُبّذُب بالتشديد .)) (٢) فهو يذكـر عدة مصادر لمادة (كذب) لكنه لا يشير اليها بل تأتي بوصفها من استعمال المـادة الأصل . وأتى سوقه لاشتقاقات هذه المادة بصورة تذكرنا بعمله في القاموس المحيط (٣) لكنه اقتصر ههنا على المشهور منها مما اعتقده من جملة الثروة اللغوية التي يجـب أن يشتمل عليها من ينظر في الكتاب الكريـم .

وقوله ايضا في (بصيرة في طعن) :((طَعَنه بالرّمح يَطْعُنُه ويَطْعَنُه طَعْنـاً، وطَعَنَ فيه بالقول طَعْناً وطَعَناناً ، فهو مطعون وطَعِين من طُعِن . قال تعالـى : ﴿ وَطَعَنُوا في دِينِكُمْ﴾ (التوبة ١٢))) (٤) . فقد ذكر مصدرين وهما (طَعْنا وطَعَنانـاً) ولم يشر الى المصدر، ويظهر من النص انه لا فرق في اشتقاق مصدر (طعن) على الرغم مـن اختلاف دلالة الفعليـن .

ومن ذلك قوله في الوعظ: ((الوَعْظُ والعِظةُ والموعظة مصادر قولك : وعظْتُه أعِظُه ، وهو زجرٌ مقترن بتخويف. وقال الخليل : هو التذكير بالخير، ومنه قول النبي (صلى اللـه عليه وسلم): " السعيدُ من وعِظ بغيره " قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِـدَةٍ﴾ (سبأ ٤٦) قال رؤبة ويروى للعجاج :

---

(١) ينظر : الكتاب ٢/٢٣١.

(*) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: البصائر ١/ ٨٢، ٢/٧ ٢٢ و٤٤ ٧و٣٤٤و٦٤٣و٦ ٥٢و ٥٤٧، ٤/٧ ٢١، ٥/١ ١و٤٣و١٥ ٢و٢٥١.

(٢) البصائر ٤/٣٣٨. (٣) ينظر : القاموس المحيط مادة كذب (١/ ١٢٢).

(٤) البصائر ٣/٥٠٨. وينظر: ٢/٢٣ ٢و٤٤٨و٤٧٠ ٧و٥٠٩و٥٥٤، ٣/٦، ٤/ ٦٣و٦ ٩و٨ ٩و٤٢ ١و٤٤ ١و١٣ ٢و٣٣٥و٥٣٩، ٥/ ٤٢و٦٢ و٦٣و٧٤ و٧٥و٧٧ و ٧٩و٤٩ ٢و٥٥ ٢و٥٦ ٢و٣٣٩و٣٣٨و٣٥٦.

لما رَأَوْنا عَظْعَظَتْ عِظْعاظَـــا نَبَّلْهُم وصَدَّقُـوا الوُعّاظَـــا))(١)

فهو يذكر ثلاثة مصادر لـ(وعظ) ثم يأتي الى بيان دلالتها وبعض ما ورد من استعمالهـــا في السنة النبوية والقرآن الكريم والشعر العربـــي .

وقد يصف الفيروزآبادي في بعض نصوصه بعض المصادر بـ(النادر) من ذلك قوله : ((أَحَلَّ بالمكان وحلَّ به يُحِلّ ويَحِلُّ حَلّاً وحُلولا وحَلَلاً ــ وهو نادر ــ نزل به فهو حـــالّ . وكذلك احتله واحتلَّ به))(٢) . فقد وصف المصدر (حَلَلا) بالندرة . وقد جاء في معجـــم العين قوله : ((والمَحَلُ مصدر كالحلول . والحِلُّ والحِلال والحُلول والحِلَل : جماعة الحـــالّ النازل ، قال رؤبـــة :

وقد أرى بالجَوِّ حَيّـــاً حِلَـــلا حِلّاً حِلالاً يرتعون القُنْبُـــلا))(٣)

وقد يصف بعضها الآخر بـ(الشذوذ) . فـ (وَقودا) بالفتح شاذ عنده اذ قـــال : ((وَقَدَتِ النارُ تَقِدُ وَقْدا ، ووُقودا ، ووَقودا بالفتح ، وهذا شاذ . ووَقَدا بالتحريك ، وقِـــدة كـ (عِدَة) ، ووَقَدانا بالتحريك . وقرأ الحسن البصري وابو رجاء العطاردي ويزيد النحـوي : ﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ (*)(البروج ٥) بالضم والوَقُود بالفتح ايضا))(٤) .

وعدّه سيبويه مسموعاً عن العرب قال : ((وسمعنا من العرب من يقول : وَقَـــدت النارُ وَقُوداً عالياً ، وَقَبِله قَبُولا ، والوُقُود اكثر . والوَقود : الحطب))(٥) .

٣ــ استعمال اسم الفاعل مصدراً :

يرى النحويون(٦) أنَّ اسم الفاعل قد يقوم مقام المصدر أو بمعنى آخر ان هنـــاك من المصادر ما يأتي على زنة(فاعل) نحو: قم قائما . أي: قياماً ، كما قد يحدث العكـــس فيوضع المصدر مقام اسم الفاعل نحو: رجل عدل بمعنى عادل .

ومما ذكره الفيروزآبادي في هذا المجال تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ (المائدة ١٣) قال : ((اى على جماعة خائنة، وقيل على رجل خائن . فإنه يقال : رجل خائن وخائنة كـ(داهية وراوية) ، وقيل : خائنة موضوعة موضع المصدر، نحو: قم قائما))(٧) . أي قيامـــاً .

---

(١) البصائر ٥ / ٢٤٠ .
(٢) البصائر ٢/ ٤٩٣ .
(٣) العين ٣/ ٢٦ مادة(حل) .
(*) ينظر: مختصر في شواذ القراءات ١٧١ .
(٤) البصائر ٥ / ٢٤٨ .
(٥) الكتـاب ٢/ ٢٢٨ .
(٦) ينظر: الكتاب ٢/ ٢٢٩، شرح الشافية ١/ ١٧٦، شرح المفصل ٦/ ٥٠ ومـــا بعدهـــا .
(٧) البصائر ٢/ ٥٨٢ .

ومثله قوله في (الكاشِفة) و(العاقِبة) فيقول في الاولى :((الكشف والكاشفة : الاظهار . والكاشِفة من المصادر التي جاءت على (فاعِلة) كـ (العافِية والكاذِبة) قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (النجم ٥٨) اى كشف واظهار))[١] .

أما (العاقبة) فقد جاء فيها قوله :((عاقبة كل شيء آخره . وقولهم : ليس لفلان عاقبة، أي ولد . والعاقبة ايضا : مصدر : عقب فلان مكان أبيه عاقبة، اي خَلفه ، وهو اسم جاء بمعنى المصدر كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (الواقعة ٢)))[٢] .

وقد يقوم الاسم مقام المصدر، ففي تفسيره لـ (النفس) في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : " لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن "[٣] نقل عن الأزهري (ت ٣٧٠هـ) أنَّ (النفس) ههنا وضع موضع المصدر الحقيقي من نَفَّس ينفِّس تنفيساً ونَفَساً كما يقال : فرَّج يُفَرِّج تفريجاً وفَرَجاً[٤] .

٤ـ استعمال المصدر اسماً :

وقد يستعمل اللفظ اسماً وهو في الاصل مصدر، إذ قال :((والضيف في الأصل مصدر ، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم . يقال : أضياف، وضيوف، وضِيفان . وقد يقال :استضفت فلاناً فأضافني . وقد ضِفته ضيفاً، أي صرتَ ضيفاً له))[٥] .

وكذلك قوله في الزرع : ((والزرع في الأصل مصدر، وعبّر به عن المزروع ، كقوله : ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ (السجدة ٢٧) . قال الشاعر:

لعمرك ما المعروف في غير اهله ... وفي اهله إلاَّ كبعض الودائع
فمستودعٌ قد ضاعَ ما كان عنده ... ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناسُ في شكر الصنيعة عندهم ... وفي كفرها إلاَّ كبعض المزارع
فمزرعةٌ طابت وأُفرِغ زرعها ... ومزرعة أكدت على كلِّ زارع))[٦]

---

(١) البصائر ٤/ ٣٥٤ .
(٢) البصائر ٤/ ٨١ .
(٣) الجامع الصحيح ٤/ ٥٢١ باب الفتن .
(٤) ينظر: البصائر ٥/ ٩٩ .
(٥) ينظر : البصائر ٢/ ٣٦ .
(٦) البصائر ٣/ ١٢٦ .

وقد يقوم المصدر مقام الظرف في الجملة ((وقرأ ﴿ وَإِدْبَارَ ٱلنُّجُومِ ﴾ (الطور ٤٩) بالفتح والكسر. فبالكسر: مصدر مجعول ظرفاً . نحو: مَقْدَم الحاجّ، وخفوق النجم، وأُد بارَ بالفتح جمع ...)) (١) .

وقد يأتي اللفظ على صيغة يحتمل أن يكون فيها (مصدراً) ويكون (اسماً) ففي قوله تعالى : ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ (الدهر ٩) :((يحتمل ان يكون مصدراً مثل قَعَدَ قُعُوداً ، ويحتمل أن يكون جمعاً ، مثل بُرْد وبُرُود ، وكُفْر وكُفُور)). (٢)

وقد يقوم المصدر مقام الفعل في الجملة وهذا هو قول مجموعة من النحويين، قال الفيروزآبادي عند ذكره لقوله تعالى : ﴿ كِتَابَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ النساء ٢٤)((مصدر أُريد به الفعل، أي كتب الله عليكم، وهذا قول حذّاق النحويين، وقال الكوفيون : هو منصوب على الاغراء بـ(عليكم)، وهو بعيد ، لأن ما انتصب على الأغراء لا يتقدم على ما قام مقام الفعل وهو (عليكم)، ولو كان النص: عَليكم كِتابَ اللَّهِ لكان النصب على الاغراء أحسن من المصدر)) (٣) .

معاني المصادر:

ذكر الفيروزآبادي معاني تأتي على بعض الأوزان منها الدلالة على الكثرة، منها : (فِعَّيلىٰ) التي تدل على الكثرة كما في قوله : ((وقول عمر : لو اطيق الاذان مع الخِلِّيفىٰ لأذّنتُ. كأنه اراد بـ(الخِلِّيفىٰ) كثرة جهده في ضبط الخلافة وتصريف أعنتها، فان هذا النوع من المصادر يدل على معنى الكثرة)) (٤) .

وكان سيبويه قد أشار الى هذا الاستعمال بقوله : ((وأما (الفِعِّيلىٰ) فتجيء على وجه آخر تقول : كان بينهم رِمَّيًا ، فليس يريد قوله :رمْياً، ولكنه يريد ما كان بينهم من الترامي وكثرة الرمي، ولا يكون الرِّمَّيا واحداً . وكذلك الحِجِّيزىٰ...)) (٥) . وكذلك الحِتِّيتَىٰ ((فكثرة الحتّ كما ان الرِّمَّيا كثرة الرمي، ولا يكون من واحد)) (٦) . وكذلك الدِلّيلىٰ((ويراد به كثرة علمه بالدلالة ورسوخه فيها)) (٧) وكذلك القِتِّيلىٰ والهِجِّيرىٰ

---

(١) البصائر ٢/٥٨٦ .
(٢) البصائر ٣/٣٣٤ . وينظر: ٤/١٣٣ و ٥/٣٧٤، ١١٤ .
(٣) البصائر ٤/٣٢٩ .
(٤) البصائر ٢/٥٦٥ .
(٥) الكتاب ٢/٢٢٨ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق .

((كثرة الكلام والقول بالشيء))[١] . واما الخِلّيفى فهو : ((كثرة تشاغله بالخلافة وامتداد أيامه فيها))[٢] .

وقد يأتي المصدر للمبالغة على وزن (تفعيل) قال الفيروزآبادي في محق : ((محقه يَمْحَقه مَحْقاً : أبطله ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٤١) أي يستأصلهم ويحبط اعمالهم ... وَمَحَّقَهُ تَمحيقاً للمبالغة ، ومنه قراءة عبد الله بن الزبير (رضي الله عنهما) : ﴿ يُمَحِّقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ (سورة البقرة ٢٧٦) من التمحيق))[٣] .

ومن هذا أيضا مجيء (فَعَلان) بفتح الفاء والعين ، قال سيبويه : ((ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك النَزَوان والنَقَران والقَفَزان وانما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع))[٤] .

ويقول فيه رضي الدين الأستراباذي : ((والقياس المطرد في مصدر التنقل والتقلّب الفَعَلان ، كالنزوان والنقران ، ... و(الشنآن) شاذة لأنه ليس باضطراب))[٥] .

وقد أشار الفيروزآبادي إلى ذلك في وصفه لقراءتي (الشَّنْآن) بالتحريك والتسكين بالشذوذ بقوله : ((الشناءة والشَّنْأة بالمد والفتح : البغض ، وقد شَنَأْتُه وشِئْتُه شَنْئاً وشناءة ، ومَشْنأ وشَنآنا بالتحريك وشَنْآنا بالتسكين . وقرأ نافع في رواية إسماعيل ، وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بالتسكين ، والباقون بالتحريك [*] وهما شاذان فالتحريك شاذٌّ في المعنى لان (فَعَلان) إنما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالضَّرَبان والخَفَقان ، والتسكين شاذٌّ في اللّفظ لأنه لم يجيء شيء من المصادر عليه))[٦] . فقد ألمح فيه الشذوذ في المعنى الى اقتصار هذه الصياغة على أنّما كان فيه معنى (فَعَلان) لم تأت عليه المصادر الا هذه وهو بالتحريك لا التسكين .

---

(١) الكتاب ٢/٢٢٨ . (٢) الكتاب ٢/٢٢٨ ، شرح المفصل ٦/٥٦ ، شرح الشافية ١/١٦٨ .
(٣) البصائر ٤/٤٨٧ . (٤) الكتاب ٢/٢١٨ .
(٥) شرح الشافية ١/١٥٦ .
(*) يشير الى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ (المائدة ٨) .
(٦) البصائر ٣/٣٤٨ .

أبنية المصادر:

ومما ورد من أبنية المصادر (التفاعل) و(الافتعال) بقوله: ((والتعاون والاعتوان إعانة بعضهم بعضا، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة ٢) وعاونه معاونةً وعِوَاناً، والاسم العَوْن، والمعَانة والمَعُونة والمَعُونة والمَعُوْن))[١].

والتفاعل يدل على المشاركة إذإن فعله الذي هو (تفاعلت): ((لا يكون الا وانت تريد فعل اثنين فصاعداً))[٢].

وقد جاء (افتعل)[٣] للدلالة على (التفاعل) نحو: اعتوروا أي تناوبوا واجتوروا أي: تجاوروا، وعلى هذا فإن مصدر (عاون ـ اعتوان) يدل على المشاركة كما هو صريح في كلام الفيروزآبادي.

وجاء (الافتعال) بمعنى (الاتخاذ) وذلك في (بصيرة في الاتخاذ) قد قال: ((هو مصدر من باب (الافتعال)...))[٤].

ومما ورد ايضا من أوزان في (البصائر) ما جاء على (فَعُول) وذلك في (بصيرة في طهر) اذ قال الفيروزآبادي: ((... والطهور، قد يكون مصدراً على (فَعُول) فيما حكى سيبويه من قولهم: تطهّرت طَهُورا، وتوضأت وَضُوءا، ومثله وَقَدْتُ وَقُودا. وقد يكون اسماً غير مصدر ك (الفَطُور) اسماً لما يفطر به، و(السَّحور) و(الوَجور) و(السَّعُوط) و(الذَّرور) وقد يكون صفة ك (الرَّسُول))[٥].

المصدر الميمي:

هو اسم مشتق للدلالة على الحدث، ويكون مبدوءاً بميم زائدة[٦]. وقياس صوغه[٧] من الثلاثي على وزن (مَفْعَل) بفتح الميم والعين وسكون الفاء، واذا كان مثالاً صحيح اللام تحذف فاؤه في المضارع نحو: وَعَدَ، فيكون وزنه عندئذ على (مَفْعِل) بكسر العين،

---

(١) البصائر ٤/١١٣. (٢) الكتاب ٢/٢٣٩، ينظر: شرح الشافية ١/٩٩ ومابعدها.
(٣) ينظر: شرح الشافية ١/١٠٨ـ١٠٩. (٤) البصائر ٢/٥٧.
(٥) البصائر ٣/٥٢٩، وينظر: الكتاب ٢/٢٢٨.
(٦) شذا العرف ٧٣. وينظر: الظواهر اللغوية في معاني القرآن واعرابه ١٤٧.
(٧) ينظر: المفصل ٢/٢٣٢، شذا العرف ٧٣، الظواهر اللغوية في معاني القرآن واعرابه ١٤٧.

ك (موعِد وموضِـع) . وأما من غير الثلاثي فيصاغ على زنةِ اسم المفعول .

وفصل الفيروزآبادي القول في بصيرة سماها : (بصيرة في وعد) جاء فيها قولـه : ((والمَوْعِدة والميعاد : المواعَدَة، والوقت، لان ما كان فاء الفعل منه واواً او ياءً ثم سقطتا في المستقبل مثل يَعِدُ ويزن ويَهَبُ، ويَضَعُ ويئل ، فإن (المَفْعِل) منه مكسور في الاسم والمصدر جميعا ، ولا تبالِ مفتوحاً كان (يَفْعلُ) منه أو مكسورا بعد ان تكون الواو ذاهبة ، الا اسماء جاءت نوادر، والقياس الكسر . فإنْ كانت الواو من (يَفْعَل) ثابتة نحو : يَوْجَلُ ويَوْجَعُ . ويوسَن ففيه الوجهان ، فإن اردت به المكان او الاسم كسرت وان أردت به المصدر فتحت، فقلت : مَوْجَل ومَوْجِل)) (١) .

فـ (مَوْجِل) هو مصدر ميمي لصياغته من (وجِل) على وزن (مَفْعِل) لان فعله مثال صحيح اللام . وكذلك جاءت (الموعِدة) والاصل (الموعِد) الا أنهم كما يقول سيبويه: ((وربما الحقوا هاء التأنيث فقالوا : المَعْجِزة والمَعْجَزة ، كما قالوا : المَعِيشَة)) (٢) . وقد قالوا المعجِز والمعجَز للمصدر من (عَجِزَ) (٣) .

وذكر الفيروزآبادي ما يفهم منه أنّ المصدر من ذوات الثلاثة يكسر ويفتح وكلاهما جائز وذلك في قوله في (بصيرة في عيب): ((فتقول : ما فيه معابة، ومَعَاب ، اى عيب ، ويقال : موضع عيب، قال :

أنا الرجلُ الذي قد عِبْتُمُوه وما فيه لعيَّاب مَعَابُ

لأن (المفعل) من ذوات الثلاثة، نحو : كال يكيل، إن أُريد به الاسم مكسور، والمصدر مفتوح ، ولو فتحتهما او كسرتهما في الاسم والمصدر جميعا لجاز، لأن العرب تقول : المعاش والمعيش، والمَسَار والمسير ، والمعاب والمعيب. والمعايب : العيوب)) . (٤)

والمشهور ان المصدر من الثلاثة بفتح العين . وما جاء على (مفعِل) مثالاً صحيح اللام او شاذاً خلاف القياس (٥) .

مصدرا الهيأة والمرة :

يصاغ كلا المصدرين على وزن (فعلة) إلا ان مصدر الهيأة يصاغ (٦) من مصدر الفعل الثلاثي على وزن (فِعْلة) بكسر فسكون ك (جَلَسَ جِلْسة) واذا كان بناء مصدره الأصلي

(١) البصائر ٥/٢٣٧ . (٢) الكتاب ٢/٢٤٧ . (٣) ينظر : المصدر السابق .
(٤) البصائر ٤/١١٦ . (٥) ينظر : المقرّب ٤٩٣ .
(٦) ينظر في قياس صوغه المصادر الاتية : الكتاب ٢/٢٢٩، أوضح المسالك ٣/٢٤١ ، شرح ابن عقيل ٣/١٣٣ .

بالتاء دلَّ على الهيأة بالوصف ، كـ (نَشَد الضَّالَّة نِشدةً عظيمة) ولا يبنى من غير الثلاثي مصدرٌ للهيأة، وشذ من ذلك خِمرة وبِقبة وعِمَّة، من اختمرت المرأة وتقببت وتعمَّم الرجل . ومصدر الهيأة هو مصدر يصاغ للدّلالة على هيأة وقوع الفعل (١) .

أما مصدر المرة فيصاغ (٢) من مصدر الفعل الثلاثي على وزن (فَعْلَة) بفتح فسكون كـ (جَلَسَ جَلْسَةً) . واذا كانت التاء في مصدره الأصلي دلَّ على المرة بالوصف ، كـ (رَحِم رحمةً واحدةً) . أما من غير الثلاثي فيصاغ بزيادة التاء على مصدره كانطلاقة ، واذا كانت التاء في مصدره دلَّ عليها بالوصف ،كـ(إقامة واحدة) . ومصدر المرة هو مصدر يصاغ للدلالة على حدوث الفعل مرة واحدة (٣) .

واصطلح الفيروزآبادى على مصدر الهيأة بـ (النوع) جاء ذلك في بيان بصيرة عقدها لـ (قعد) حيث ذكر فيها مصدر المرّة، ثم عقب كلامه على ذلك بقوله :((القعود والمَقْعد : الجلوس .وقد يفرقون بينهما، فتقول لمن كان قائماً : قعد ، ولمن كان مضطجعاً او ساجداً : جلس . والقَعْدة : المرَّة ، وبالكسر نوع منه))(٤).

وكذلك قوله :((واللَّعْبة ـ بالفتح ـ المرَّة من اللعب ، وبالكسر النوع منه ، مثل الجلسة من الجلوس))(٥) . ويقصد بـ(النوع منه) ما يعرف عند غيره بالمصدر الذى يدل على الهيأة . وكان سيبويه قد اصطلح عليه بأنه (ضرب من الفعل) يعني (نوع من الحدث) فقد قال :((هذا باب ما تجيء فيه (الفِعْلَة) تريد بها ضرباً من الفعل وذلك قولك : حَسَنُ الطِّعْمة . وقتلته قِتْلَة سَوْء . . . وانما تريد الضرب الذي أصابه من القتل والضرب الذى هو عليه من الطِّعم ومثل هذا الرِّكبة والجِلْسَة والقِعْدة))(٦).

ويبدو أن سيبويه والفيروزآبادي اكثر دقةً في الوقوف على دلالة هذا النوع من المصادر إذ إنّ الهيأة تحيل على الكيفية التي وقع بها الحدث .

---

(١) شذا العرف ٧٣، المهذب في علم التصريف ٣٠٤ .
(٢) ينظر في قياس صوغه المصادر الآتية : الكتاب ٢/ ٢٢٩، أوضح المسالك ٣/ ٢٤١ ، شرح ابن عقيل ٣/ ٣٣٢ـ١٣٣ .
(٣) شذا العرف ٧٣، المهذب في علم التصريف ٣٠٢ .
(٤) البصائر ٤/ ٢٨٥ . (٥) البصائر ٤/ ٤٣١ .
(٦) الكتاب ٢/ ٢٢٩ .

على أنه قد يتبين من بعض نصوص الفيروزآبادى توافقه في دلالة النوع على الهيأة بقوله :((والقِبْلة في الأصل : الحالة التي عليها المقابل نحو الجِلسة والقِعدة)) [١] . فقوله (الحالة) يعني بها الكيفية وهي الهيأة التي يقع بها الفعل . وقوله في الخُطبة :((بالضم يختص بالموعظة، وبالكسر يختص بطلب المرأة . واصل الخطبة الحالة التي يكون عليها الانسان اذا خطب نحو : الجِلْسة والقِعْدة)) [٢] وقوله : (الحالة) يشير الى الكيفية وهي الهيأة .

وقد اقترنت اشارات الفيروزآبادي لهذا النوع من المصادر (كما يلاحظ في النصين الأوّلين) بالاشارة الى مصدر المرة وذلك لاقترابها معاً في الصياغة إذ لا يفرق بينهما الا بالفتح في مصدر المرة والكسر في مصدر الهيأة أو النوع، ومنه ايضا ما جاء في (هجع اذ قال :((والهجيع من الليل مثل الهزيع . ويقال : أتيته بعد هجعة من الليل ، أى بعد نومة خفيفة من أول الليل . والهِجْعَة منه كالجِلْسة من الجلوس)) [٣] .

أما مصدر المرة فتكمن دلالته من النظر الى المصدر بوصفه جنساً عاماً ومفردة هذا الجنس أو المرة منه هي (الفَعْلَة) . ومما جاء في مصدر المرة قوله : ((الأكل تناول المطعم وعلى طريق التشبيه به يقال : أكلت النار الحطب والأكل بالضم وبضمتين اسم لما يؤكل . والأَكْلَة للمرة، والأُكلة بالضم اللقمة ...)) [٤] . فالأكل هو المصدر وهو جنس (والأَكْلَةُ) المرة الواحدة من هذا الحدث أو (الجنس) .

وعلى هذا فالغالب أن تقترن الاشارة الى هذا المصدر بذكر لفظ المصدر العام فعلاوة على ما تقدم بذكر من ذلك قوله :((الرِّزْق بالفتح المصدر الحقيقي ، والمرة الواحدة زَرْقة والجمع زرقات)) [٥] .

وقوله :((العبث: اللعب ، وقد عَبِثَ يَعْبَثُ ك (فرح ـ يفرَح) عبثا والعَبثة بالفتح المرة الواحدة ...)) [٦] .

---

(١) البصائر ٤/٢٣٦.
(٢) البصائر ٢/٥٥٠.
(٣) البصائر ٥/٣٠٧.
(٤) البصائر ٢/٨١.
(٥) البصائر ٣/٦٦.
(٦) البصائر ٤/١٤.

ومنه ايضا : ((الكرّة المرة والجمع: الكرات قال تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ (الإسراء٦) وأصل الكرّ: العطف على الشيء بالذات أو بالفعل ... وهو في الأصل مصدر وصار اسماً وجمعه كرور))[١].

ومما جاء على هذا الوزن تَعَسَّتُ تَعْسَةً واحدةً [٢] . والغرفة للمرة من غرف الماء اخذه بيده كاغترفه [٣] .

وبيّن سيبويه أن مصدر المرة اقرب الى الأصل وهو المصدر الحقيقي من مصدر الهيأة او النوع بقوله :((واذا أردت المرة الواحدة من الفعل (يعني به الحدث) جئت به أبداً على (فَعْلَة) على الأصل . لأن الأصل (فَعْل) فاذا قلت: الجُلُوس والذَّهاب ونحو ذلك فقد ألحقت زيادة ليست من الأصل ولم تكن في الفعل)) [٤] .

---

(١) البصائر ٤/ ٣٤١.
(٢) ينظر: البصائر ٥/ ٨٥.
(٣) ينظر: البصائر ٤/ ١٣٠.
(٤) الكتاب ٢/ ٢٢٩ .

المبحث الثالث

الجمـــوع وانواعهـــــا

الجمـــوع :

لم يكن الفيروزآبادي معنياً بايراد كل ما يتعلق بالألفاظ من الجموع بل كانت اشاراته متوزعة هنا وهناك بحسب ما يتطلبه الموضع من توضيح معنى مادة البصيرة والاشارة الى بعض اشتقاقاتها. ان اشاراته المتناثرة هذه لا تبين له منهجاً معيناً في اعطاء الجموع ولعل امر ايرادها مرتبط بشيوع اللفظة في الدراسة اللغوية ونحو ذلك والأمثلة على ذلك كثيرة. وسنكتفي بايراد بعضها، والإحالة في الهامش على المواضع الاخرى .

وقبل أن نبدأ بايراد هذه النصوص لا بد لنا من الاشارة الى ان الجموع في العربية تنقسم على قسمين رئيسيين هما : جمع السلامة، وجمع التكسير. مع وجود الفاظ اخرى تدل على الجمع بذاتها من غير اشتقاق من خلال صياغتها أو وجود مفرد لها وهو ما يعرف بـ (اسماء الجنس) وسنأتي على بيان بعض منها .

ويقسم جمع السلامة على قسمين هما : جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم. وتكون طريقة جمعهما بلواحق خاصة تلحق المفرد في آخره . أما جمع التكسير فانه يعتمد على أوزان أو صياغات تصاغ عليها مادة المفرد . وتفهم دلالة جمع التكسير من خلال البناء لا من خلال اللواحق . وأوزان جمع التكسير كثيرة ومتعددة - وسنأتي على بيان بعضها قريباً - وقد اصطلح بعض اللغويين المحدثين [١] على الجمع السالم بالجمع الخارجي وعلى جمع التكسير بالجمع الداخلي .

ومن كلام الفيروزآبادي في هذا الموضوع قوله : ((العَجَف - محركة - ذهاب السمن وهو أعجف ، وهي عجفاء، والجمع عِجاف منهما، وقد عجِف وعَجُف ك (فرِح وكَرُم) . وليس (أفعل) يجمع على (فِعال) غيرها، قال تعالى : ﴿ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ (يوسف ٤٣، ٤٦))) [٢].

فمع ذكره للجمع وهو (عِجاف) لاينسى ان يشير الى ان (أفعل) لا يجمع على (فِعال) الا في هذا الموضع . وبسبب هذه المغايرة فان بعض الباحثات [٣] ذكرن

---

(١) وهو هنري فليش . ينظر كتابه : العربية الفصحى ٦٣-٦٧ .
(٢) البصائر ٤/ ٢٢٣ .
(٣) ينظر: صيغ الجموع في اللغة العربية ١٤٩ هامش/ ٣ .

أن (عجاف) جمع (عَجْفاء) وليس (اعجف) لأن وزن (فَعلاء) يجمع على (فِعال) كـ (بطحاء، بطاح) و(برقاء، براق).

وشأنه ههنا شأنه في الكلام على (صحف) فالصحيفة تجمع على (فُعُل) صُحُف. و(فَعائِل) صَحائِف. اذ نقل عن الليث (ت ١٧٥ هـ) قوله: ((الصحف جماعة الصحيفة. وهذا من النوادر أن يجمع (فعيلة) على (فُعُل) مثل صحيفة وصحف وسفينة وسفن، وكان قياسه صحائف وسفائن، وقوله تعالى: ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ (الأعلى ١٩) يعني الكتب المنزلة عليهما))[١]. ووصف هذا الجمع بالندرة يعود الى ((ان (فعيلاً) اذا لحقته تاء التأنيث يجمع على (فَعائِل)))[٢] وصيغة (فَعّائِل) من صيغ منتهى الجموع. اما (فُعُل) فانه من صيغ جمع الكثرة. وعلى ما يبدو فان دلالة صيغتها كانت مقصورة على الاشارة الى كثرة الكتب المنزلة على النبيين ابراهيم وموسى (عليهما السلام) في النص القرآني.

ومن النصوص التي تستوقفنا لكثرة ما ذكر فيها من جموع ما جاء في (بصيرة في عبد) فقد قال: ((العَبْدُ: خلاف الحُرّ، والجمع: عَبْدون وعَبِيدٌ، مثال: كلب وكليب، وهو جمع عزيز، وأَعْبُدٌ، وعِبادٌ، وعُبْدان بالضم ـ كـ (تمر وتُمران)، وعِبْدان ـ بالكسر ـ كـ (جَحْش وجِحْشان) وعِبِدّان ـ بكسرتين وشدّ الدال ـ ومَعْبَدة كـ (شَيْخ ومَشْيخة) ومَعابِد وعِبْداء ـ بالمدّ ـ وعِبْدَى ـ مقصور ـ وعُبُد ـ بضمتين ـ كـ (سَقْف وسُقُف) وعَبُد ـ بفتح العين وضم الباء ـ ومعبوداء))[٣].

وتعليقا على هذا فان سيبويه ذكر ان ما كان (فَعْلاً) من الأسماء وعلى ثلاثة أحرف اذا ((ظئته الى ان تعشّره فان تكسيره (أفعل) وذلك قولك: كَلْبٌ وأَكْلُب))[٤]. ويعني ذلك أن (أَعْبُد) جمع قلة لـ (عَبْد).

ووصفه لـ (كَلِيب) بأنه جمع عزيز متأتٍ من قلة الالفاظ التي تجمع على هذا الوزن، وكان سيبويه قد قال في جمع (فَعْل): ((وربما جاء (فَعِيلا)، وهو قليل نحو: الكَلِيب والعَبِيد))[٥].

---

(١) البصائر ٣/٣٨٨. (٢) الظواهر اللغوية في معاني القرآن واعرابه ١٨٠.
(٣) البصائر ٤/٨. (٤) الكتاب ٢/١٧٥.
(٥) المصدر السابق ٢/١٧٦.

ومما ذكره سيبويه [١] في جمع (فَعْل) انه يجمع على (فُعْلان) و(فِعْـلانٍ) وجاء ههنـا (عُبْدان) و (عِبْـدان) .

والغالب في جمع كثرة (فَعْل) ان يكون على (فُعُول) و(فِعال)[٢] . ويفهم ممـا ذكره الرضي (ت ٦٨٨هـ) أن الأوزان المتقدم ذكرها لـ (فَعْل) هي القياس فيه((ومـا سوى ذلك يعلم بالسمع ، فلو اضطر شاعر أو ساجع في جمع (فعل) الى شيء مما ذكرنـا انه قياسـه فلا عليه ان يجمعه عليه وان لم يسمع)) [٣] .

وجاء في (العين) إنَّ إحدى أوجه قراءات قوله تعالى : ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ﴾ (المائدة ٦٠) (عُبُد الطاغوت) [٤] أي جماعة الطاغوت ((لا يقال عابد وعُبُد بل عَبُود وعبد))[٥] ، بمعنى ان (عبد) هي جمع لمن كثرت عبادته لان (فَعُول) تدل على الكثرة [٦] .

أما بقية الجموع فهي قليلة الاستعمال ولم يشر اليها سيبويه أو الرضي في جمـع (فَعْل) اذا كان اسماً ، والظاهر انها من الجموع المسموعة النادرة .

و(فَعْل) معتل العين يجمع في القلة على (أفعال) مثال ذلك (باب) تجمع علـى (ابواب) وفي الكثرة على (فِعلان) مثل (بيبان) وتجمع على (أبوبة) وهو نادر [٧] .

وجاء ((صَحابة بالفتح وصِحابة بالكسر عن الفراء ، وجمع الصاحب: صَحْب كـ (راكـب وركبه وصحبـة كـ (فاره وفرهـة) ، وصِحَاب كـ (جائع وجياع) ، وصُحبان ـ بالضم ـ كـ (شاب وشبان) ، والاصحاب : جمع صحب كـ (فرخ وأفراخ) ، والصحابة الاصحاب ، وهو في الاصل مصدر ، وجمع الاصحاب: اصاحيب)) [٨] . وقد اشار سيبويه الى ان (فاعل) من الصفات يكسَّر على (فُعْلان) مثل راكب وركبان ، وصاحب وصحبان ، وعلى (فِعال) ((قالوا : صحـاب اجروه مجرى (فعيل) نحو جريب وجربان ... فاد خلوا (الفِعال) ههنا كما ادخلـوه ثَمَّة حين قالوا : إقال وفصال وذلك نحو صحاب))[٩] . وما ورد من أمثلة الجمع فـي (البصائر) كثيـر [١٠] .

---

(١) ينظر: الكتـاب ٢/١٧٧ . (٢) ينظر: الكتاب ٢/١٧٥ ، وينظر: شرح الشافية ٢/٩٠
(٣) شرح الشافية ٢/٩١ .
(٤) ذكر ابن خالويه فيها تسع عشرة قراءة ذكرها باجمعها . ينظر: مختصر في شواذ القراءات ٣٤ . (٥) العيـن ٢/٤٩ . (٦) ينظر: الصاحبي ٢٢٤ .
(٧) ينظر: الكتاب ٢/١٩٨ وينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٩٧ و٢٩٩ .
(٨) البصائر ٣/٣٨٦ . (٩) الكتـاب ٢/١٩٨ .
(١٠) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: البصائر ٢/٣٦ و٦٧ و٨٥ و١١١ و١١٣ و١٣٢ و٢٢٢ و٥٤ و٢٣٦ و٥٠٤ و٣٣٤ و٧٤٤ و٨١٤ و٥٦٧ و٥٩٩ ، ٣/٤٣ و٦٥ و٥١٠ و٥٣٦ و ٥٣٩ ، ٤/٧ و١٩ و٦٩ و٨٠ و٨٥ و١٣٢ و١١٥ و١٣٣ و١٩٠ ، ٥/٨ و١٤ و١٦ و٢٠ و٣١ و

جمع الجمع:

يراد به ان تجمع الجموع التي هي أدنى العدد ، من ذلك ما جاء في (اللواء) الجمع الوية) وجمع الجمع (الويات) [١] . وجاء في (بصيرة في قول) : ((القول :كل لفظ مَذَل به اللسان ، تاماً كان أو ناقصاً ، والجمع: أقوال ، وجمع الجمع: أقاويل، قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴾ (الحاقة ٤٤))) [٢] .

وجاء في قوله ((والطريق : السبيل المطروق ، يؤنث ويذكر، والجمع : طُرُق، وأطرق ، وأطرِقاء، وأطرِقة، وجمع الجمع: طُرُقات)) [٣] .

ويجمع (الحين) على (احيان) وجمع الجمع: (احايين) [٤] .

وهناك ألفاظ أخرى تدل على الجمع لكنَّها ليست بجموع تكسير : منها :

اسم الجمع:

قيل : ((واسم الجمع قسمان قسم ليس له واحد من لفظه ك (قوم ورهط ونفر)، وقسم له واحد من لفظه وجاء على فَعْل نحو(صَحْب))) [٥] والخلاف في الثانية اذ هو جمع تكسير لا اسم جمع وقد سبق أن ذكرنا ذلك عن سيبويه والرضي . ولكن الفيروزآبادي يرى ان (صحب) جمع تكسير وان كان قليلاً عزيزاً .

ومن الألفاظ التي ذهب الفيروزآبادي إلى أنها (اسم جمع) القَفْل [٦] .والعوين [٧] وعَدْل ((اسم للجمع ك (تجر وشرب))) [٨] وعَدْل مصدر يستوي في الوصف به المفرد :المذكر والمؤنث والجمع. والغُزَّى (غَزِيٌّ) : اسم جمع قال تعالى : ﴿ أَوْ كَانُوا غُزًّى ﴾ (آل عمران ١٥٦) وهو جمع غاز [٩] .

١٥و٥٧و٦٩و٧٠و٨٥و٨٧و٩٠و١٠١و١١٦و١٢٦و١٢٧و١٣١و١٣٥و١٥٦ و١٦٦ و١٦٧و١٦٩و١٧٥ و١٩٢و٢٠١و٢٢٢و٢٢٩و٢٣٤و٢٧٢و٢٧٣و٣٧٨و٣٧٦و٤٠٧و٤٠٩و٤١٢.

(١) ينظر: البصائر ٤/ ٤٧٣. (٢) البصائر ٤/ ٣٠٣.

(٣) البصائر ٣/ ٥٠٤.

(٤) البصائر ٢/ ٥١١. وينظر: ٣/ ٥٠٧، ٤/ ٣١ و٧٣و٧٨و٨٠و٨٩و٩٩و١٨٦و٢١٥ و٢٧٠و٤٧٢. (٥) ارتشاف الضرب ١/ ٢١٩. وينظر: شرح الحدود النحوية ٥٦.

(٦) ينظر: البصائر ٤/ ٢٨٧. (٧) ينظر: البصائر ٤/ ١١٣.

(٨) البصائر ٤/ ٢٨. (٩) ينظر: البصائر ٤/ ١٣٢.

ويشير الفيروزآبادي في بعض النصوص الأُخرى الى أن هذه اللفظة لا واحد لهـا من لفظها • فـ ((الغنم لا واحد له من لفظهِ))[١] ، والرهط : العصابة وقوم الرجـل وقبيلته ((ولا واحد له من لفظـه)) [٢] • والعَرْم : جمع عَرِم ((أو هو جمع بلا واحد))[٣] والعَرْمة سـد يعترض به الوادي •

اسم الجنـس :

قال الرضي :((اعلم ان الاسم الذى يقع على القليل والكثير بلفظ المفرد ، فـاذا قصد التصحيح على المفرد جيء فيه بالتاء ، يسمى باسم الجنس ••• وهو عند الكوفيين جمع مكسر واحـد ه ذو التـاء)) [٤] •

أما ذكره الفيروزآبادي من قوله في (بصيرة في السماء) : ((ويستعمل للواحـد والجمع كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ (سورة البقرة ٢٩) وقد يقال فـي جمعها : سماوات ••• وقال : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ (الانشقاق ١) ووجه ذلك أنـه كالنخل والشجر • وما يجرى مجراهما من أسماء الاجناس التي تذكر وتؤنث ، ويخبر عنـه بلفظ الواحـد والجمع))[٥] •

وقال في (المعز) : ((وهي اسم جنس ، وكذلك المعيز ، والا معوز ، والمعـزى ••• وقيل : واحد المَعِز : ماعز ك (صحب) في جمع (صاحب) • وقيل : الماعز الذكـر والانثى ماعزة)) [٦] •

وتجدر الاشارة هنا الى ان الاخفش (ت ٢١٠ هـ) ذهب الى ان (فعل) مفـرده اسم فاعل هو جمع تكسير ، وعلى هذا يحتمل أن يكون (مَعْز) جمع تكسير لا اسم جنـس لوجود المفرد وهو (ماعز) • وان لم يكن (فَعْل) جمعاً قياسياً[٧] •

---

(١) البصائر ٤/ ١٥٠ •
(٢) البصائر ٣/ ١٠٠ •
(٣) البصائر ٤/ ٥٨ • وينظر : ٢/ ٧٤ و٧٦ ، ٤/ ١ و٣١ و٥٧ ، ٥/ ١٤٠ •
(٤) شرح الشافية ٢/ ١٩٣ـ١٩٤ • وينظر : شرح الحدود النحوية ٥٦ •
(٥) البصائر ٣/ ٢٦٢ـ ٢٦٣ •
(٦) البصائر ٤/ ٥١٣ •
(٧) ينظر : شرح الشافيـة ٢/ ٢٠٣ •

وجاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ (الزخرف ٣٧) : ((ويعني به طريق الحق، لأن اسم الجنس اذا أطلق يختص بما هو الحق . وعلى ذلك : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ (عبس ٢٠))) [١] . ((هذا، وانما يعرف هذا النوع بأن لا يقع ذو التاء منه ، ولا يكون من أبنية الجمع المذكورة ولا يفيد الا معنى الجمع واستدل سيبويه على أنها ليست بجمع بتذكيرها في الاغلب نحو : ركب مسوح ، وبمجيء التصغير على لفظها واما مالا يجيء من تركيبه لفظ يقع على المفرد ك (الغنم و الابل والخيل والنفر والرهط والقوم) فلا خلاف في انها اسم جنس وليست بجمع ... واكثر هذا النوع اي الذي لم يأت له من لفظه واحد مؤنث)) [٢] .

الجمع الذى يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع:

وردت في العربية الفاظ يستوى فيها المذكر والمؤنث والمفرد والجمع من نحو (رَسُول) كما في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ (التوبة ١٢٨) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء ١٦) قال الفيروزآبادي :((ولم يقل رُسُل لان (فَعُولا)، و(فعيلا) يستوى فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل عدو وصديق)) [٣] .

وجاء في (بصيرة في الرصد) :((وهو اسم للراصد والمرصود والراصد يكون والمرصود بن يستوي فيه الواحد والجمع. وقوله تعالى: ﴿ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾ (الجن ٢٧) يحتمل كل ذلك)) [٤] .

وكذلك (الضيف)وعلل الفيروزآبادي هذا بقوله : ((واصل (الضيف) مصدر، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم)) [٥] .

ومن الألفاظ التي يستوي فيها الواحد والجمع (البشر) [٦] و(الطاغوت) [٧]، وكذلك (الفلك) [٨] .

---

(١) البصائر ٣/١٨٦.
(٢) شرح الشافية ٢/٢٠٤.
(٣) البصائر ٣/٧٠.
(٤) البصائر ٣/٧٦.
(٥) البصائر ٣/٤٨٩.
(٦) ينظر: البصائر ٢/٢٠٣.
(٧) ينظر: البصائر ٣/٥٠٩.
(٨) ينظر: البصائر ٤/٢١٥.

وقد أورد الفيروزآبادي جملة من الألفاظ التي تسلك مسلكاً خاصاً في العربية فهي لا تجمع مثل : (الطَّرف) [١] ، ويعني العين ، و(أليمّ) [٢]، ويعني البحر ، و(الأبَد) [٣] ، وهو عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان .

فالطرف لا يجمع كما يقول الفيروزآبادي : ((لانه في الاصل مصدر، فيكون واحدا ويكون جماعة ... وقيل : اطراف ، ويرد ذلك قوله تعالى : ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرفِ ﴾ ، ولم يقل : الاطراف)) [٤] . أما (اليَمُّ) فلا يجمع لانه معرَّب عن السريانية واصله (يَمّا) [٥] . ويفهم من كلام الفيروزآبادي ان سبب عدم جمعه كونه معرباً عن السريانية واصله (يَمّا) . اما (الابد) فانه لا يثنى ، ولا يجمع: ((اذ لا يتصور حصول ابدٍ آخر يضم اليه ، فيثنى)) [٦] .

جموع القلة والكثرة :

وقد ورد في هذا الباب قول الفيروزآبادي في (الحجر) : ((جمعه في القلة أحجار، وفي الكثرة حِجار وحِجارة)) [٧] . وجاء في (الشهر) : ((وجمع القلة أشهر، والكثير شهور)) [٨] . وجمع (صاع ـ أصوع) : ((وان شئت ابدلت من الواو المضمومة همزة، وقد جمع في القلة وهو يذكر ويؤنث، ومن ذكره قال : أصواع مثل : باب وابواب ، ويجمع ايضا على صِيعان مثل (قاع وقيعان))) [٩] . واستشهد بقراءة ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صَاعَ المَلِكِ ﴾ [١٠] (يوسف ٧٢) . وبها قرأ ابو هريرة ومجاهد وأبو البرهسم .

ومنها ايضاً (اعمدة) وهو جمع قلة لـ (عمود) أما جمع الكثرة فـ (عُمُد) بضمتين و(عَمَد) بفتحتين ((وقرأ ابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿ في عمد ممددة ﴾ (الهمزة ٩) والباقون [١١] (في عَمَدٍ))) [١٢] .

---

(١) ينظر: البصائر ٣/٥٠١ .
(٢) ينظر: البصائر ٥/٣٩٤ .
(٣) ينظر: البصائر ٢/١٧٦ .
(٤) البصائر ٣/٥٠١ .
(٥) ينظر: البصائر ٥/٣٩٤ .
(٦) البصائر ٢/١٧٦ .
(٧) البصائر ٢/٤٣٦ .
(٨) البصائر ٣/٣٥٧ .
(٩) البصائر ٣/٤٥٣ـ٤٥٤ .
(١٠) ينظر: مختصر شواذ القراءات ٦٤ .
(١١) قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم: (في عَمَد) بفتحتين . وقرأ عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي : (في عمد) بضمتين . ينظر: السبعة ٦٩٧ . الكشف ٢/٣٨٩ .
(١٢) البصائر ٤/٩٨ .

ونقل عن ابن عرفة (ت ٧٤٩هـ) في قوله تعالى: ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (الرعد ٢) قوله: ((العَمَد جمع عِماد، قال: وليس في كلام العرب (فِعَال) يجمع على (فَعَلٍ) غير عِماد وعَمَد وإهاب وأهب)) (١).

وجاء في (النَّسر) أنسر جمع قلة، ونسور جمع كثرة (٢).

شواذّ الجمع:

جاء في شواذ الجمع من كلام الفيروزآبادي أنّ (رمضان) تجمع على (أرمض) والقياس (رمضانات) و(رمضانون) و(أرمضة) (٣). ووجه الشذوذ ان (أرمض) صالحة لان تكون جمعاً لـ (رمضاء ـ رمض) (٤).

وجاء في (هالك): ((والجمع هَلْكى وهُلّك، وهُلاك، وهوالك شاذ)) (٥). ويبدو ان وجه الشذوذ ان (هوالك) صالحة لأن تكون جمعاً لـ (هَلْكى) للواحدة.

ولا بد لنا من أن نعرّج على كلام الفيروزآبادي في (بصيرة في الجمل) الذي يرى ((ان جمعه (جِمال) و (أجْمال) و (جَمَلة) و (جَمائل) و (جامِل). والأخيرة يرى أنها من نوادر الجموع كالباقر لجماعة البقر وراعيها)) (٦).

المتشابه الجمعي:

من المواضع التي تستوقف الباحث في كتاب (البصائر)، ما وقف عنده الفيروزآبادي في المتشابه من الآي القرآني الذي يبرز فيه الجانب الصرفي. ويكاد يقتصر على ورود اللفظة في موضعين أو اكثر مرة بالافراد والأخرى بالجمع. وقد سعى الفيروزآبادي الى بيان مزية هذه اللفظة مفردة في هذا الموضع وجمعاً في الموضع الآخر مستعيناً في ذلك بدلالة الموضع الذي وردت فيه الآية والذي يكشف عنه السياق اللغوي وسياق الحال.

---

(١) البصائر ٤/ ٩٩.
(٢) ينظر: البصائر ٥/ ٤٦.
(٣) ينظر: البصائر ٣/ ٩٩.
(٤) الرمضاء: الحجارة الحامية من حر الشمس. الرمض: الشدة، ينظر: المصباح المنير ١/ ٢٦٦.
(٥) البصائر ٥/ ٣٣٨.
(٦) البصائر ٢/ ٣٩٥.

وقد جاء من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (العنكبوت ٣٧) بالأفراد وقال تعالى : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (هود ٩٤) بالجمع وعلل الفيروزآبادي ذلك بقوله : ((لأن الصيحة كانت من السماء، فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة ، فاتصل كل واحد بما هو لائق به)) (١).

ومنها مجيء (آية) بالمفرد و(آيات) بالجمع . فقد جاء في موضعين (٢) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ بالجمع وفي خمسة مواضع (٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ بالافراد . قال الفيروزآبادي :((اما الجمع فلموافقة قوله : ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ في الآيتين ، لتقع المطابقة في اللفظ والمعنى . وأما التوحيد فلتوحيد المدلول عليه ... ومن الخمس ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في موضعين ، وليس لهما نظير، وخُصَّتا بالفكر ، لان الاولى متصلة بقوله : ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (النحل ١١) وأكثرها للأكل ، وبه قوام البدن ، فيستدعي تفكيراً وتأملاً ، ليعرف به المنعِم عليه فيشكره والثانية متصلة بذكر النحل ، وفيها اعجوبة : من انقياد ها لأميرها ، واتخاذ ها البيوت على اشكال يعجز عنها الحاذق منّا ، ثم يتبعها الزهر والطلى (٤) من الاشجار، ثم خروج ذلك من بطونها ألعابا او وَنِيما (٥) ، فاقتضى ذلك فكراً بليغاً ، فختم في الآيتين بالتفكّر)) (٦).

وجاء قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون ١٩) بالجمع وزاد (ومنها) . وفي الزخرف قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف ٧٣) على التوحيد و(منها تأكلون) من غير واو . قال الفيروزآبادي : راعى في السورتين لفظ (الجنة) . وكانت في هذه (يعني : المؤمنون) ﴿ جَنَّاتٍ﴾ (٧) بالجمع فقال : (فواكه) بالجمع وفي الزخرف: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ (٨) بلفظ التوحيد ، وان كانت هذه جنة الخلد لكن راعى اللفظ فقال : ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾))(٩) . هذا من جهة ومن جهة اخرى فسان

---

(١) البصائر ١/ ٢١٣.
(٢) وهي : سورة النحل، ١٢، ٧٩ .
(٣) وهي : سورة النحل ١١، ١٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩ .
(٤) الطلى : الاعناق . مختار الصحاح ٣٩٧ .
(٥) الونيم : هو خرء الذباب.
(٦) البصائر ١/ ٢٨٠ـ ٢٨١ .
(٧) الآية ١٩ . (٨) الآية ٧٢ .
(٩) البصائر ١/ ٣٣٠ .

(الفاكهة) في معناها أوسع وأشمل من الفواكه لأنّ الفاكهة تطلق على الجنس وعلى الواحد والاثنين والكثير والأنواع فجمعت معنى الكثرة والتعدد والجنس [١] .

وجاء (الريح) بلفظ الواحد عبارة عن العذاب وكل موضع ذكر بلفظ الجمع (الرياح) فعبارة عن الرحمة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرسَلنَا عَلَيهِمْ رِيحاً صَرْصَراً ﴾ (القمر ١٩) وقوله : ﴿ الَّذِي يُرسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرَا بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ ﴾ (الأعراف ٥٧) الا في موضع واحد هو قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرسِلُ الرِّيَحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ﴾ (الروم ٤٨) ((فالأظهر فيه الرحمة، وقرئ بلفظ الجمع وهو أصح)) [٢] . فالفيروزآبادي اعتماداً على بقية المواضع يرى أنّ القراءة بالجمع في هذا الموضع هي الأصح .

وفي هذا السياق جاء (أياماً معدودات) و (أياماً معدودة) [٣] . و (الميزان) و (الموازين) [٤] .

---

(١) ينظر : التعبير القرآني ، محاضرات القاها الدكتور فاضل السامرائي ، على طلبة الدكتوراه مدونتي الخاصة .

(٢) البصائر ١٠٧/٣ . ويرى الأستاذ محمد علي النجار محقق البصائر أنّ " هذا حكم مبني على استقراء ناقص ، فقد جاء في الآية ٢٢ سورة يونس : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُم فِي الفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ والقراءات المتواترة لا تفاضل بينها في الصحة ، فكان خيراً له أن يعدل عن هذه النزعة التي تبع فيها الراغب " الهامش (٦) . وهناك بحث حول لفظتي الريح والرياح في القرآن الكريم . إلا أنّ البحث في الحقيقة لم يقتصر على ماورد في القرآن الكريم فقد اختلطت المادة بالحديث النبوي واقوال الصحابة . ينظر : المفهوم السياقي لكلمتي الريح و الرياح في القرآن الكريم ١٢٧ـ١٥٥ .

(٣) ينظر : البصائر ١٤٥/١

(٤) ينظر : البصائر ٢٠٧/٥

المبحث الرابع
معاني الأبنية

فَعَلَ وأَفْعَلَ :

من المباحث الصرفية التي استرعت اهتمام كثير من علماء العربية مجيء (فعل وأفعل) متفقين على معنى واحد . وكان الأصل ان يكون لكل بناء دلالته الخاصة المؤثرة في المعنى الأصلي للمادة عند صياغتها على وزنه . وتجلى الاهتمام بهذه الظاهرة بأن أفرد لها مؤلفات خاصة عرفت بـ(فعلت وافعلت) منها مؤلف لابي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) وللزجاج (ت ٣١١هـ)، كما أفرد في بعض المؤلفات الاخرى فصول لها[١] .

ويأتي اهتمام علماء العربية بهذه الظاهرة ((لما لها من صلة بظاهرتي التعدي واللزوم في العربية من جهة، ولانها أحد مظاهر اللهجات من جهة اخرى))[٢] .

ولا غرو أن ما ذكره الفيروزآبادي في بصائره لم يكن الا نزرا يسيرا من أمثلة هذه الظاهرة كيف لا ((ومن استقرى كتب اللغة هالته كثرة الافعال من (فعل وافعل) المتفقة المعنى بالنسبة الى المختلفة منها))[٣] .

وسنذكر بعضاً من هذا القليل الذي ذكره ليكون مصداقا على اهتمامه بهذه الظاهرة بوصفها جزءا من التراث اللغوي والصرفي الذي تتكامل به معرفة بصائر القرآن أما بقية المواضع التي استقرينا ها فسنكتفي بالاشارة اليها في الهامش . فمن أمثلة ذلك أن أتبع بمعنى : (قفا أثره) قال :((ويقال أتْبعه اذا لحِقه كقوله تعالى : ﴿ فأتبعوهم مشرقين ﴾ (الشعراء ٦٠))[٤] . ومنه ((بنّ بالمكان وأَبَنَّ أي اقام به))[٥] .و ((سجد البعير وأسجد : طأطأ رأسه لراكبه))[٦] . وجاء في بصيرة (السرى) الذي هو السير في الليل ((سرى بالليل وأسريتُ وسَرَيت به وأسريت به . قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ (الإسراء ١) أي ذهب به في سراة الأرض، وهي الواسعة من الأرض))[٧] . وقال أبوحاتم فيهما : ((ويقال : سريتُ بالقوم وأسريت بهم لغتان معروفتان))[٨] .

---

(١) ينظر: الكتاب ٢/٢٣٣، اصلاح المنطق ٢/٢٢٥، المخصص ١٤/١٦٦.
(٢) فعلت وافعلت: لأبي حاتم (التقديم).
(٣) المصدر السابق ٦٢.
(٤) البصائر ٢/١٠٠.
(٥) البصائر ٢/٢٧٦.
(٦) البصائر ٣/١٨٩.
(٧) البصائر ٣/٢١٩.
(٨) فعلت وافعلت ١٠٠.

وجاء في البصائر ايضاً قوله: ((وغمض عنه وأغمض : تساهل)) [١]. وجاء ايضا : ((لبّ بالمكان و ألبب به اذا قام به)) [٢] .ومنه ((وفى بالعهد وأوفى به : حفظه وتممه)) [٣] واخيرا قوله : ((وَهَن وأوهن دخل فيه)) [٤] يعني دخل فيه الوهن وهو الضعف.

وقد يحكم على أحد ها بالأفصح كما في قوله : ((غار وأغور :أتى الغور. والاول أفصح)) [٥] والغور: هو المنخفض من الارض . في حين خصَّ ابوحاتم دلالة (غار) بالذهاب الى غور تهامة ويعني هذا أن اللفظتين مختلفتان فيقول : ((يقال غار فلان اذا ذهب الى غور تهامة ، نحو: يغور وهو غائر، ولا يقال أغار في هذا المعنى ...)) [٦].

وقد يكون احد هما هو المشهور كما في (كسب واكسب) اذ نقل عن ثعلب (ت ٢٩١هـ) ((كل الناس يقولون : كسبك فلان خيرا ، الا ابن الأعرابي ، فانه يقول : اكسبك فلان خيرا)) [٧] بمعنى أن (كسب) عند ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) لا يتعدى الى مفعولين .

على أنَّ مادة البصائر تُظهِر مواضع أخرى كان لكل من (فعل وافعل) فيها دلالته الخاصة التي تفترق بها عن الثاني . من نحو أن شرقت الشمس بمعنى طلعت أما اشرقت الشمس فهو بمعنى أضاءت [٨] . و((سال الشيء يسيل : جرى وأساله : اجراه قال تعالى : ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطرِ﴾ (سبأ ١٢): أذبناه له)) [٩] . فالهمزة ههنا أفادت معنى التعدية عن المعنى الاول . ومما أفادت الهمزة احداث دلالة جديدة غير التعدي قوله في (قبر) : ((وقَبَره : جعله في القبر. وأقبره : جعل له مكاناً يقبر فيه ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (عبس ٢١))) [١٠] .

---

(١) البصائر ٤/ ١٥٠.
(٢) البصائر ٤/ ٤١٣.
(٣) البصائر ٥/ ٢٤٥.
(٤) البصائر ٥/ ٢٨٧.
(٥) البصائر ٤/ ١٥٤.
(٦) فعلت وأفعلت ١١٠.
(٧) البصائر ٤/ ٣٤٦. وينظر المواضع الاتية: ٢/ ٦٢ و٦٣ و١٤٠ و١٤٤ و٣٥٣ و٣٨٥ و ٤٢٤ و٤٣٨ و٤٥٣ و٤٥٨ و٤٨٧ و٥٥٦ و٥٧١ و٦٠٤ و٦٠٧، ٣/ ٣٩ و٤١ و٧٤ و٧٦ و٨٧ و١٠١ و ١٣٠ و١٢٣ و١٢٨ و٢١٩ و٢٢٢ و٤٥٢ و ٥ و٣١٠ و٣١٩ و٣٤١ و٣٦١ و٣٦٢ و٤١٥ و٤٢٣ و٤٤٨ ، ٤/ ٥٠ و٧٧ و٣٠٠ و٣٨٩ و٤٨٧ و٥١١، ٥/ ٢٣١ و٣١٣ و ٣٥٩. وغيرها كثير.
(٨) ينظر: البصائر ٣/ ٣١١ . وينظر: شرح الفصيح في اللغة ١٣٤.
(٩) البصائر ٣/ ٢٨٢.
(١٠) البصائر ٤/ ٢٢٦.

وكذلك ما جاء من (قتله وأقتله) فـ ((قتله : ازال روحه عن جسده ... وأقتله : عرّضه للقتل . كما قال مالك بن نويرة لامرأته الحسناء حين رآها خالد بن الوليد : اقتلتني يا امرأة، أي سيقتلني من أجلك)) (١) .

((ووجِد الرجل ـ بالكسر ـ ووَجُد ـ بالضم ـ أي بقي وحده ، وأوجدته بروميتي ، أي : لم أر غيره))(٢) فالهمزة للتعدية كما هي في (سال وأسال) .

وجاء في (بصيرة في البلد) : ((وأبلد : صار ذا بلد مثل (أنجد) و(أتهم)، وبَلَد : لزم البلد)) (٣) . ومنه قوله :((دلوت الدلو : ارسلتها في البئر، وأدليتها اخرجتها . قال تعالى : ﴿ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾ (يوسف ١٩) واستعير للتوصل الى الشيء ...)) (٤) .

وتأتي الهمزة في (أفعل) في بعض الأمثلة لتعطي إزالة الشيء من ذلك ماذكره الفيروزآبادي بقوله : ((وأعجم الكلام : ذهب به الى العجمة، والكتاب : نقطه فأزال عجمته ، كأشكيته : أزلت شكايته)) (٥) .

وتدل ايضا في بعض الامثلة على افتعال الشيء عن قصد في قبالة وقوع الشيء من دون قصد من نحو: هَجَر وأهجر بقوله : ((وأهجر فلان : اذا اتى بِهُجْرٍ من الكلام عن قصد . وهَجَر المريض: اذا اتى بذلك من غير قصد، قال تعالى : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ ﴾ (المؤمنون ٦٧) وقرئ تُهْجِرون)) (٦) فتَهْجُرُون من (هَجَر) ففعلهم من غير قصد . وتُهْجِرون من (أهجر) وهو فعل يدل على قصد سابق .

فَعَّلَ وأفْعَلَ :

من المعاني التي جاءت عليها صيغة (فَعَّل) الصيرورة وهو الدخول الى حال لم يكن فيها مثل قولهم :((نصّره : جعله نصرانيا)) (٧) . وقد تجيء (أفعل) ايضا على هذا المعنى وذلك قول الفيروزآبادي : ((وأكفره وكفّره : نسبه الى الكفر))(٨) . وجاء

---

(١) البصائر ٤/٢٣٨ . (٢) البصائر ٥/١٧٠ .
(٣) البصائر ٢/٢٧٣ .
(٤) البصائر ٢/٦٠٥ . وينظر على سبيل المثال لا الحصر : ٢/٤٩ و١٦١ و٢٦٢ و٢٩٧ و٣٦٨ و٣٨٩ و٤١٠ و٤٨٣ و٤٩١ و٥١١ و٥٨٧ ، ٣/٧٧ و٨٨ و٩٢ و٢٢٥ و٣٠١ و ٤٣٤ و٤٨١ و٤٩٩ ، ٥/٩ وغيرها .
(٥) البصائر ٤/٢٥ . وينظر: شرح الفصيح في اللغة ١٤٤ .
(٦) البصائر ٥/٣٠٥ . (٧) البصائر ٥/٧٠ .
(٨) البصائر ٤/٣٦١ .

((أكذبته : وجدته كاذباً ... وكذّبته : نسبته الى الكذب صادقاً كان أو كاذباً . وما جاء في القرآن في تكذيب الصادق نحو قوله : ﴿ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ (المؤمنون ٣٩) ، وقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ (١) (الأنعام ٣٣) قرئ بالتخفيف والتشديد ، ومعناه لا يجدونك كاذباً ، ولا يستطيعون أن يثبتوا كذبك))(٢) . ومنه ايضاً ((وسَّق متاعه : ((جعله وسوقا (٣))) (٤) .

وجاء في (الخبت) : ((وهو المطمئن من الارض . وأخبت الرجل : قصد الخبت أو نزله نحو أنجد واسهل ، ثم استعمل الاخبات استعمال اللين والتواضع))(٥) . و (أفعل) دخل في تلك الحال . وقد جاء على هذا (افتعل) في قوله : ((واذّبح على (افتعل) اتّخذ ذبيحاً))(٦) . وجاء (فعّل) بمعنى إزالة الشيء في قوله : ((والتحريض على القتال : الحثّ والاحماء عليه ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ (الأنفال ٦٥) أي حثّهم عليه بالتزيين وتسهيل الخطب فيه ، كأنه في الاصل ازالة الحرض (٧) ، نحو : قذّيته اى أزلت عنه القذى))(٨) .

وكان سيبويه قد عقد باباً لبيان " افتراق فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ في الفعل للمعنى " قال فيه : ((وتقول : فزع وافزعته ، وخاف واخفته ، وجال وأجلته ، وجاء وأجأته ، فاكثر ما يكون على (فَعِل) اذا اردت أن غيره ادخله في ذلك يبنى الفعل منه على (أفعلت)))(٩) .

وذكر في هذا الباب ايضا اشتراك (فعّلت) بهذا المعنى مع (أفعلت) اذ قال : ((وقد يجيء الشيء على (فعّلت) فيشرك (أفعلت) ، كما انهما قد يشتركان ، في غير هذا ، وذلك قولك : فرح وفرّحته ، وان شئت قلت افرحته ، وغرِم وغرّمته ، وأغرمته إن شئت كما تقول : فزّعته وافزعته)) (١٠)

---

(١) قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة وابن عامر بالتشديد ، وقرأ نافع والكسائي بالتخفيف . ينظر : كتاب السبعة ٢٥٧ . (٢) البصائر ٤/ ٣٣٩ .

(٣) في العين : " الوسق : ضمّك الشيء إلى الشيء بعضهما الى بعض" ٥/ ١٩١ .

(٤) البصائر ٥/ ٢١٥ . (٥) البصائر ٢/ ٥٢١ .

(٦) البصائر ٣/ ٦ .

(٧) (رجل حَرِض) بفتحتين اى فاسد مريض يُحدث في ثيابه . ينظر : مختار الصحاح ١٣٠ .

(٨) البصائر ٢/ ٤٥٢ . وينظر : ٣/ ١٧ ، ٤/ ١٣٠ و ١٣١ .

(٩) الكتاب ٢/ ٢٣٣ . (١٠) المصدر السابق .

استَفْعَلَ :

من المعروف أن هذه الصيغة تدل على طلب الشيء . وقد كان سيبويه وضع لها باباً خاصاً سماه (هذا باب استفعلت) . وذكر من معاني (استفعلت) دلالتها على الطلب بقوله :((وتقول : استعطيت أي : طلبتُ العطية، واستعتبته أي : طلبت اليه العتبى ، ومثل ذلك استفهمت واستخبرت أي : طلبت اليه أن يخبرني)) [١] . وذكر الفيروزآبادي هذا المعنى لهذا البناء في عدة أمثلة اورد ها في (البصائر) متفرقة منها قوله : ((والاستئجار : طلب الشيء بأجرة، ثم يعبر به عن تناوله بالأجرة . ﴿ يَا أَبَتِ ٱسْتَـٔاجِرْهُ﴾ (القصص ٢٦))) [٢] .

((والحُضْر بالضم العدو وخص بما يُحضر به الفرس اذا طُلب جريه . يقال : أحضر الفرس واستحضرته : طلبت ما عنده من الحضر)) [٣] أي : العدو . واستدامه طلب دوامه [٤] . و ((استنصره على عَدُوِّه : سأله أن ينصره عليه)) [٥] .

وجاء في (وقف) : ((واستوقفه : سأله الوقوف . ويقال : امرؤ القيس أول من استوقف الراكب على رسم الدار بـ (قفا نبكِ))) [٦] . ((واستوفقت الله : سألته التوفيق)) [٧] .

ومن معاني هذه الصيغة ايضاً ما ذكره سيبويه [٨] من أنها تدل على تحول من حال الى حال من نحو: استوق الجمل ، واستتيست الشاة . وذكر الفيروزآبادي منها قولهم : ((استفيل الجمل : صار كالفيل)) [٩] . ((واستحطب العنب: حان ان يقطع حِطابه)) [١٠] .

---

(١) الكتاب ٢/ ٢٣٩ـ٢٤٠ .
(٢) البصائر ٢/ ١٣٢ .
(٣) البصائر ٢/ ٤٧٤ـ٤٧٥ .
(٤) ينظر: البصائر ٢/ ٦١٤ .
(٥) البصائر ٥/ ٦٩ .
(٦) البصائر ٥/ ٢٥٥ .
(٧) البصائر ٥/ ٢٤٤ .
(٨) ينظر: الكتاب ٢/ ٢٤٠ .
(٩) البصائر ٤/ ٢٢٢ .
(١٠) البصائر ٢/ ٤٧٦ .

التخفيف والتشديد :

وهو من جوانب البحث الصرفي ذات الاهمية الواضحة في كتاب (البصائر) لارتباطها بالبحث عن الدلالة القرآنية للفظة ، اذ تظهر نصوص هذا الجانب على صورة ثنائيات مخففة ومشددة تعطي التشديد ميزة دلالية . وهي لا تقتصر على المبالغة أو التكثير بل يتجاوز الى اعطاء معنى جديد والملاحظ ههنا أن الامثلة تركزت على النص القرآني ولعل معظم ما نورده ههنا يعد من القراءات القرآنية . على اننا نلاحظ أن الفيروزآبادي – في بعض النصوص – لم يبيّن الفرق الدلالي بين الصيغتين وترك الأمر هكذا مما يرجح معه أنه لا اختلاف في المعنى بين التشديد والتخفيف، من نحو ما جاء عنده في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر ٢١) قال : ((فقرئ بالتشديد والتخفيف)) (١) . وقرأ أهل البصرة (٢) : ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ وُقِّتَتْ ﴾ (٣) (المرسلات ١١) ، وقرأ ابو جعفر بالواو وتخفيف القاف وقرأ الباقون بالألف وتشديد القاف . قال الفيروزآبادي ((وهما لغتان فصيحتان ، والعرب تعاقب بين الواو والهمزة ، كقولهم : وكّدت وأكّدت ووخت وأرخت . ومعناهما : جُمِعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم)) (٤) . ((وقرأ علي بن ابي طالب – رضي الله عنه – وعمرو بن ميمون وقتادة وزيد بن علي وابن ابي ليلى وابن أبي عبلة وابو البرهسم: ﴿ فَوَسَّطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ (٥) (العاديات٥) بالتشديد والباقون بالتخفيف)) (٦) . ولم يشر الفيروزآبادي الى الفرق في دلالة القراءتين ، وكذلك الأمر في الآية ﴿ بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ (٧) (المائدة ٨٩) فانها قرئت عقدتم (٨) .

ولقد تعورف عند اللغويين مجيء (فعلت) للدلالة على التشديد والمبالغة . ومثله في عدم اختلاف المعنى ما جاء من (أنضر ونضّر) فقد قال الفيروزآبادي : ((ونضّر الله وجهه ،

---

(١) البصائر ١/ ٨١ .

(٢) يريد بهم ابا عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي واصحابهم (حفص والسوسي ، ورويس وروح) .

(٣) قرأ ابو عمرو وحده : (وُقِّتت) بواو . وقرأ الباقون : (أقتت) بألف . ينظر: السبعة ٦٦٦ ، الكشف ٢/ ٣٥٧ .

(٤) البصائر ٥/ ٢٤٧ .

(٥) ينظر: مختصر في شواذ القراءات ١٧٨ .

(٦) البصائر ٥/ ٢١١ .

(٧) قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو (بِمَا عَقَّدتُّمْ) بغير الف مشددة القاف وكذلك روى حفص عن عاصم . وقرأ عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي : (بِمَا عَقَدتُّمْ) خفيفة بغير الف . ينظر: السبعة ٢٤٧ .

(٨) ينظر: البصائر ٤/ ٨٣ .

بالتشديد ، وأنضره . واذا قلت نضّر الله امرأً ، تعني : نعّمه ، وفي الحديث " نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها "))[١] . فظاهر كلامه أن الصيغتين تحملان المعنى نفسه في اطار الدعاء .

وتدور المعاني ههنا في جانبين : (١) المبالغة في المعنى الأول (٢) احداث معنى جديد .

أمثلة المبالغة :

قال الفيروزآبادي : ((ومنه قراءة علي وابن عباس (رضي الله عنهم) وأبي جعفر : ﴿ لنحَرِّقَنَّهُ ﴾[٢] (سورة طه ٩٧) والنون مشددة . وعن أبي جعفر (لنُحرِّقَنْه) والنون مخففة . وأحرقه بالنار وحرّقه يشدد للكثرة ، وقرئ (لنُحْرِّقَنَّهُ)))[٣] ((وصلب اللصوص وصلّبهم شدد للكثرة ، قال تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخلِ ﴾ (سورة طه))[٤] . ولا يوضح الفيروزآبادي معنى الكثرة ههنا فهل يريد به تكرار الفعل اكثر من مرة أو أنّ الفعل نفسه أتي بأشد حالاته . وقد يضيف في بعض الامثلة معنى المبالغة كما في قوله :((ونَصَّبت الخيل آذانها ، شدِّد للكثرة أو المبالغة))[٥] . وقد يقتصر على معنى المبالغة كما في قوله :((ونضّد المتاع تنضيداً ، شدد للمبالغة))[٦] . وكذلك التشديد في (نكّسه) من قراءة عاصم وحمزة لقوله تعالى : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرهُ نُنَكِّسْهُ في ٱلخَلْقِ ﴾[٧] (سورة يس ٦٨) فالتشديد للمبالغة[٨] . ((إن المبالغة تفيد التنصيص على كثرة المعنى كمّا أو كيفاً))[٩] كما يرى الصبّان (ت ١٢٠٦هـ) في حاشيته .

---

(١) البصائر ٥/٧٦ .

(٢) قرأ أبو جعفر وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (لنُحْرِقَنْه) بالتسكين وقرأ الكلبي والحسن (لنحرِقنَّه) بكسر الراء وتشديد النون . ينظر: مختصر في شواذ القراءات ٨٩ .

(٣) البصائر ٢/٤٥٣ .

(٤) البصائر ٣/٤٣٠ .

(٥) البصائر ٥/٦١ .

(٦) البصائر ٥/٧٥ .

(٧) قرأ عاصم وحمزة بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف، وتشديدها ، وقرأ الباقون بفتح النون الأولى ، واسكان الثانية، وضم الكاف مخففاً . ينظر: الكشف عن وجوه القراءات ٢/٢٢٠ .

(٨) ينظر: البصائر ٥/ ١٢٢ .

(٩) حاشية الصبان ٢/٢٩٦ .

ولكن استعمال الفيروزآبادي للكثرة والمبالغة لا يدل على اختلاف المعنيين . فمن ثم فإن التشديد والتخفيف في مثل هذه الأمثلة يمكن النظر اليه على أنه فرق دلالي في المثالين في درجات المعنى ، فالتشديد يشير الى قمة المعنى الذي تعنيه اللفظة على حين يشير التخفيف الى أدناه . وبهذا فان التشديد يعد من الناحية الصرفية عنصرا صرفيا مستقلا يمتلك قيمة دلالية يرتبط ظهورها بموقعها من الكلمة . فالكلمات المشددة العين (حرّقته ، وصلّبهم، ونضّب الخيل آذانها ، ونضّد المتاع ونكّسه) تُظهر في المقابل حالة التخفيف فرقاً دلالياً يدل على ما اصطلح عليه بالكثرة أو المبالغة .

وجاء التشديد في أمثلة أخرى ذكرها الفيروزآبادي ليبين تبايناً دلالياً بين الصيغتين ليس هو التوسع في المعنى الاول، كما هو الحال عليه في الأمثلة المذكورة آنفا . وتكاد الامثلة في هذا الجانب تقتصر على امثلة من القراءات القرآنية . ويقدم لنا الفيروزآبادي دلالة الصيغتين وهو يريد أن يقدم لنا مادة ذات أهمية واضحة في بيان معاني القراءات القرآنية تستحق التوقف وامعان نظر .

ومما جاء في هذا الجانب قوله تعالى : ﴿ سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ (الحجر ١٥) قال الفيروزآبادي : ((أي حبست عن النظر وحُيّرت، وقال ابو عمرو بن العلاء : معناها غُطّيت وغشيت . وقرأ الحسن البصري (سُكِرت) بالتخفيف أي : سحِرت)) (١) . والفرق بيّن بين الدلالتين وان لمحنا شيئاً من الارتباط بينهما أو يمكن ان يكون المعنى الثاني جزءا من المعنى الاول .

وجاء في (عذر) قوله : ((والمعذِّر :من يظن أن له عذراً ولا عذر له ، قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ (٢) (التوبة ٩٠)، وقرئ (المُعْذِرون) أي الذين يأتون بالعذر . وقال ابن عباس: رحم الله المُعْذِرين ولعن الله المُعَذِّرين)) (٣) .

وتباين المعنيين واضح فقد ارتبطت صيغة التشديد بطائفة من الأعراب ممن لم يقوَ الايمان في قلوبهم فهم يحتالون بالاعذار حتى لا يخرجوا للحرب مع المسلمين على حين

---

(١) البصائر ٣/٢٣٥ .

(٢) قرأ قتادة : (المُعَذَّرون) بفتح الذال والتشديد . وقرأ السدي (المُعْذَرون) بفتح الذال والتخفيف . وقرأ ابن ابي ليلى (المعاذرون) . وقرأ ابن عباس (المُعْذِرون) وكان يسب المعذرين . ينظر: مختصر في شواذ القراءات ٥٤ .

(٣) البصائر ٤/٣٦ .

ارتبطت صيغة التخفيف بمن وقر الايمان في قلبه وكان صاحب عذرٍ في عدم استطاعته الخروج للحرب. ولهذا استحق الأخير الدعاء بالرحمة له من حبر الامة (عبد الله بن عباس) (ت ٦٨هـ) رضي الله عنه. واستحق الأول اللعنة منه.

ومن هذا ايضاً قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ (١) (النور ١) ((فالفرض ههنا هو: وجوب العمل بها، وقرئ بالتشديد، أي جعلنا فيها فريضة بعد فريضة، وقيل: فصّلناها وبيّناها)) (٢). وجاء في (متع): ((وقال أبو زيد: أمتعت بالشيء أي تمتّعت به، وقوله تعالى: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً﴾ (٣) (سورة البقرة ١٢٦) بالتخفيف وهي قراءة ابن عامر، أي فأؤخّره)) (٤).

وقال الفيروزآبادي: ((وقرأ الكسائي: ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ﴾ (٥) (التحريم ٢) مخففة أي جازى حفصة ببعض ما فعلت)) (٦) وهي في المصحف مشددة، عرّف، بمعنى: أعلم. وذكر الفيروزآبادي ذلك في (القاموس المحيط) وزاد في معنى ماقرأ به الكسائي (ت ١٨٩هـ) من التخفيف قوله: ((أو معناه أقرّ ببعضه وأعرض عن بعض...)) (٧).

إن النظر الى هذه الأمثلة يؤكد ما سبق من كون التشديد عنصراً صرفياً مستقلاً يؤدي الى إحداث دلالة جديدة للكلمة وهو بهذا يسلك كحرف من الكلمة، ومن المعروف أنّ الحروف هي اللبنات الاولى التي تحدد المدلول. ومن هنا فإن الفيروزآبادي عبّر عن هذا أحسن تعبير عندما قال: ((والتشديد في التعدي، وكان كحرف من الفعل)) (٨)، فالتشديد يعد حرفاً آخر يضاف الى الفعل ويكتسب به الاخير دلالة اخرى جديدة او قد يبقى على حاله الاولى أو تتطور دلالته الى المبالغة والتكثير فهو في ذلك كالحروف الزوائد.

---

(١) قرأ ابن كثير وابوعمرو: (وفرضناها) بالتشديد. وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: (وفرضناها) بالتخفيف. ينظر: السبعة ٤٥٢، الكشف ٢/١٣٣.

(٢) البصائر ٤/١٨٢.

(٣) قرأ ابن عامر وحده: (فأمتعه) خفيفة من (أمتَعْت). وقرأ الباقون: (فأمتّعه) مشددة التاء من (متّعت). ينظر: السبعة ١٧٠. (٤) البصائر ٤/٤٧٨.

(٥) قرأ الكسائي وحده: (عَرَف) خفيفة، وقرأ الباقون: (عرّف) مشددة. ينظر: السبعة في القراءات ٦٤٠، الكشف عن وجوه القراءات ٢/٣٢٥.

(٦) البصائر ٤/٤٧. وينظر: ١/٨١، ٣/١٣٠-١٣١ و٤٧٨ و٤٩٩، ٤/٣٤٤ و٣٣٩، ٥/١٨٧-١٨٨ و٢٥٠. (٧) القاموس المحيط، مادة (عرف).

(٨) البصائر ١/١٥١.

المبحث الخامس

المشتقات وأنواعها

المشتقات :

يرد ذكر المشتقات في كتاب (البصائر) بوصفها جزءاً من تصريفات المادة اللغوية منها ، وتظهر تصريفاتها بصورة تذكرنا بطريقة أهل المعاجم في إيراد المادة ومشتقاتها ، ولما كان الأمر هكذا فان ذكرها لم يكن إلا من باب تكامل المعرفة اللغوية التي رآها الفيروز ابادى للمطّلع على بصائر القرآن الكريم ، وقد ذكرنا هذه العلة في اكثر من موضع لا سيما مواضع هذا الفصل .

زوّدنا الفيروز آبادي بطائفة كبيرة من المشتقات لعلها تفوق الحصر اذ انه ما إن يذكر المادة في البصيرة حتى يورد مايكاد يكون جميع تصريفاتها التي تستعمل في اللغة مع الاشارة الى خصوصية بعض التصاريف بكونها مما ورد في القرآن الكريم فيخصصها بذكر آياتها وذكر بعض الشواهد النثرية او الشعرية .

ووجدت صعوبة في فرز المادة الخاصة بكل مشتق ، وذلك لأن الفيروز ابادى عند الى ذكر تصريفات المادة متتابعة الواحد بعد الاخر على ما عليه الطريقة المعجمية عند ذكرها تصريفات المادة ، وهو (أعني : فرز المادة) ماسيؤدي الى تفكيك النصوص الى مجرد الفاظ مفردة مع كثير من التكرار الذي قد يملّ فضلاً على انه لا يوجد في افرادها تلك الفائدة المرجوة من ذلك ومن ثم ساكتفي بذكر طائفة من النصوص والاشارة الى المشتقات التي وردت فيها، والتعليق عليها بما يناسب .

اسم الفاعـــــل : (*)

جاء في (بصيرة في الخون) : ((وهو أنّ يؤتمن الانسان فلا ينصح ، خانه خونا وخيانة ومخانة ، واختانه ، فهو خائن وخائنة وخوّون ، وخوّان والجمع : خانة وخونـــــة وخوّان ... وقوله : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ (المائدة ١٣) أي على جماعة خائنة وقيل : على رجل خائن ، فانه يقال : رجل خائن وخائنة كـ (داهية) و (راوية) . وقيل خائنة موضوعة موضع المصدر ، نحو قم قائما)).[1] وهكذا نجد الفيروز آبادي يذكر الفعل ويذكر مصادره ثم يذكر بعض المشتقات ، كاسم الفاعل (خائن ، خائنة)والصفة المشبهة

(*) ينظر في قياس صوغ المصادر الآتية : الكافية في النحو ٧٤ ، أوضح المسالك ٣/٢١٦، شرح ابن عقيل ٣/١٣٤ ، شذا العرف ٧٤ ، عمدة الصرف ٧١ .

(١) البصائر ٢/٥٨٢ .

(خوّون) والمبالغة (خوّان) ومايجري لها من الجموع (يعني : خانة وخونه وخُوّان) .

ولا يتجاوز هذا الوضع حتى يذكر بعض ماجاء من التنزيل فيها . ومنها يستطرد الى تبني رأي من يرى أن التاء في (خائنة) لاتدل على تأنيث اسم الفاعل بل هي تاء المبالغة ، كما هي في (داهية وراوية) . ويذكر رأياً آخر في اسم الفاعل في الآية المباركة وهو ان يكون موضوعا موضع المصدر كانه قال : ولا تزال تطلع على خيانةٍ منهم .

وجاء في (الثقف) : ((ثَقِف ـ يثقَف ك (كَرُمَ) ، وك (فرِح ـ يَفْرَح) ثَقْفاً وثَقَفا وثقافة . صار حاذقا خفيفا فطنا ، فهو ثِقِف وثَقِف ، وثَقُف وثقيف ، وثِقِّيف ك (حِبِر وحذِر وحذُر وعزير وسِكِّير ... ورمح مثقَّف مُقوم ..))(١)

ذكر الفيروز آبادي أمثلة ستة مشتقات لمادة (ثقف) منها أربعة للصفة المشبهة باسم الفاعل وهي : ثِقْف وثَقِف وثَقُف وثقيف . ثم ذكر صيغة المبالغة (ثِقِّيف) ولا يفوته أنْ يعزز بوضوح هذه الصياغة بأنْ يذكر الأمثلة المشابهة الأكثر شيوعاً في الاستعمال . ثم يأتي الى ذكر استعمال بناء آخر من المشتقات وهو قوله (مثقَّف) وهو اسم المفعول من الرباعي (ثقَّف) .

ومثل ذلك (اسم الفاعل) قوله في يدع : ((وأيدع الشر ايداعا فهو مودع وهي مودعة)) .(٢) . فاسم الفاعل (مودع) من الرباعي (ايدع) واذا اريد التانيث قيل : مُوَدِعَة . ومن اسماء الفاعلين التي ذكرها الفيروز آبادي قوله : ((جهل عليه : اظهر الجهل كتجاهل وهو جاهل))(٣) وفي (المطلَّق) اسم الفاعل من طلَّق : وهي طالِق : من طُلَّق وطالِقة من طوالق .(٤) ويقال : انا ناعِس(٥) .

وأنعل فهو ناعِل ومنتعل ،(٦) وهو اسم فاعل من (انتعل) . وذكر من المعتلة : غاوٍ ،(٧) وقاضٍ(٨) من غَوِي وقضا .

---

(١) البصائر ٢/٣٤٧ .
(٢) البصائر ٥/٤١٢ .
(٣) البصائر ٢/٤٠٥ .
(٤) ينظر: البصائر ٣/٥١٤ .
(٥) ينظر : البصائر ٥/٨٥ .
(٦) ينظر: البصائر ٥/٨٧ .
(٧) ينظر : البصائر ٤/١٥٥ .
(٨) ينظر : البصائر ٤/٢٧٤ .

صيـــغ المبالغـــــة (*) :

ذكر الفيروز آبادي في بصائره طائفة من الالفاظ التي تدل على معنى المبالغـــــة وجاء في بعض النصوص أنّ المبالغة تقسم على قسمين: احدهما : المبالغة في الأفعال والثاني في الأسماء. وقد عُني بما ورد من أبنية الأفعال واشتهر من نحو قوله تعالى : ﴿ أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾ (الأحزاب ٦١) ، ﴿ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ (ابراهيم ٦) ، ـ ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً ﴾ (الأعراف ١٦٨) ، ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ (الفرقان ٣٢) ، ﴿ وَكُـــلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ (الإسراء ١٢) ، ﴿ وَكُلّاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً ﴾ (الفرقان ٣٩) ، ﴿ قَدَّرُوهَـــا تَقْدِيراً ﴾ (الانسان ١٦) وغيرها من الأفعال التي جاءت في المصحف مشددة العين[1] في مقابل ماورد منها من غير المشهور .

أما المبالغة في الأسماء فذكر لها طائفة من الآي التي ورد فيها من أبنية المبالغة[2] وهي (فعّال ، وفعّول ، وفعّيل) من نحو قوله تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (هود ١٠٧) ـ (البروج ١٦) ، ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ (سورة طه ٨٢) ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ـ (فصلت ٤٦) ، ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ (الحشر ٢٣) ، ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ (ســـورة طه ١١١) ، ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ (النساء ٣٤) ، ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ (يوسف ٤٦) .

وجاء على (فِعِّيل) : ((الصِّرِّيخ ك (سِكِّيت) كثير الصرع لاقرانه))[3] . وجاء في (الفخر) وهو : ((المباهاة بالاشياء الخارجية عن الانسان ، رجل فاخر وفخور وفِخِّير ك (سكيت))[4] . ويوصف رجل بالفسق فيقال : ((رجل فسق وفِسِّيق : دائم الفسق))[5] فجاء على (فعـــل وفِعِّيل) بمعنى واحد . وجاء ((رجل خُرجة وُلجة ك (هُمَزة) : كثير الخروج والولوج))[6] . فكانت

(*) ينظر في قياس اوزانه المصادر الآتية : الكافية في النحو ٧٥ ، أوضح المسالك ٣/٢١٩ شرح ابن عقيل ٣/١١١ـ١١٥ ، هذا العرف ٧٤ ، أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٩ ٢٦ .

(١) ينظر : البصائر ١/٧٢ .
(٢) ينظر : البصائر ١/٧٢ .
(٣) البصائر ٣/٤١٢ .
(٤) البصائر ٤/٧٦ ١ .
(٥) البصائر ٤/١٩٢ .
(٦) البصائر ٥/٢٧٧ .

صيغة (فِعِّيل) تدل على معنى دوام الشيء وكثرة صدوره عن الموصوف به . ومثله (فُعَلَـــة) ومما جاء على (فُعَلة) ويراد به المبالغة قوله : ((واللُّعْنة ـ بالضم ـ من يلعنهُ الناس ، وكـ (همزة) (يعني : لعنة) : من يلعنهم كثيرا)) .(١)

وتأتي الهاء ملحقة بالافعال وتكون للمبالغة قال الفيروزابادى : ((ورجل وهَّـــاب ووهَّابة : كثير الهبة لاموله ، والهاء للمبالغة)) .(٢) ((ورجل عيّابة : اى يعيب الناس كثيراً ، والهاء للمبالغة)) .(٣) وكذلك قوله : ((ورجل نسّابه : عالم بالانساب والهـــاء للمبالغة في المدح كأنهم يريدون به ذاهبةً او نهايةً او غايـــة))(٤) وجاء للمبالغة على (مُفَعِّل) نحو : رجل مُشحِّم أي : كثير الشحم ، أما شَحِمٌ : فهو محبٌّ للشحم ، والشحيـــم (وهو فَعيل) : كثر الشحم على بدنه .(٥) وجاء في (الفضل) : ((ورجل فضّال ، ويفْضَل ، ومِفْضَال : كثير الفضل)) .(٦)

وجاء ((التِلِعَّابة ـ بكسرتين وشد العين ـ : الكثير اللعب)) .(٧) ومن صيغ المبالغة التي أورد الفيروزابادي الفاظاً على وزنها صيغة (فَعُول) ، فقد جاء في (نفع) : ((والنَّفُـــوع : الكثير النفع كالنفاع))(٨) فالفَعُول كالفعّال في إفادته معنى المبالغة في الشيء . وكذلك الغَفُول وهو : العظيم الغفلة (٩) . وجاء (نموم ونمام)(١٠) وغيرهـــا(١١) .

اسم المفعول (*) :

من أمثلة اسم المفعول قوله : ((رحل البعير وارتحله : حط عليه الرحل فهو مَرْحُـــول ورَحِيل ، والمُرَحَّلة : ابل عليها رحالها ، والتي وضعت عنها رحالها ضد)) .(١٢)

فـ (مرحول) اسم مفعول من الثلاثي (رحل) ، اما (المُرَحَّلة) فهو اسم مفعول من (رَحَّل) .

---

(١) البصائر ٤/٤٣١ .
(٢) البصائر ٥/٢٨٥ .
(٣) البصائر ٤/١١٦ .
(٤) البصائر ٥/٤٢ .
(٥) ينظر : البصائر ٣/٣٠٠
(٦) البصائر ٤/١٩٦
(٧) البصائر ٤/٤٣١ .
(٨) البصائر ٥/١٠٤ .
(٩) ينظر : البصائر ٤/١٤٠ .
(١٠) ينظر : البصائر ٥/١٢٦ .
(١١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : البصائر ٢/٢٢٧ و٣٩٥ ، ٣/٩٤ ، ١ و٤٥٦ ، ٤/٨ ، ٣٢ و٣٤٣ ، ٥/٣٧ و٢٥٢ .
(*) ينظر في قياس صوغه المصادر الآتية : الكافية في النحو ٧٥ ، شرح جمل الزجاجي ٢/٤٠٢ أوضح المسالك ٣/٢٤٥ ـ ٢٤٦ ، شرح ابن عقيل ٣/١٣٧ ـ ١٣٨ ، شذا العرف ٧٥ .
(١٢) البصائر ٣/٥٢ .

قال الفيروزآبادي : ((رجل مطروق : فيه لين واسترخاء ، كأنه أصابته حادثة لينته))[١] إن الأمثلة واضحة في بيان دلالة المشتقات فالفيروزآبادي عند ذكره لاسم الفاعل أو الصفة المشبهة يذكر الضمير (هو) الذي يجعل من الصيغة التالية له واضحة الدلالة في ارتباطها به على وجه انه قائم بها . اما عند ذكره لاسم المفعول فان كلامه بعد الصيغة فيه دلالة واضحة على ان الصيغة تتوجه نحو من وقع عليه الامر .

وذكر الفيروزآبادي ان من وجوه (الميم) التي ترد في الكلام : ميم المفعول ((وتكون مفتوحة ، كميم (مَنصور) و (مَحبوب) . ويكون في (مُشْغبة) مضموماً فاعلاً كان أو مفعولاً ، نحو : مُكرِم ومُكرَم))[٢] . فالمكسورة الراء اسم فاعل والمفتوحة الراء اسم مفعول .

وهناك الفاظ تشترك بين اسم الفاعل واسم المفعول وتستعمل في كليهما من ذلك ماورد من لفظة (التوّلي) عند الفيروزآبادي فيقول فيها : ((الولاية : النُّصْرة . والوَلي والتوّلي يُستعملان في كل ذلك ، وكل واحدٍ منهما يقال في معنى الفاعل أي التوالي ، وفي معنى المفعول أي الموالَيَ))[٣] .

ومثل ذلك قوله : ((وقد رُبِعَ (عُنِي) فهو مربوع))[٤] وكذلك قوله : ((رجل مشهور وشهير : نبيهٌ ، والشهرة : الفضيحة . والشهرة : وضوح الأمر))[٥] .

وجاء في (الحر) ومايشتق منه : ((وحُرَّ الرجل فهو محرور ، وكذا حُرَّ يومُنا وحَر بالضم والفتح . والحَرُور : الريح الحارة ...))[٦] وجاء من اسم المفعول ايضاً : مجروح[٧] ومزور[٨] ، ومغبون[٩] ، وجاء مُطْعَم ومرزوق[١٠] وهو من (أطعم) .

---

(١) البصائر ٣/٥٠٥ .
(٢) البصائر ٤/٤٧٥ .
(٣) البصائر ٥/٢٨١ .
(٤) البصائر ٣/٣٣ .
(٥) البصائر ٣/٣٥٨ .
(٦) البصائر ٢/٤٤٢ .
(٧) ينظر : البصائر ٢/٣٧٦ .
(٨) ينظر : البصائر ٥/٢٠٣ .
(٩) ينظر : البصائر ٤/١٢١ .
(١٠) ينظر : البصائر ٣/٥٠٧ .

اسما الزمان والمكان : (*)

اشتملت (البصائر) على ذكر بعض الفاظ من اسماء الزمان والمكان ،فمن ذلك قوله في : (طلعت الشمس) : ((والمَطْلَع ، والمَطْلِع ايضاً : موضع الطلوع وقرأ الكسائي وخلف وابو عمرو في احدى الروايتين ﴿ حَتَّىٰ مَطْلِعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (١) (القدر ٥) بكسر اللام ، والباقون بفتحها • وقال بعض البصريين : من قرأ بالكسر فهو اسم لوقت الطلوع • وقال الفراء : المطلع ـ بالكسر ـ أقوى في قياس العربية ، لان (المطلع) بالفتح هو الطلوع •)) • (٢) فقد اختلط هنا (مُفْعِل) و (مَفْعَل) في دلالتهما على اسمي الزمان والمكان على ان الكسر اقرب الى اسم الزمان اذ يحتمل الفتح كونه مصدرا بمعنى (الطلوع) • (٣) والنص واضح فيه تتداخل صيغتا اسمي الزمان والمكان على (مَفْعِل) و (مَفْعَل) •

وقد يتداخل معهما ايضا المصدر واسم المفعول ، فقد أورد الفيروزآبادي في (قوم): ((والقام يكون مصدراً واسم مكان القيام وزمانه نحو : ﴿ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي ﴾ (يونس ٧١) ، ﴿ وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (سورة البقرة ١٢٥) • وقوله : ﴿ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ (النمل ٣٩)))• (٤) وقال ايضا : ((والمُقام يقال للمصدر والزمان والمكان والمفعول • لكن الوارد في القرآن المصدر نحو : ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (الفرقان ٦٦) وقوله : ﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا ﴾ (الأحزاب ١٣) أي : لا مستقر لكم ، وقرئ (لا مَقام لكم) (٥) من أقام . وقرئ ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (٦) (الدخان ٥١) بالضم أي في مكان تدوم إقامتهم فيه))(٧) ومن اسماء المكان قوله في (وقد) : ((والتَوْقد : موضع الوقود مثال مَجْلِس لموضع الجلوس(٨)))• ويقال لموضع اللعب : الملعب(٩) • وقال في

(*) ينظر في قياس صوغهما المصادر الآتية : الكتاب ٢/٢٤٧ـ٢٤٩ ، شرح الشافية ١/١٨١ ، شذا العرف ٨٢ـ٨٣ • أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٢٨٧ ومابعدها •

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة : (مطلع) بفتح اللام • وقرأ الكسائي (مطلع) بكسر اللام • ينظر : السبعة في القراءات ٦٩٣ ، الكشف عن وجوه القراءات ٢/٣٨٥ •

(٢) البصائر ٣/٥١٢ • (٣) ينظر : الظواهر اللغوية في معاني القران واعرابه ١٦٥ •

(٤) البصائر ٤/٣١٠ •

(٥) قرأ حفص عن عاصم (لا مُقام) بضم الميم ، وقرأ الباقون : (لا مَقام) بفتحها ، وكذلك أبو بكر عن عاصم ينظر : السبعة ٥٢٠ ، الكشف ٢/١٩٥ •

(٦) قرأ نافع وابن عامر (في لا مقام) بضم الميم الأول ، وقرأ الباقون (في مقام) بالفتح ، ينظر : السبعة ٥٩٣ ، الكشف ٢/٢٦٥ •

(٧) البصائر ٤/٣١١ • (٨) البصائر ٥/٢٤٨ • (٩) ينظر : البصائر ٤/٤٣١ •

(مُدخـــل) من قوله تعالى : ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ (الإسراء ٨٠) ((فمدخل هـــن (دخل) ، ومدخل من (أدخل)))٠(١) فـ (مَدخل) اسم مكان من الثلاثي ، و (مُدخـل) اسم مكان من الرباعي (أدخل) ٠

اسم الآلـــــة : (*)

من المشتقات ايضاً اسم الآلة ، من ذلك (بزغ) يصاغ اسم الآلة منه على (مِفْعَل) أي : مِبْزَغ وهو المِشـــراط ٠(٢)

وقال الفيروز ابادي في (الجهل) : ((والمِجْهَل والمِجْهَلة ـ بكسر ميمهما ـ والجَهْيل والجهيلة ، خشبة يحرك بها الجمـــر))٠(٣) و (المِفْعَل والمِفْعَلة) هما القياس امـــا الجهيل والجهيلة فمن المسمـــوع ٠

ومنه ايضا قوله في (غلق) : ((الغلق ـ محركة ـ والمِغْلَق والمِغْلاق والمغلوق : ما يغلق به ٠ وقيل : ومايفتح به ٠ لكن اذا اعتبر بالاغلاق قيل ((مِغْلَق ومِغْلاق اذا اعتبر بالفتح قيل : مِفْتَح ومفتاح ٠٠٠))٠(٤)

ومما جاء على (مفعلة) قوله : ((والمِنْسَفَة : آلة يقلع بها البناء))٠(٥)

التبادل الدلالي بين الصيـــغ :

تمتلك الالفاظ في العربية القدرة على اعطاء جزء من دلالتها من خلال بنائها وهـــو مايسمى بـ (الدلالة الصرفية) وهي وان كانت جزءا من علم الدلالة الا انه جرى النظر اليها من خلال المباحث الصرفية كما كان الحال في الدلالة النحوية ، والدلالة الصوتية فان محلها في العادة الجارية لدى الباحثين التعرض لهما في المباحث النحوية والمباحث الصوتية فـــي مثل دراستنا هذه ٠

ويعد سيبويه رائد النحويين في إثارة الاهتمام بالدلالة الصرفية إذ احتوى كتابه علـــى آراء قيمة في هذا النحو ، بل إنه جعل قسماً من كتابه يقوم على جمع صيغ ذات دلالة واحدة٠

---

(١) البصائر ٢/ ٩٠ ٥٠

(*) ينظر في أوزانه المصادر الآتية : الكتاب ٢/ ٩ ٢٤ ـ ٢٥٠ ، شرح الشافية ١/ ١٨١، شذا العرف ٨٣ ٠ أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٢٩٠ـ٢٩١٠

(٢) ينظر : البصائر ٢/ ٢٤٤ ٠ (٣) البصائر ٢/ ٤٠٦ ٠

(٤) البصائر ٤/ ١٤٧٠ (٥) البصائر ٥/ ٤٧ ٠

وألّف الدكتور فاضل السامرائي ، كتاباً في (معاني الأبنية في العربية) وأشار إلى أهمية هذا الموضوع في البحث اللغوي وأخذ على القدماء أنهم لم يولوه ما استحق من الأهمية .

ونجد إلى جانب ذلك قيام بعض الصيغ مقام بعض من جهة المعنى فيدل (فاعل) على معنى (فعيل) أو (مفعول) أو العكس . وأنّ السياق بنوعيه : سياق الحال واللغوي ـ أكثر اهمية في الكشف عن مثل هذا التبادل ، ويمكن أنْ ندّرج هذا التبادل الدلالي بين الصيغ في ظاهرة أعم هي التضمين اذ إن صيغة ما تتضمن معنى صيغة أُخرى ، وكان علماء العربية قد تنبّهوا لهذا النوع من التضمين .

برزت عند الفيروز آبادي مظاهر واضحة لهذا الجانب من البحث اللغوي عند تناوله الآيات القرآنية المتعلقة ببصائر كتابه ، وقد استقريت مواضعه وسأكتفي بإيراد أمثلة محددة والاحالة في الهوامش على بقية المواضع خشية الاطالة والملل .

وتتمثل مظاهر هذا التبادل فيما يأتي : فقد قال الفيروز آبادي في (رهينة) من قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر ٣٨) قيل : ((انها بمعنى (فاعل) اى ثابته مقيمة ، وقيل : بمعنى (المفعول) اى كل نفس مقامة في جزاء ماقدم من عمله)) .(١)

يظهر من التبادل الصرفي هنا ان (فعيلا) يكون بمعنى (فاعل) ، وقد يكون بمعنى (مفعول) فعلى المعنى الاول ، النفس راهنة ومعناها انها ثابتة مقيمة ((من قولهم :رهن الشيء : ثبت ودام)) .(٢) على أمرها . أما على المعنى الثاني فالنفس مرهونة بما يقدّمه الانسان من عمله .

وكذلك الأمر في الريح العقيم : ((يصح ان يكون بمعنى (فاعل) وهي التي لا تُلقِح سحاباً ولا شجراً ، ويصح أن يكون بمعنى (مفعول) كالعجوز العقيم وهي التي لا تقبل أثر الخير . ويوم عقيم : لا خير فيه ولا فرج)) .(٣) فمعنى (الفاعل) أنْ يسند الأمر اليه ومعنى (المفعول) أنْ يسند الأمر الى غيره ويكون هو متقبلاً ومتأثراً به .

ومن أسماء الله الحسنى (الوكيل) قال تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء ٨١) وهو(فعيل) بمعنى (مفعول) ، ((أي : أكتف به أنْ يتوكل أمرك ويتوكل لك ، وعلى هذا

---

(١) البصائر ٣/١٠٢ .
(٢) زيادة من المحقق ٣/١٠١ .
(٣) البصائر ٤/٨٦ .

حسبنا الله ونعم الوكيل)).(١) أي هو الموكول اليه أمري وشأني أكتفي به عن غيره – ((وعلى هذا : حسبنا الله ونعم الوكيل)).(٢)

وعلى هذا النمط جاء (النَسيء) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ (التوبة ٣٧) فهو (فعيل) بمعنى (مفعول) فهو منسوء أي مؤخر ، وهو على فتيل بمعنى مفتول .(٣)

ورأى الفيروزآبادي في (النبي) دلالتين قرآنيتين الأولى أنّه (فعيل) بمعنى (فاعل) اشتق من نبَأ وأنبأ ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الحجر ٤٩) ونبأ وأنبأ بمعنى اخبر فهو مخبر فالنبي مُنْبِئ . أما الثانية فهي (فعيل) بمعنى (مفعول) ويدل عليه قوله تعالى :﴿ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (التحريم ٣) فالنبي هو المنبأ(٤) ، ويتضح من هذا أنّ للسياق الأثر الأول في توجيه هذا الجانب للكشف عن الدلالة الصرفية للصيغ .(٥)

وجاء (فاعل) بمعنى (مفعول) في نحو قوله تعالى ﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ (ابراهيم ١٨) ، أي تعصف فيه الريح .(٦) أما قوله تعالى ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (هود ٤٣) ، فهو من عصم يعصم : اكتسب ، ومنع ، ووقى ، قال الفيروزآبادي : ((أي لا شيء يعصم منه . ومن قال معناه لا معصوم ، فليس يعني أن العاصم بمعنى المعصوم ، وإنما ذلك تنبيه على المعنى المقصود بذلك ، وذلك أنّ العاصم والمعصوم متلازمان فأيهما حصل حصل الآخر معه))(٧) فسياق الآية يجعل القول بأن (عاصم بمعنى معصوم) لا يلزم في هذه الآية لتلازم العاصم والمعصوم فلا يمكن النص على أحدهما .

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ﴾ (الحج ٣٦) قال الفيروزآبادي : ((مصفوفة (فواعل) بمعنى (مفاعل) . وقيل : مصطفة)).(٨) من صفت الابل قوائمها فهي صافة وصواف .

ومن هذا الباب مجيء المصدر على معنى (فاعل) و (مفعول) فـ ((النَقْدُ – بالتحريك –: ما أنقدته ، وهو (فعل) بمعنى (مفعول) ، مثل نقض وقبض وهدم)).(٩)

---

(١) البصائر ٥/٢٦٦ . (٢) البصائر ٥/٢٦٦ . (٣) ينظر البصائر ٥/٤٣ .
(٤) ينظر : البصائر ٥/١٤، وينظر : ٢/١٣٢ و١٣٨ و١٣٩ و٣٥٣ و ٤٥٩ و٤٩٩ و٦٠٤ ، ٣/٦ و٢٢٢ و٢٦٠ و٣٠٢ و٤/٧٠ .
(٥) ينظر : ما جاء على فعيل من الصفات ٨٠–٩٢ . (بحث منشور)
(٦) ينظر: البصائر ٤/٧٢ . (٧) البصائر ٤/٧٢ . (٨) البصائر ٣/٤١٨ .
(٩) البصائر ٥/١١٢ .

وذكر أن (الشيء) مصدر (شاء) في الأصل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر ٦٢) ، ((اذ كان الشيء ههنا مصدراً في معنى المفعول ، وقوله ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ (الأنعام ١٩) هو بمعنى (فاعل)))(١)

وأورد الفيروزآبادي عن الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) قوله : ((ناشئة الليل مصدر جاء على (فاعلة) وهو بمعنى النشء كالعافية بمعنى العفو ، والعاقبة بمعنى العقب ، والخاتمة بمعنى الختم))(٢) اذ يظهر من النص ان بناء (فاعل) قد يأتي دالاً على معنى المصدر أي انه يدل على الحدث حسب ولا يدل على الحدث وصاحبه كما هو شانه في العادة . وقد يحدث العكس فيدل المصدر على بناء (فاعل) فمن ذلك قوله : ((ويقال للسقاء اذا مخض وجاء زبده : قد جاء أتوه . وتحقيقه جاء ما من شأنه أن يأتي منه فهو مصدر في معنى الفاعل))(٣)

فالمصدر في هذه المواضع يعطي دلالة على الحدث مع صاحب الحدث وهي الدلالة التي يعطيها اسم الفاعل وهو مايعني أن المصدر جاء بمعنى (فاعل) . ثم إنّ اسم الفاعل قد يأتي دالاً على النسب . جاء في المقتضب قوله : ((فإن كان ذا شيء أي صاحب شيء بُني على (فاعل) .. فقلت : رجل فارس أي صاحب فرس ، ورجل دارع ونابل وناشب أي هذه آلته قال الشاعر :

وغررتني وزعمت أنّ ك لابنٌ بالصيفِ تامرُ))(٤)

وممّا جاء عن الفيروزآبادي قوله في (هم ناصب) : ((ذو نصب مثل لابن وتامر ، (فاعل) بمعنى (مفعول فيه) لأنه ينصب فيه ويتعب كقولهم : ليل نائم أي : ينام فيه . وهم ناصب أي : منصب ، قال النابغة الذبياني :

كليني لِهَمٍّ يا أُميمةُ ناصبٍ وليلٍ أُقاسيهِ بطيءِ الكواكبِ))(٥)

ويتضح من النص أنه وان شابه الأمثلة بعضها بعضًا ، إلا أن الفرق واضح في دلالة تامر ولابن عنها في (هم ناصب) و (ليل نائم) وأبان الفيروزآبادي ذلك بقوله : مفعول فيه .

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض النحويين رأى أنّ ماكان من (فاعل) بمعنى (مفعول) ((الأولى أنْ يكون على النسب كـ (نابل) و (ناشب)))(٦) . وعلى هذا فإن ماء دَافِقٍ

---

(١) البصائر ٣/٣٦٣ . وينظر : ٢/٥٣٣ و٥٤٨ و٦١١ ، ٣/٢٣١ و٢٥٦ ، ٤/٢٦ و٥٣٩ .
(٢) البصائر ٥/٥٢ . (٣) البصائر ٢/٤٤ . (٤) المقتضب ٣/١٦١ .
(٥) البصائر ٥/٦٠ . (٦) شرح الكافية ٢/٢٢١ ، وينظر : معاني الأبنية في العربية ٥٨ .

وعيشة راضية تكون ماء ذو دفق وعيشة ذات رضا .

ومن أمثلة هذا الباب مجيء (فُعْلـــة) بمعنى (مفعول) فقد جاء في البصائر قوله : ((والحُجْرة : الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوّط عليها ، (فُعْلة) بمعنى (مفعولـة) كالغُرْفـــة والقُبْضـــة)) .[1] ويظهر ههنا أنّ دلالة (فُعْلة) على (مفعول) يتأتى من دلالة الكلمة التي صيغتها (فُعْلة) لا من خلال السياق كما هو الحال فيما تقدم من أمثلـة هذا الجانب .

---

(١) البصائر ٤٣٦/٢ . ورد في البصائر (مفعول) والصواب ما اثبتناه .

المبحث السادس
مباحث صرفية أخرى

النحت :

يعد النحت باباً من أبواب التطور اللغوي . ويعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) أول من أشار الى هذا النوع من الاشتقاق وفسر به ماورد في (حيعل) و (حيعلة) و (رجل عبشمي) وقال عنه : ((فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً)).(١) والنحت قسم من أقسام الاشتقاق وأرجعه ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) الى الاشتقاق الاكبر .(٢) وهو جنس من الاختصار ، كما في (الصاحبي) .(٣) يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : ((هذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت ، مثل قول العرب للرجل الشديد ضِبَطْرٌ ، من ضبط وضبر ...)).(٤)

وقد اتبع الفيروزآبادي مذهب من يرى أنَّ الكلمة المنحوته تدل على معنيي ما نحتت منه . وذلك في الفعل (بعثر) من قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ (الانفطار ٤) يقول الفيروزآبادي : ((أي قُلِبَ ترابها ، وأُثير ما فيها . ومن رأى أن تركيب الرباعي والخماسي من ثلاثيين نحو : هلل وبسمل ، إذا قال : (لَا إله إلا اللّه) ، و (بِسْمِ اللّه) . يقول : ان بعثر مركب من بُحِث وأُثير وهذا غير بعيد في هذا الحرف ، وأن البعثرة يتضمن معنى بحث وأثير .))(٥)

وقد رجّح أن تكون لفظة (القمطرير) من لفظتين اعتماداً على معناها على مايبدو وذلك في قوله : ((القمطرير : الشديد كالقُماطر ، كأنه مركّب من قمط وقطر أو قمر)).(٦) ولم يشر في (القاموس المحيط) الى أنها مركبة .(٧)

---

(١) العين ٦/١ .
(٢) ينظر : الخصائص ١٦٥/٢ .
(٣) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ٢٧١ .
(٤) المصدر السابق ، ولمزيد من التوسع ينظر : كتاب النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده : لمحمود شكري الالوسي .
(٥) البصائر ٢٦١/٢ .
(٦) البصائر ٢٩٧/٤ .
(٧) ينظر : القاموس المحيط مادة (القمرة / القمطر) .

النسب :

نحا سيبويه عند تناوله لـ (النسب) الى إبراز الغرض الدلالي منه بقوله : ((اعلم انك اذا أضفت رجلاً الى رجل فجعلته من آل ذلك الرجل الحقت ياءي الاضافة))[١] وكذلك تفعل عند اضافته الى بلد أو حي أو قبيلة ، ويحدث الحاق ياء النسب المشددة - بالاسم بعض التغيير عن حاله قبل أن ينسب اليه .[٢]

وحدّ الفاكهي (ت ٩٧٢هـ) المنسوب بقوله : ((الملحق آخره ياء مشددة ليدل على نسبته الى المجرد عنها))[٣] وقال في شرحه : ((أي الذي لحق آخره ياء مشددة يكسر لاجلها ما قبلها ، وينتقل الاعراب اليها ، ويحذف لها آخر الاسم إذا كان تاء تأنيث ، أو علامة تثنية أو جمع تصحيح ، وكذلك عجز المركب مطلقاً ، ...)) .[٤]

وقد توقف الفيروز آبادي على شيء من هذا ، فمن ذلك أنه جعل (ياء النسب) وجهاً من وجوه الاستعمال التي تأتي عليها (الياء) قال فيه : ((ياء النسبة ، وتكون مشددة نحو : عربي وقرشي))[٥] فهي عنده حرف يتركب مع الأسماء فيحدث معنى جديداً في اللفظ لم يكن فيه من قبل ، وهذا الحرف مكون من ياءين مدغمتين .

وأشار الفيروز آبادي الى طائفة من الألفاظ وبيّن كونها منسوبة ، منها (الوحشي) قال فيها : ((والوحشي من الأبل وغيرها منسوب الى الوحش ، وهو بلاد الجن . وقيل الوحش : فحول جن ضربت في نعم مهرة فنسب اليها))[٦] وهذا على رأي من يقول بأن الوحش هو الوحش . وقد جاء هنا على القياس ومنه ايضاً : العربي .[٧]

وقد يأتي النسب على غير قياس من نحو النسبة الى : الرب بقولهم : ربوبي إذ قال : ((وعلم ربوبي نسبته الى الرّب تعالى على غير قياس)) .[٨]

وقال في البصيرة نفسها : ((والرّباني المتألّه العارف بالله عز وجل ، والحبر ، منسوب الى الربان و (فعلان) يبنى من (فَعِل) كثيراً كـ (عطشان وسكران) ، ومن (فَعَل) قليلاً كـ (نعسان) ، أو منسوب الى الرب تعالى فهو كقولهم : المي ، ونونه كنون (لحياني) أو هو لفظة سريانية)) .[٩] فالفيروز آبادي لم يقطع بنسبة واضحة لـ (رباني) ، بل ذكر الآراء في ذلك ، فهو إما من (رَبِبَ) أو (رَبَبَ) أو مَصُوغ على وزن (المي) وبهذا تكون نونه زائدة كنون (اللحياني) .

---

(١) الكتاب ٢/٦٩ . (٢) ينظر : المصدر السابق ، المقتضب ٣/١٣٣ .
(٣) شرح الحدود النحوية ١٤٦ . (٤) المصدر السابق . (٥) البصائر ٥/٣٧٢ .
(٦) البصائر ٢/٥٠٦ . (٧) ينظر : البصائر ٤/٤٠ . (٨) البصائر ٣/٢٩ .
(٩) البصائر ٣/٢٩ .

ويذكر سيبويه قولهم : ((في الطويل الجمة : جماني ، وفي الطويل اللحية : اللحياني ، وفي ألفاظ الرقبة : الرقباني . فإن سميت ، برقبة أو جمة أو لحية قلت : رقبي ولحيي وجمي ولحوي . وذلك لأن المعنى قد تحوّل ، إنما أردت حيث قلت : جماني الطويل الجمة ، — وحيث قلت: اللحياني الطويل اللحية ، فلما لم تعن ذلك أُجري مجرى نظائره التي ليس فيها ذلك المعنى)).(١)

وجاء في المقتضب : ((هذا باب مايقع في النسب بزيادة لما فيه من المعنى الزائد على معنى النسب وذلك قولك في الرجل نسبة الى انه طويل اللحية : لحياني ، وفي طويل الجمة : جماني)).(٢) يعني ان الالف والنون زائدتان لمعنى المبالغة . وهاتان الكلمتان (يعني : لحياني ، جماني) من الشاذ الذي لا يقاس عليه فيما من المسموع ، قال الرضي (ت ٦٨٨ هـ) : ((واذا سميت بهذه الاسماء ، ثم نسبت اليها رجعت الى القياس ، اذ لا تقصد المبالغة إذن فتقول : جُمي ولحيي على قول الخليل ولحوى على قول يونس)).(٣)

ويتضح من خلال كلام الفيروزآبادي المتقدم أنّ الشذوذ في النسبة قد يكون لعلة كون اللفظة ليست عربية بل سريانية .

وجاء من العدول عن القياس : العلوي والسفلي (٤) اذ هما نسبة الى العالية والسافلة (٥) وقال الفيروزآبادي في (النصارى) : ((ولم يستعمل (نَصْران) الا بياء النسب لانهم قالوا : رجل نصراني وامرأة نصرانية ، ونصّره : جعله نصرانياً)).(٦)

وتتميز بعض النسبيات بنسبة خاصة تخالف مشابهاتها وذلك لأمن اللبس كما يرى المبرد (ت ٢٨٥ هـ) بقوله : ((وقد تشتق العرب من الاسمين اسماً واحداً لاجتناب اللبس وذاك لكثرة مايقع (عبد) في اسمائهم مضافا . فيقولون في النسب الى عبدالقيس : عبقسي والى عبدالدار : عبدري ، والى عبد شمس : عبشمي .

---

(١) الكتاب ٢/٨٩ .
(٢) المقتضب ٣/١٤٤ .
(٣) شرح الشافية ٢/٨٤ . وينظر : الظواهر اللغوية في معاني القرآن واعرابه ١٩١ .
(٤) ينظر : البصائر ٤/٩٦ .
(٥) ينظر : الكتاب ٢/٦٩ .
(٦) البصائر ٥/٦٩ . وينظر : زيادة الألف والنون في النسب ١٧٢ (بحث منشور)

والوجه ماذكرت لك اولا . وإنّما فعل هذا لعلة اللبس)) .[١] وذكر الفيروز آبادي على هذا (المدينة) فهي اسم لستة عشر بلدا ((والنسبة الى المدينة النبوية (مدني) ، والى سائرها (مديني)) .[٢] وقد تختلف هذه النسبة بين الحيوان والانسان ولهذا قال الفيروز آبادي : ((قيل : نسبة الانسان الى كلها (يعني : الى كل الستة عشر بلدا) (مدني) ونسبة الطائر ونحوه (مديني)) [٣] وقد خصّ أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ) (الحمار) بهذه النسبة فقال : ((وفي المدينة حمار مديني وللرجل : مدني ، على القياس)) .[٤]

ومن الجدير بالاشارة اليه ان الفيروز ابادى كان قد استعمل (واو النسبة) ولا يعني بها واوا تختص بالدلالة على النسب ، بل هي الواو التي تظهر في بعض الكلمات الثنائية عندما تلحقها ياء النسب من نحو النسب الى اخ (أخوى) والى اب (أبوى) .[٥] وقد تظهر هذه الواو ايضا اثر انقلاب الالف واوا بسبب كراهة اجتماع الياءات والكسر كما يقول المبرد[٦] وذلك في المقصور من نحو عصوى ، وحصوى ، ورحوى . وقد علق المبرد على ذلك بقوله : ((وأنت في غير المعتل كنت تفعل ذلك كراهية لتوالي الكسرتين واليائين ، فهذا هاهنا أوجب)) .[٧]

التصغير :

((هو ما ضُمّ أولُه وفُتح ثانيه وزيد قبل ثالثهِ ياء ساكنة))[٨] . وتقدم العربية أبنية خاصة لمن يريد أن يعبر عن عاطفة تجاه الأشياء مصغِراً إياها أو محقِراً لها ولا تجد نحاة العربية يفرقون بين صيغة المعنيين ، وتعود دلالة التصغير على التحبب أو التحقير الى ظروف الكلام المتمثلة بالمتكلم والمخاطب وسياق المقام . وللتصغير بناء خاص هو (فُعَيْل) للثلاثي و(فُعَيْعِل) للرباعي و (فُعَيْعِيْل) للخماسي ومازاد عليه .

وعلى مايبدو فإن الخليل يعدّ المنظر الأول لهذه الأبنية فقد قال المبرد (ت ٢٨٥هـ) ((زعم المازني عن الاصمعي انه قال : قال الخليل بن احمد : وضعت التصغير على ثلاثة أبنية على فُلَيْس، وَدُرَيْهِم ، وَدُنَيْنِير))[٩] . وهي مايتعامل الناس بها في ذلك الوقت ويعني به على بناء الثلاثي والرباعي والخماسي . وجاءت أمثلة التصغير في (البصائر) من جملة جوانب الدراسة اللغوية ، ولا يتكامل التحليل اللغوي إلا بالتعرض لهذا الجانب . وبسبب من ذلك بدت

---

(١) المقتضب ٣/١٤٢ ، وينظر : الكتاب ٢/٨٨ . (٢) البصائر ٤/٤٩٠ .
(٣) البصائر ٤/٤٩٠ . (٤) ارتشاف الضرب ١/٢٩١ . (٥) ينظر : البصائر ٥/١٥١ .
(٦) ينظر : المقتضب ٣/١٣٦ . (٧) المصدر السابق . (٨) الانموذج في النحو ٩٣ .
(٩) المقتضب ٢/٢٣٦ .

دراسة التصغير قليلة في (البصائر) قياسا الى الجوانب الاخرى للدراسة الصرفيـــة .

ومن أهم الاشارات التي وردت في (البصائر) مما يرتبط بالجانب النظري للتصغيـــر نصه على (الياء) التي اصطلح عليها ((ياء التصغير)) وعنى بها (الياء) التي تظهـــر في صيغ التصغير، كما يظهر من الأمثلة التي أوردها وذلك في قوله في الوجه الخامـــس عشر من وجوه الياء: ((ياء التصغير: ﴿يَابُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ (هود ٤٢) ﴿يَابُنَيَّ لا تُشْرِك بِاللَّهِ﴾ (لقمان ١٣)، ونحو (أُخَيّ) و (أُخَيَّة) و (رُجَيْل ومُرَيْة))).(١)

ومن أمثلة التصغير ماورد من تصغير: تقوى على تُقَيّا،(٢) وتصغير النبيّ: نُبَيِّئ، وتصغير النبوة: نُبَيْئَـة ((يقول العرب: كانت نُبَيْئَة مُسَيلَمة نُبَيْئَة سوءٍ)).(٤)

وجاء ايضاً تصغير (الناس) (نُوَيْس) أصله من (ناس ينوس)(٥) وتصغير (اللُّدّ) ـ (أُلَيِّدُّونَ)(٦) وتصغير (الشـيء) على (شُيَيْءٌ) و (شِيَيِّءٌ) بكسر الشين ولا تقل (شُوَيْءٌ)(٧) وتصغير (بيتٍ) (بُيَيْت) و (بِيَيْت) ولا تقل: (بُوَيت)(٨)، وقيل في اسم النبي (شُعيب) (عليه السلام): ((تصغير (شَعْب) الذي هو مصدر أو الذي هو اسم، أو تصغير شِعب))(٩)، وتصغير (رجل) على القياس: رُجَيْل، وقد ورد ايضاً على غير القياس: رُوَيْجل.(١٠)

ويستشهد الفيروزآبادي بالتصغير للتدليل على أصل بعض الكلمات وهي طريقة الصرفيين في مثل ذلك اذ ((قيل: الآل مقلوب من الأهل، لانه يصغر على (أُهَيْل)، إلا أنـــه خص بالاضافة الى أعلام الناطقين، دون النكرات، ودون الأزمنة، والأمكنة. يقال: آل فلان، ولا يقال آل رجل ولا آل زمانه كذا. وموضع كذا، كما يقال: أهل زمان كذا))(١١)

ونقل الفيروزآبادي اختلاف بعض العلماء في اثبات التصغير لاسم من الاسماء فقد روى عن الكسائي (ت ١٨٩هـ) أنَّ (الصَّداهِد) تصغير (صَدْصَدٍ) ((قلبوا ياء التصغيـــر الفاً كما قالوا: (دُوابّة) في تصغير (دَابّة))(١٢) وعلى القياس: دُوَيْبة.

---

(١) البصائر ٥/٣٧٢. (٢) ينظر: البصائر ٥/٢٥٦. (٣) ينظر: البصائر ٥/١٤.
(٤) البصائر ٥/١٤. (٥) ينظر: البصائر ٥/١٣٩. (٦) ينظر: البصائر ٤/٤٢٥.
(٧) ينظر: البصائر ٣/٣٦٤. (٨) ينظر: البصائر ٢/١٩٧.
(٩) البصائر ٣/٣٢٢. وينظر: ٢/٢٧٧ ـ ٢٧٨، ٣/٢٥ و٣٢٣ و٤٦٢، ٤/٣٨ و ٣٠٢ و٣٢٢ و٣٧٥ و٤٤٤ و٤٩٦ و٥١٣، ٦/٣٢.
(١٠) ينظر: البصائر ٣/٤١. (١١) البصائر ٢/١٦٢. (١٢) البصائر ٥/٣٠٩.

وأنكر الاصمعي (ت ٢١٦ هـ) هذا التصغير بقوله : ((ولا أعرفه تصغير (هُدْهُد) كما روي عن الكسائي)) .(١)

وذكر الفيروز آبادي بعض الاسماء الأعجمية التي وضعت على صيغة التصغير ولكنها ليست كذلك كقوله : ((و (عُزَير) اسم عبراني على زنة (فُعَيْل) وليس بتصغير ، بل هكذا موضوع ...)) .(٢)

ويصغّر الجمع برده الى واحده فيما له واحد منه ثم يصغر ، من نحو : كَبِدَ السماء : كَبْداوُها . وكُبيداوُها ، وكُبيداتها ((كأنّهم صَغَّروها (كُبَيْدة) ثم جمعوها)) .(٣) ويؤخذ على بعض العلماء أنّهم صغروا الجمع . ففي (اشياء) التي اُختلف في أصلها وفي علة عدم صرفها يقول الفيروز آبادي : ((قال الأخفش : هي (أَفْعِلاَءُ) ، فلهذا لم تصرف ، لأن أصلها (أَشْيِئاءُ) حذفت الهمزة التي بين الياء والألف للتخفيف . قال له الهروي : كيف تُصغّر العرب (أشياء) ؟ فقال : (أُشَيّاء) . فقال له : تركت قولك بلأن كل جمع كسّر على غير واحده وهو من أبنية الجمع فإنه يردُّ في التصغير الى واحده كما قالوا : شويعرون في تصغير الشُعراء . وهذا القول لا يلزم الخليل ، لانه (فَعْلاء) ليس من أبنية الجمع)) .(٤)

وكان الفيروز آبادي قد ذكر قول الخليل انه ((إنما تُرك صرفها لأن أصلها (فَعْلاء) جمعت على غير واحدها))(٥) وتقديرها (لَفْعاء) وهو يصغر على (أُشَيّاء) . ولكن الفيروز آبادي يذكر في موضع آخر من بصائره أن الجمع يُصغّر برده الى أقل الجمع (جمع القلة) من نحو قوله : ((وتصغير الكلاب ، أُكَيْلب برد ها الى أقل الجمع وهو أَكْلُب)) .(٦)

وأورد الفيروز آبادي بعض الألفاظ المبنيّة مما سُمع تصغيرها على غير وزن التصغير من نحو (ذا) اسم الاشارة الى المذكر إذ يُصغر على : ذَيّاك وذيّالك)) .(٧)

وقد صَغّرت العربُ بعض الكلمات المنحوته تصغيراً اسقطت فيه بعض حروفها من نحو أن (هَيَّهَلَ أي هَلَمَّ) تصغيره : هُلَيْل وهُلَيّة وهُلّى .(٨)

---

(١) البصائر ٥/٣٠٩ .
(٢) البصائر ٦/٨١ .
(٣) البصائر ٤/٣٢٢ .
(٤) البصائر ٣/٣٦٥ . وينظر : الانصاف في مسائل الخلاف ٢/٨١٢ـ٨٢٠ .
(٥) البصائر ٣/٣٦٤ .
(٦) البصائر ٤/٣٧٥ .
(٧) ينظر : البصائر ٣/٢٥ .
(٨) ينظر : البصائر ٥/٣٣٦ .

الفصل الرابع
المباحث النحويّة في البصائر

توطئـــــــــة :

سبق لنا في بداية البحث في الفقرة الخاصة بمنهج البصائر أن أشرنا الى أنّ الفيروز آبادي كان قد أفرد القسم الأول من كتابه لتناول سور القرآن سورة سورة مرتبـــاً إياها على حسب ورودها في المصحف الشريف .

وكان تناوله إياها من جهات متعددة هي :

١. مدنية السورة أو مكيتها .
٢. عدد آياتها .
٣. عدد كلماتها وحروفها .
٤. الآيات المختلف فيها .
٥. مجموع فواصل آيات السورة .
٦. تسمية السورة
٧. مقصود السورة أو مجمل المعنى العام للسورة .
٨. الناسخ والمنسوخ من آياتها .
٩. المتشابهات من آياتها .
١٠. فضل الســـــورة .

والذي يعنينا هنا على نحو خاص ماتناوله من متشابهات آيات القرآن الكريم التي كثرت صفحاتها فكادت تتجاوز ثلثي الجزء الأول ولم تشغل بقية الموضوعات إلا أقل من ثلثه ، ويتبين من ذلك غزارة المادة المعروضة في المتشابه .

إنّ المتشابهات التي توجه اليها اهتمام الفيروز آبادي ذات صبغة لغوية ـ نحويـــة خالصة حاول فيها إزالة مواضع الشبهة فكان يعكس في هذا الموضوع ثقافته في إدراك لطائف كتاب الله العزيز ، وثقافته اللغوية ولا سيما ثقافته الدّلالية النحوية . فالمادة التي يقدّمها في بيان المتشابهات محاولة الكشف عن وجوه التعبير القرآني وبيان ميزته بين موضع وآخـــر وبين مواضـــع أخرى بما وقع فيها من تقديم أو تاخير أو ذكر أو حذف وغير ذلك بحرص ذي صبغة (نحوية ـ دلالية) خالصة . وسنقف عندها بمزيد من التفصيل .

فالفيروز آبادي غير معني بما يدور من توجيه المتشابه في الأحكام والعقائد بقدر ما هـــو معني بكشف الجانب اللغوي للتعبير القرآني وبيان وجوه فضيلـــة هذا التعبير هنا على غيره

من مواضع ٠

إن المتأمل لمادة البصائر في هذا الجانب يَطّلع على مدى الثقافة اللغوية ـ النحوية التي اتصف بها الفيروزآبادي ٠ على أن المتأمل يجد أكثر من هذا فالدراسة القرانيـــة (أعني دراسة النص القرآني ـ وهو بطبيعة الحال يعد نصاً لغوياً قبل كل شيء) تعـد مجالاً خصباً لابراز الغاية التي يسعى اليها اللغوي والنحوي وهي فهم دارس النـص في الكشف عن ميزات النص اللغوية والنحوية التي جعلت له الفضيلة التي من اجلها وصف بالاعجاز البياني ٠ واصبح معياراً بيانياً (أعني جالبياني : التعبير) وبلاغياً يحذو حذوه من اراد بلوغ الغاية في البلاغة ٠

إنّ الدرس النحوي الذي يقدّمه الفيروزآبادي في كتابه (البصائر) يعد تطبيقـاً نحوياً ينتقل من التنظير العلمي ووضع القواعد ، وهو ماأثبته النحويون في مؤلفات خاصـة بهم الى مرحلة النظر في هذه القواعد من خلال النص ، وهي المرحلة التي اصبح فيها النحو علماً فعالاً يعمل على ابراز ميزات النص وطريقة نظمه تلك الجوانب والطريقة التـي أدت الى الاعجاز البياني في النص القرآني نظماً واسلوباً وصوراً فنية ٠

وقد أرتايت أنّ يكون هذا الفصل معبراً عن جوانب النص القرآني التي تنطوي تحت مايسمى بـ (التعبير القرآني) ، وهي جوانب أقرب ماتكون الى أن تتبنى فكرة النظم التي جاء بهـا عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) في دلائل الاعجاز بقوله : ((النظم : هو توخي معاني النحو ، وبيان ذلك))[١] او قوله : ((إعلم أنّ ليس (النظمُ) الا أنْ تضع كلامك الوضع الـذي يقتضيه (علم النحو) ، وتعمل على قوانينه وأُصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلاتزيـغ عنها ،٠٠٠))٠[٢]

وبالنظر لسعة المادة هنا واهميتها في (البصائر) سنهمل التعرض الى الآراء النحوية ومسائل الخلاف ونحو ذلك مما تعورف على ذكره في الرسائل الجامعية ، إذ لم تكن بتلك المنزلة في (البصائر) ٠

---

(١) دلال الاعجاز ٨١٠ وينظر : ٥٥ ٠
(٢) المصدر السابق ٨١ ٠

ويعد الفيروزآبادي باتجاهه هذا المنحى مندرجاً في فئة من العلماء مثلوا بدراساتهم وظيفة النحو خير تمثيل بل عملوا على إخراجه من إطاره الضيق المقتصر على معرفة الأعراب الى افاق اوسع جعلته آلة تكشف بها دلالة النص بابعاده كلها .

يقول أحد الباحثين في هذا المجال : ((وقد ارشدنا الى غاية النحو الحقيقية كثير من العلماء غير النحاة وهم دائماً ممن يعنون بالنصوص وشرحها وتفسيرها . ومن هؤلاء ابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ) الذى يرى ان النحو : ((ترتيب العرب لكلامهم الذى نزل به القران ، وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الالفاظ)) ومن هؤلاء ابو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) الذى يرى ان النحو : ((يفهم به خطاب العرب وعادتهم في الاستعمال الى حد يتميّز بين صريح الكلام ومجمله ، وحقيقته ومجازه ، وعامه وخاصه ، ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده ، ونصه وفحواه ، ولحنه ومفهومه)) ، ويرى الامدى (ت٦٣١هـ) الراى نفسه . ويستعمل مصطلح (علم العربية) الذى تبرز الحاجة اليه في مجال كشف الدلالات التي بها يدرك المراد بقوله :((واما علم العربية فلتوقف دلالات الادلة اللفظية من الكتاب والسنة واقوال اهل الحل والعقد من الامة على معرفة موضوعاتها لغة من جهة الحقيقة والمجاز ، والعموم والخصوص ، والاطلاق والتقييد ، والحذف والاضمار والمنطوق والمفهوم ، والاقتضاء والاشارة والتنبيه والايماء ، وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية)) .(١)

من هنا نرى أن مفهوم النحو أو علم العربية يتجاوز الاطار الذى وضعه له أهل حرفته وهم النحويون إلى الكشف عن أبعاد النص المختلفة بما يؤدى إلى إدراك معناه ومراده على نحو الدقة . ومنه يظهر أن أهل العربية لم يكونوا بمنأى عن هذا الفهم للنحو ووظيفته فهذا ابن جني (ت٣٩٢هـ) يقول في حدّه للنحو : ((انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره ، كالتثنية والجمع ، والتحقير ، والتكسير والإضافة ، والنسب ، والتركيب ، وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن

---

(١) النحو والدلالة ٢١ــ٢٢ . وينظر : الإحكام في اصول الأحكام : لابن حزم ٦٩٣/٢ ، المستصفى ٣٥٢/٢ ، الإحكام في اصول الأحكام : الامدى ٩/١ .

منهم ، وإن شذّ بعضهم عنا رُدّ به إليها)) .[١] ولكنه لم يكن ليتجاوز الاطار التعليمي للنحو المتمثل بالمظهر الشكلي (الاعراب) وبناء الكلمات . على حين أن السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) جعل وظيفة النحو الاساسية نجاح التواصل بين المتكلم والمخاطب (المتلقي) فالوظيفة الأهم هي : أنْ يفهم المتلقي مراد المتكلم وما عناه بكلامه ، يقول السكاكي في النحو :((معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً)) .[٢] فالوظيفة الأهم هي إدراك المعنى (*) وليس التركيب قوالب جامدة تصب فيها ما نريد من كلمات إذ إن الدلالة النحوية أو (المعاني النحوية) ((ترعى الجوانب الفنية والأحوال النفسية لدى من ينشىء الكلام ، وتحتد بتقدير المنشىء لحال من يتلقى عنه ويأخذ منه)) .[٣]

لقد رأى بعض المحدثين [٤] أن أهل النحو الحقيقيين هم أهل المعاني . ويعني علم المعاني الذي ((فصلوه (يعني : البلاغيين) عن النحو فصلا أزهق روح الفكرة ، وذهب بنورها ، وكان أبو بكر (اي : الشيخ عبدالقاهر الجرجاني) يبدي ويعيد أنها معاني النحو ، فسموا علمهم (المعاني) وبتروا الاسم هذا البتر المضلّل))[٥] وبهذا فإن الدكتور المخزومي يرى أنّه على الرغم ((من أن علماء العربية كانوا قد فرقوا بين اختصاص النحاة واختصاص أهل المعاني فإننا نرى الاختصاص واحدا)) .[٦]

((إنّ التعبير القرآني تعبير فني مقصود . كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعاً فنياً مقصوداً ، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كلّه ، ومما يدل على ذلك الاحصاءات التي أظهرتها الدراسات الحديثة والتي بينت بوضوح أن القرآن الكريم إنما حُسب لكل حرف فيه حسابه وانه لايمكن ان يزاد فيه او يحذف منه حرف واحد)) .[٧] . فاذا كان قد حُسب لكل حرف حسابه فالاولى أنْ يكون قد حسب لكل كلمة من كلماته حسابها . ولعل مايقدّمه الفيروز ابادي ههنا يعدّ مصداقاً لذلك .

إنّ المادة التي يقدّمها في الحاشية تكاد تمثل جانباً خاصاً من جوانب دراسة التعبير القرآني والكشف عن مواطن الدقة في اختيار لفظ ما أو حذف لفظ أو تقديمه

---

(١) الخصائص ١/ ٣٤ . (٢) مفتاح العلوم ٢٠٤ .

(*) يعد سيبويه من أوائل من نظر في نظم الكلام والكشف عن معناه ومن ثم استخراج الأحكام النحوية على وفق ذلك المعنى . ينظر : مفهوم الجملة عند سيبويه ٢٣-٣٠ . وظهر الاهتمام بـ (نظم الكلام او المعنى) عند الجرجاني وإن بدا مختلفا عن سيبويه وتبعهما من المحدثين إبراهيم مصطفى الذي دعا إلى إحياء النحو بوساطة النظر في أحكام نظم الكلام ولمعرفة أسرار تأليف العبارة . ينظر : إحياء النحو ٣٠ .

(٣) نحو المعاني ٣٢ . (٤) ينظر : في النحو العربي ٩٨ . (٥) إحياء النحو ١٦ .

(٦) في النحو العربي ٣٥ . (٧) التعبير القرآني ١٢ .

بالنظر إلى مواضع مناظرة حدث فيها العكس .

وسنراعي في هذا الفصل بحث الجوانب المهمة التي برزت في دراسة المتشابة القرآنـــــي مما تناوله الفيروزآبادي .

وستكون هذه المباحث على النحو الآتي :

١ . التقديم والتأخيـــــــر .

٢ . الذكـــــــر والحـذ ف .

٣ . الكناية والتصريح (استعمال الضمائر عوض الاسماء) .

٤ . التعريـــف والتنكيـــــر .

٥ . التذكيـــــر والتأنيـــث .

٦ . التكـــــرار .

٧ . الأدوات النحويـــــة .

المبحث الأول

التقديم والتأخير

يعد التقديم والتأخير من سنن العربية كما يرى أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) فـ ((من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى مقدم))[١] وكان سيبويه[٢] قد اعطى للعلماء من أتى بعده الافكار الاساسية في النظر في هذه الظاهرة وبيان العلة التي ادت الى مثل هذا التحول في الكلام.

ومن الملاحظة ان ظاهرة التقديم والتأخير لم تأخذ حقها من النظر والتأمل عند النحويين إلا بالقدر الذي يرتبط بظاهرة الاعراب ولم ينظر اليه بوصفه اسلوباً من اساليب الكلام، بل إن البلاغيين الذين عنوا باساليب الكلام لم يهتموا به الا شيئاً قليلاً وبقدر تعلقه بحدود الجملة. ((الا ان المفسرين ومن اهتم باسلوب القران الكريم، قد تحدثوا عن انماط متعددة من التقديم، ووضحوا التقديم في الفاظ القرآن الكريم، كاشفين عن المعاني البلاغية في الأسلوب القرآني التي اودعها الله في كتابه العزيز، فكانت دراستهم لموضوع التقديم والتأخير في هذا المجال أكثر عمقاً وأغزر مادةً واكثر فائدةً للدارسين.))[٣]

ويدخل الفيروز آبادي بكتابه (البصائر) في جملة هؤلاء الذين كشفوا عن المعاني البلاغية في الأسلوب القرآني الخاص بالتقديم والتأخير. وكان الفيروز آبادي قد اولى موضوع البحث عناية واضحة بما وقف عليه من التشابه بين آي القران الكريم.

والتقديم والتأخير لدى الفيروز آبادي يمكن تقسيمه الى :

١. التقديم النحوي : ويضم تقديم (المفعول الثاني) و (تقديم الجار والمجرور).

أ. تقديم المفعول الثاني.

قد يفصل المفعول الثاني بين المفعول الأول وبعض توابعه من نحو قوله تعالى : ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (النمل ٦٨) وقال تعالى في موضع آخر : ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾ (المؤمنون ٨٣) فجاء على الأصل من عدم الفصل بين المتبوع وتابعه بفاصل. وقد علّق الفيروز آبادي على ذلك بقوله : ((وقدّم في

---

(١) الصاحبي ٢٤٦. (٢) ينظر : الكتاب ١/١٥ و٣٢ وغيرها.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية ٢/٣٢٦.

(النمل) المفعول موافقة لقوله (ترابا) لأنّ القياس فيه أيضا . ﴿كُنَّا تَحْنُ وَآبَاؤُنَا تُرَابًا﴾ (*) فقدم (ترابا) ليسد مسد (نحن) وكانا متوافقين)) (١). فوجود هذا التقديم مرة والتاخير أخرى يؤدى إلى الكشف عن التركيبات الاخرى التي لم يأت فيها الا صياغة واحدة . هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد توافقت الايتان في ترتيب كلماتها .

ب ـ تقديم الجار والمجرور :

وفي تقديم الجار والمجرور ذكر الفيروزآبادي في المتشابه قوله تعالى : ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ (سورة البقرة ١٧٣) بتقديم (به) في هذه السورة وتأخيرها في سورة المائدة : ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ (المائدة ٣) . وكذلك في سورتي الأنعام ١٤٥ والنحل ١١٥) ، وعلل الفيروزآبادي ذلك بقوله : ((لأن تقديم (الباء) الأصل ؛ فإنها تجري مجرى الألف والتشديد في التعدي ، وكان كحرف من الفعل. وكان الموضع الاول أولى بما هو الأصل ، ليعلم مايقتضيه اللفظ ، ثم قدم فيما سواها ماهو المستنكر ، وهو الذبح لغير الله ، وتقديم ماهو الغرض أولى . ولهذا جاز تقديم المفعول على الفاعل ، والحال على ذي الحال ، والظرف على العامل فيه ، إذا كان أكثر في الغرض في الاخبار)) (٢).

تقوم معالجة الفيروزآبادي للنص القرآني على النظر إليه نظرة تعنى بالوحدة اللغوية فتأتي الأصول في المواضع المتقدمة وتذكر فروعها في مواضع تالية . فكأن من أهداف القرآن تقديم الأنماط اللغوية المتبعة في كلام العرب بالقدر الذي تخدم به الغرض الأساسي وهو الإبلاغ . فكما يُعدّى الفعل بـ (همزة التعدية) يسميها الفيروزآبادي (الألف) وبالتشديد ، فكذلك يُعدّى الفعل بحرف الجر، بمعنى أن الفعل يصل إلى مفعوله بالباء . على أن هناك فرقاً دلالياً بين كل منها (٣) لم يكن ملاحظاً لدى

(*) الآية ٦٧ سورة النمل ، قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ٠٠﴾ ونود الاشارة ههنا إلى إن هَذَوِ الآية توكد حكما نحويا بأنه لايجوز العطف على ضمير الرفع إلا بوجود فاصل مابين الضمير والمعطوف عليه . وجاء الفصل ههنا بخبر كان . ينظر : شرح ابن عقيل ٢٣٧/٣ .

(١) البصائر : ٣٣٢/١ .

(٢) البصائر : ١٥٠/١ ـ ١٥١ .

(٣) ينظر : معاني النحو ٢٠/٣ .

الفيروز آبادي الذي لم يُرد ـ على مايبدو ـ الاشارة إلى المشابهة في الوظيفة النحوية حسب . و لما كان هذا الموضع الأوّل ذكرًا فالموضع الاو ل أولى بأن يذكر فيه الأصل في بناء الجملة . ثم كان التقديم في المواضع الاخرى ليبين ميزته في التقديم وليلحظ غرضه من تقديم ما هو مستنكر وهو الذّبح لغير الله ،وهو أولى بالتقديم لما فيه من العناية والاهتمام . ويستطرد الفيروز آبادي إلى ذكر مواضع جاز فيها التقديم للسبب المذكور ـ آنفا فيجوز تقديم المفعول إذا كان هو الغرض من الكلام ، وكذلك تقديم الحال على صاحب الحال وتقديم الظرف على عامله . وقد عُرف عند النحويين والبلاغيين أن التقديم والتأخير من الأساليب التي تبين الألفاظ التي هي موضع العناية والاهتمام، وقد يتقدم ذكر الجار والمجرور لا لأجل كونه موضع الاهتمام بل لأن بقاءه قد يوقع السامع في اللبس مع ركة في العبارة فقد قال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾ (المؤمنون ٢٤) ، وبعدها قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (المؤمنون ٣٣) . ((لأن صلة (الذين) في الأولى اقتصرت على الفعل وضمير الفاعل ثم ذكر بعده الجار والمجرور ، ثم ذكر المفعول وهو (القول) ، وليس كذلك في الأخرى ، فإن صلة الموصول طالت بذكر الفاعل والمفعول ، والعطف عليه مرة بعد أخرى ، فقدم الجار والمجرور ، لأن تأخيره يلتبس ، وتوسيطه ركيك ، فخص بالتقدم)) .(١)

قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ) : ((ولما أمن هذا الاخلال بالتأخير قال في موضع آخر من السورة : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مثلكم ﴾))(٢) . وهي الآية الأولى . وجعل السكاكي (٣) علة جواز هذا التقديم كون التاخير مؤديا إلى الاخلال بالمقصود ومثل لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الملأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (المؤمنون ٣٣) . فقدم (من قومه) على (الذين كفروا) إذ لو تأخر لتوهم أنه صلة (الدنيا) وحينئذ يشبه الأمر في القائلين أهم من قومه أم لا ؟ فكان التقديم أولى لتأدية التأخير إلى الاخلال ببيان المعنى المراد .

---

(١) البصائر ١/ ٣٣٠ـ ٣٣١ .
(٢) البرهان ٣/ ٢٣٤ .
(٣) ينظر : مفتاح العلوم ٤٤٦ ، التقديم والتأخير في القرآن الكريم ١٢٣ .

ويذكر الفيروزآبادي أن من تقديم (الجار والمجرور) ما العلة فيه موافقة ماتقدمه من نحو التقديم في قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ (فاطر ١٢) قدم الجار والمجرور موافقة لما قبلها من قوله تعالى : ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِياً﴾ (*) (فاطر ١٢) . على حين أنه أتى بالمتشابه مع الآية المتقدمة في موضع آخر على ما يقتضيه القياس من تأخير الجار والمجرور عن المفعول الثاني لـ(ترى) وهو قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فيه ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النحل ١٤) .

وقال الفيروزآبادي : ((ثم ان قوله ((وترى الفلك مواخر فيه)) و ((فيه مواخر)) اعترا من في السورتين يجري مجرى المثل ، ولهذا وحّد الخطاب ، وهو قوله (وَتَرَى) وقبله وبعده جمع ، وهو قوله : (لِتَأْكُلُوا) و (تَسْتَخْرِجُوا) و (لِتَبْتَغُوا) . وفي الملائكة (يعني :فاطر) : (تَأْكُلُونَ) و (تَسْتَخْرِجُونَ) و (لِتَبْتَغُوا) ومثله في القرآن كثير ، منه : ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً﴾ (الحديد ٢٠) وكذلك ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ (الفتح ٢٩) ، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ (الزمر ٧٥) وأمثاله . أي لو حضرت أيها المخاطب لرأيته في هذه الصفة ، كما تقول : أيُّها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، فتأمل فإن فيه دقيقه))(١) .

٢ـ التقديم اللفظي :

يلاحظ ان التقديم الذي مرّ ذكر بعض أمثلته ينظر الى المتقدم أو المتأخر بوصفه وظيفة نحوية في الجملة .

وهناك أمثلة أخرى للتقديم من نوع آثرنا أن نصطلح عليه بـ(التقديم اللفظي) ونعني به : أن تقدم لفظة ما على لفظة أخرى في موضع ، وتتأخر عنها في موضع آخر . مع وجود علاقة قائمة بين اللفظتين . أو أن تأتي اللفظتان في موضعين من الآي المتشابهات بحيث تنفرد لفظة بموضع وتنفرد اللفظة الأخرى بموضع آخر . من ذلك التبادل الذي يحدث بين الثنائيات : (النصارى × الصابئون) ، الشفاعة × العدل) ، (النفع × الضر) ، (اللهو × اللعب) ، (كبر السن × عقر المرأة) ، (المغفرة × العذاب) ، (العذاب × الرحمة) ، (السموات × الارض) (السماء × الأرض) ، (الليل × النهار) ، (المال × النفس) ، (هارون × موسى) ، (موسى × هارون) .

(*) يبدو أن الفيروزآبادي قد سها سهنا فاورد قوله تعالى : ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً﴾ (النحل ١٤) والصواب ماذكرناه في اعلاه .

(١) البصائر ١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ .

ونحاول فيما يأتي تسليط الضوء على ذكر بعض الأمثلة التي وردت في (البصائر) : فمن ذلك تقديم لفظة على أخرى وتأخيرها عنها من المتشابه انه قدّم (النصارى) على (الصابئين) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾ (سورة البقرة ٦٢) وتقديم (الصابئين) على (النصارى) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ (المائدة ٦٩) ، وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (الحج ١٧) ويرى الفيروز آبادي أن يعلل هذا الامر بالرجوع إلى الجهة المنظور إليها منها بقوله : ((لأن (النصارى) مقدّمون على (الصابئين) في الرتبة ؛ لأنهم أهل الكتاب فقدّمهم في البقرة ، و(الصابئون) مقدمون على (النصارى) في الزمان ؛ لأنهم كانوا قبلهم فقدّمهم في الحج ، وراعى في المائدة المعنيين ، فقدّمهم في اللفظ ، وأخرهم في التقدير ؛ لأن تقديره : والصابئون كذلك ، ...))[1] بمعنى أنّ ترتيب الطوائف في الآية الأولى كان على حسب ترتيب كتب الله المنزلة ، فالمعنى المترتب ، الذين امنوا بكتب الله المتقدمة كصحف ابراهيم وتوراة موسى (عليه السلام) وهم اليهود ، وانجيل عيسى (عليه السلام) وهم النصارى ، فرتبهم عز وجل على مارتبهم عليه في ارسالهم رسلاً وانبياء ، ثم ذكر (الصابئين) وهم الذين لا يثبتون على دين ، وأما الترتيب في الآية الثانية فكان على حسب الازمنة ، لأن (الصابئين) وإن كانوا متأخرين عن (النصارى) فهم متقدمون عليهم بكونهم قبلهم لأنهم كانوا قبل عيسى (عليه السلام) ، وأما الترتيب الثالث في (الحج) فهو ترتيب حسب الازمنة التي لا تبعة للتاخير معه ، لأنه لم يقصد أهل الكتاب فاكثر هذه الطوائف المذكورة لا كتب لهم ، وهم الصابئون والمجوس والذين أشركوا من عبدة الاوثان .[2]

وقدّم (الشفاعة) على (العدل) في قوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ (سورة البقرة ٤٨) ، وقدّم (العدل) على (الشفاعة) في الآية الأخرى من السورة نفسها وأخّر الشفاعة بقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ .(*)

وفي ذلك يقول الفيروز آبادي : ((وإنما قدّم (الشفاعة) قطعاً لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم ، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله ، وأخّرها في الآية الأخرى لأن التقدير في الآيتين

---

(١) البصائر ١/ ١٤٤ ـ ٤١٥ .
(٢) ينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم ١٥١ .
(*) الآية ١٢٣ .

معاً لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة ، لان النفع بعد القبول • وقدم (العدل) في الآية الاخرى ليكون لفظ القبول مقدماً فيها •))[١]

وفصّل الفيروز آبادي الكلام على التقديم والتأخير في اللفظتين (النفع والضر) حيث وقف على المتشابه من قوله تعالى : ﴿قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (الأعراف ١٨٨) وقوله تعالى : ﴿قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (يونس ٤٩) فبيّن علة ذلك بقوله : ((لأن أكثر ما جاء في القرآن من لفظ (الضر والنفع) معاً جاء بتقديم لفظ (الضر) ، لان العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه اولاً ، ثم طمعاً في ثوابه ثانياً • يقويه قوله ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ (السجدة ١٦) وحيث تقدم (النفع) تقدم لسابقة لفظ تضمن نفعاً •

وذلك في ثمانية مواضع • ثلاثة منها بلفظ الاسم ، وهي هنها[٢] والرعد[*] وسبأ[**] وخمسة بلفظ الفعل وهي في الأنعام : ﴿مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾[٣] ، وفي آخر يونس : ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ .[٤] وفي الأنبياء : ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [٥] وفي الفرقان : ﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ .[٦] وفي الشعراء : ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ .[٧] أما في هذه السورة (يعني : الأعراف) فقد تقدمه ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ﴾ [٨] فقدم (الهداية) على (الضلالة) • وبعد ذلك ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾[٩] فقدم (الخير) على (السوء) فلذلك قدم (النفع) على (الضر) وفي الرعد ﴿طَوْعاً وَكَرْهاً﴾[١٠] فقدم (الطوع) ، وفي سبأ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[١١] فقدم • وفي يونس قدم (الضر) على الأصل ولموافقته ماقبلها ﴿لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[١٢] وفيها ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ﴾[١٣] فتكرر في الآية ثلاث مرات ...))[١٤]

---

(١) البصائر ١٤٢/١ •
(٢) الأعراف ١٨٨ •
(*) قوله تعالى : ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾ الآية ١٦ ، والصواب : في الرعد •
(**) قوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾ الآية ٤٢ ، والصواب : وفي سبأ

(٣) الآية ٧١ • (٤) الآية ١٠٦ • (٥) الآية ٦٦ •
(٦) الآية ٥٥ • (٧) الآية ٧٣ • (٨) الآية ١٧٨ •
(٩) الآية ١٨٨ • (١٠) الآية ١٥ • (١١) الآية ٣٦ •
(١٢) الآية ١٨ • (١٣) الآية ١٢ • (١٤) البصائر ٢٢٠/١ ، وينظر : ٣٤٢/١ •

فالفيروز ابادى يرجح تقديم (النفع) مراعاة للسياق اللغوى المتقدم على الاية • ويكون تقدم (الضر) هو الأصل فلا يحتاج الى تعليل لانسجامه مع الطبيعة الانسانية وتوجهها نحو خالقها • فعلى سبيل المثال : قوله تعالى : ﴿قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (يونس ٤٩) وقوله ايضاً : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ (يونس ١٢) فقدم (الضر) على (النفع) في الآيتين • ويأتي بعده هذه الاية وهي قوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس ٥٠) • وقد سبقت اية اخرى كان تقديم (الشر) فيها على (الخير) ، وهو قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ (يونس ١١) • فكان المناسب تقديم (الضر) على (النفع) •

وجاء في بيان قوله تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (الأنعام ٣٢) قوله : ((قدم (اللعب) على (اللهو) في موضعين هنا ، وكذلك في القتال[1] (يعني : سورة محمد) والحديد[2] ، وقدم (اللهو) على (اللعب) في الأعراف[3] ، والعنكبوت[4] ، وانما قدم (اللعب) في الأكثر ، لأن اللعب زمانه الصبا واللهو زمانه الشباب ، وزمان الصبا قدم على زمان الشباب • يبينه ماذكر في الحديد (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب) كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الشباب (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر) كتفاخر الاخوان (وتكاثر) كتكاثر السلطان • وقريب من هذا تقديم لفظ (اللعب) على (اللهو) قوله تعالى : ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ، لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ (الأنبياء ١٦ ، ١٧) ، وقدم (اللهو) في (الاعراف) لأن ذلك في القيامة ، فذكر على ترتيب ما انقض ، وبدأ بما به الانسان انتهى من الحالتين ، وأما العنكبوت فالمراد بذكرها زمان الدنيا ، وانه سريع الانقضاء قليل البقاء ، وان الدار الآخرة لهي الحيوان ، أي الحياة التي لابداية لها ، فبدأ بذكر (اللهو) لانه في زمان الشباب ، وهو اكثر من زمان اللعب ، وهو زمان الصبا))[5] •

---

(١) قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ الآية ٣٦ •
(٢) قوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ﴾ الآية ٢٠ •
(٣) قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ الآية ٥١ •
(٤) قوله تعالى : ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ الآية ٦٤ •
(٥) البصائر ١/١٩٢ ـ ١٩٣ •

فالتقديم والتاخير خضع ههنا لسياق الحال وهو المفهوم من قول الفيروز ابادي

((... لان ذلك في القيامة)) وقوله : ((فالمراد بذكرها زمان الدنيا)) وقد فهم ذلك من السياق اللغوي الذي أتت فيه اللفظتان .

ومما ورد من المتشابه من سورة (آل عمران) قوله تعالى حكاية على لسان زكريا (عليه السلام) : ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ (آل عمران ٤٠) بتقديم كبر السن أو سنه وتأخير وصف امرأته بأنها عاقر ، وقوله في سورة مريم : ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً ﴾ (مريم ٨) . وفي هذا يقول الفيروز آبادي : ((قدم ذكر المرأة لان في (مريم) قد تقدم ذكر (الكبر) في قوله ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ (مريم ٤) ، وتأخر ذكر (المرأة) في قوله : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً ﴾ (مريم ٥) ثم أعاد ذكرهما ، فأخر ذكر (الكبر) ليوافق (عتيا) مابعده من الآيات وهي ﴿ سَوِيًّا ﴾ (١) و﴿ عَشِيًّا ﴾ (٢) و﴿ صَبِيًّا ﴾ (٣))) . (٤)

إذ يلاحظ أن علّة التأخير تعتمد ههنا على مراعاة الإنسجام بين الفواصل القرآنية . مع مناسبة ذلك لتقديم ما تأخر ، وتأخير ماتقدم كما مر في الآية المتقدمة .

وجاء تقديم فعل (المغفرة) على فعل (العذاب) من نحو قوله تعالى : ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (سورة البقرة ٢٨٤) وهو المتبع في ماجاء من الآيات الا ماجاء في (المائدة) وفي ذلك يقول الفيروز آبادي : ((يغفر مقدم هنا وفي غيرها إلا في (المائدة) ، فإن فيها : ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ (المائدة ٤٠) لانها نزلت في حق السارق والسارقة وعذابهما يقع في الدنيا فقدم لفظ (العذاب) ، وفي غيرها قدم لفظ (المغفرة) رحمة منه سبحانه ، وترغيبا للعباد في المسارعة الى موجبات المغفرة ...)) . (٥)

وجاء تقديم فعل (العذاب) على فعل (الرحمة) بقوله تعالى : ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ﴾ (العنكبوت ٢١) في هذه السورة حسب وعلل الفيروز آبادي ذلك بقوله : ((لأنّ ابراهيم خاطب به نمرود وأصحابه ، وأن العذاب وقع بهم في الدنيا)) (٦) لقد جاء تقديم المغفرة والرحمة متناسباً مع مايليق بالله سبحانه وتعالى ومع ما نطقت به الآية

---

(١) الآية ١٠ .
(٢) الآية ١١ .
(٣) الآية ١٢ .
(٤) البصائر ١/١٦٢ .
(٥) البصائر ١/١٥٥ .
(٦) البصائر ١/٣٦١ .

المباركة من قوله تعالى : ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(الأعراف ١٥٦) فجعل الله رحمته عامة وعذابه خاصاً ، وماورد من الآيات ينطق بذلك • فتقديم (الرحمة) أو (المغفرة) لا يحتاج الى مسوّغ لانه عام ولكن تقديم (العذاب) يحتاج الى مايسوغه لكونه خاصاً • ويكشف السياق مالكل من الآيتين عن هذه الخصوصية • وقد أجاب صاحب الكشاف عن تقديم فعل (العذاب) على فعل (المغفرة) في (المائدة) بقوله : ((لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة)) •(١)

ويقول ابن الزبير الاندلسي (ت ٧٠٨ هـ) : ((إن هذه الآية لما تقدّمها قوله : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً﴾ (المائدة ٣٣ـ٣٤) ثم بعد ذلك قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة ٣٨) فقدّم في هاتين القضيتين من خبر المحاربين والسارقين ذكر تعذيبهم جزاءً على فعلهم ، ثم ذكر المغفرة لهم إنْ تابوا ، وأتبع ذلك بقوله : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (المائدة ٤٠) • وبناؤها على ماتقدم قبلها يليها كما تبين ، فقدم ذكر (العذاب) على (المغفرة) لمناسبته لما اتصلت به وبنيت عليه • وأما الآي الاربع (*) فلم يقع قبل شيء منها ذكرٌ مثلُ الواقع في سورة المائدة)) •(٢)

ونكتفي بهذا القدر من أمثلة التقديم اللفظي ، ونحيل على ماوقف عليه الفيروز آبادي من أمثلة تقديم (الأرض) على (السماء)(٣) ، وتقديم (السموات) على (الأرض)(٤) ، وكذلك تقديم (الأموال) أو (الأنفس)(٥) ، وتقديم ذكر (فرعون) وتأخيره في بعض الآيات •(٦) وأخيراً تقديم (الليل) على (النهار) •(٧)

---

(١) الكشاف ١/٦١٢ •

(*) يعني بها الآيات :
قوله تعالى : ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (سورة البقرة ٢٨٤) •
وقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (آل عمران ٩ ١٢٩) •
وقوله تعالى : ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (المائدة ١٨) •
وقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (الفتح ١٤) •

(٢) ملاك التأويل ١/٩ ١٣ـ١٤٠ •
(٣) ينظر : البصائر ١/٢٤٤ و٢٧٠ •
(٤) ينظر: البصائر ٢/٣٨٣ •
(٥) ينظر: البصائر ١/٢٢٥ـ٢٢٦ و٢٣١ـ٢٣٢ •
(٦) ينظر: البصائر ١/٢١٧ ـ ٢١٨ •
(٧) ينظر : البصائر ١/٣٥٧ •

المبحث الثاني

الذكر والحذف

يعدّ الذكر والحذف من المواطن التي تتفاضل بها التعبيرات وتكمن ميزته في معرفة المكان الأنسب لذكر هذه الكلمة أو عدم ذكرها . ويرتبط هذا الموطن بأسس أولى هي الأصل المتمثل بأنّ الذكر هو الأصل والحذف فرع عنه . كما أنّ الأصل الا يقدم ما حقه التأخير وانما تقديمه فرع عنه . وهكذا فعدم التكرار هو الأصل والتكرار فرع . وهذه النظرة التحليلية لبناء الجملة هي التي تعطي القدرة على ملاحظة الفروع وهو ماعبّر عنه النحويون في أكثر من موضع (بأمن اللبس) أو (وضوح المعنى) .

فمن مواضع الذكر والحذف في المتشابه ماورد من حذف مفعول (وعد) في آية وذكره في آية أخرى ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة ٩) وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجراً عَظِيماً ﴾ (الفتح ٢٩) وفي ذلك يقول الفيروز آبادي : ((رفع مافي هذه السورة (يعني : المائدة) موافقة لفواصل الآي ، ونصب مافي (الفتح) موافقة للفواصل ايضاً ، ولأنّه مفعول (وعد) ، وفي مفعول (وعد) في هذه السورة أقوال أحدها : محذوف ، وقوله دل عليه (وعد) خلاف مادل عليه (أوعد) أي (خيراً) . وقيل : محذوف ، وقوله : (لهم مغفرةٌ) تفسيره . وقيل : (لهم مغفرة) جملة وقعت موقع المفرد ومحلها النصب كقول الشاعر :

وَجَدنا الصَالِحِينَ لَهُمْ جزاءٌ ... وجناتٍ وعيناً سلسبيلا

فعطف (جناتٍ) على محل (لهم جزاءٌ) . وقيل : رفع على الحكاية ، لأنّ الوعد قول ، وتقديره قال الله : لهم مغفرة ، ...)) .(١)

والملاحظ أنّ الفيروز آبادي أرجع هذا الحذف والذكر الى مقتضيات السياق الصوتي لفواصل الآيات القرآنية . وهي مسألة واضحة في تحليل النص القرآني من سورة سبقتها فواصل : رحيمٌ (آية ٤) ، الخاسرين (آية ٥) ، تشكرون (آية ٦) ، الصدور (آية ٧)

---

(١) البصائر ١/١٨١ .

تعملون (آية ٨) • وتلتها : الجحيم (آية ١٠) ، المؤمنون (آية ١١) ، السبيل (آية١٢) ، المحسنين (آية ١٣) .(١)

أما الآية من سورة الفتح فقد سبقتها فواصل : اليماً (آية ٢٥) ،عليّاً (آية ٢٦) ، قريباً (آية ٢٧) ، شهيداً (آية ٢٨) .(٢)

وقد توقف عند انسجام الفواصل القرآنية في السورة الواحدة علماء البلاغة والاعجاز القرآني • فهذا الرّماني (ت ٣٨٦هـ) يصف فواصل القرآن بأنها : ((كلها بلاغة وحكمة ؛ لأنها طريق الى افهام المعاني التي يُحتاج اليها في أحسن صورة يدل بها عليها...))(٣) كما أنّ ((الفاصلة في الآية كالقافية في الشعر)) .(٤) وتجدر الاشارة هنا إلى أنّ نظرة العلماء (٥) الى الفاصلة القرآنية تكون على قسمين : الأول : على الحروف المتجانسة • والثاني : على الحروف المتقاربة • فمثال الأول : قوله تعالى : ﴿ طه ، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ، إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ (سورة طه ١، ٢ ، ٣) وقوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴾ (الطور ١، ٢) • ومثال الثاني الميم مع النون في قوله تعالى :﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (الفاتحة ٣ ، ٤) ، والدّال مع الباء في قوله تعالى : ﴿ قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ (سورة ق ١) ثم يقول : ﴿ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (سورة ق ٣) • فاذا علمنا هذا جاز للفيروز آبادي تسويغ ماذكره من مراعاة فواصل (سورة المائدة) على اختلاف حروفها الأخيرة •

وتبرز ميزة التعبير القرآني المعجز أنه مع مراعاة الفاصلة القرآنية وهي مسألة توافق لفظي أو إيقاعي لايكون ذلك على حساب الجانب الدلالي ووضوح المعنى بل تمامه، وهي مسألة أشار إليها الفيروز آبادي حين ذكر الآراء التي قيلت في حذف مفعول (وعد) فمرة بتقابله مع (أَوْعَدَ) ، ومرة لوجود مايفسّره وهو قوله (لهم مغفرة) • وهذا المسلك بين المنحى الذي يتخذه التحليل النحوي للنص بأن يراعى الجانب المعنوي بصورة رئيسة •

---

(١) أي إن الفواصل التي سبقتها أوتلتها كلها أم مرفوع مسنون أو مجرور أم منتهٍ بنون جمع مذكر سالم أو نون فعل من الأفعال الخمسة •

(٢) إنّ جميع فواصل الآيات القرآنية في سورة الفتح منصوبة من قوله تعالى في الآية الأولى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (آية ١) • الى قوله تعالى في الآية الأخيرة : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الآية ٢٩) •

(٣) النكت في إعجاز القرآن ٩٨ •

(٤) الصلة بين القافية وفواصل الآي القرآني ٨٣• (بحث منشور)

(٥) ينظر : النكت في إعجاز القرآن ٩٨ ، البصائر ١/ ٧٠ •

على أن من الآراء ماذهب الى أنّ مفعول (وعد) لم يحذف وهو قوله (لهم مغفرة) جملة اسمية وقعت في محل نصب إذ يقول الفيروزآبادي : ((وقيل : (لهم مغفرة) جملة وقعت موقع المفرد ومحلها نصب ، كقول الشاعر :

وجدنا الصالحين لهم جزاءٌ وجناتٍ وعيناً سلسبيلا ".

فعطف (جناتٍ) على محل (لهم جزاءٌ)))[1] . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن الأقوال تتعاقب فيقول : ((وقيل : رفع على الحكاية ، لأن الوعد قول ، وتقديره : قال الله : لهم مغفرة . وقيل : تقديره : إنّ لهم مغفرة . فحذف (إنّ) فارتفع مابعده)) .[2]

وعلى الرغم من غلبة الصناعة النحوية على هذه الآراء فانها في الوقت نفسه تعبّر عن مراعاة الجانب المعنوي . ونرى أن قيام الجملة مقام مفعول (وعد) هو الأجدر بالاعتبار فإنه أبعد عن التأويل والقول بالحذف مع وجود مايسوغ هذا الاستعمال من كلام العرب وكلام الله ((إنما جاء على مايقتضيه كلام العباد))[3] على مايقول سيبويه .

وقد يراعى جانبٌ آخر غير الفاصلة في الحذف فمن ذلك مراعاة السياق اللغوي للنص القرآني في حذف لفظ كالمستثنى فمن ذلك قوله تعالى : ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ (هود ٨١) استثنى في هذه السورة من الأهل قوله ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ (هود ٨١) ولم يستثن في سورة الحجر في قوله تعالى : ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ (الحجر ٦٥) .

وسوّغ الفيروزآبادي ذلك بقوله : ((اكتفاءً بماقبله ، وهو قوله : ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ، إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ (الحجر ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠) فهذا الاستثناء الذي انفردت به سورة الحجر قام مقام الاستثناء من قوله : ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وزاد في الحجر ﴿ واتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ (الحجر ٦٥) ، لأنه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بحاجتهم ، ولا يخفى عليه حالهم)) .[4]

فقد تقدم استثناء امرأة لوط من الناجين فلم تكن حاجة لاعادته . وفي قوله تعالى : ﴿ واتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ بعد الآية من الحجر لمحة لطيفة تبيّن علم لوط بوقوع الاستثناء . وهذه

---

(١) البصائر ١/١٨١ .
(٢) البصائر ١/١٨١ .
(٣) الكتاب ١/١٦٧ .
(٤) البصائر ١/٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

الصورة التي يرسمها القرآن لخروج آل لوط في الحجر تعزز تكامل الجملة الدلالي مع حذف أحد أجزائها .

وقد تدخل (كان) على الجملة في كثير من الآيات المتشابهة من نحو قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ (الأحزاب ٣٤) ، و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً﴾ (الأحزاب ٥٢) ، و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ (الأحزاب ٢٥) ، و﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء ٧ ، ١٧ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١٧٠ ، الفتح ٤) .

ولعل السؤال يكمن ههنا في أن (كان) تعمل على جعل اتصاف المبتدأ بالخبر في الزمن الماضي . ويمكن أنْ تصح الجملة في هذه الآيات من غير وجودها فلماذا إذن — أدخلت ؟؟ .

يرى الفيروز آبادي أنّ مراعاة الفواصل القرآنية هي التي اقتضت دخول (كان) اذ قال فيه : ((وهذا من باب الاعراب ، وأنما نصب لدخول (كان) على الجملة ، فتفردت السورة وحسن دخول (كان) عليها ، مراعاة لفواصل الآي . والله اعلم)) .(١)

يلاحظ أنّ الفيروز آبادي لم يعرض للأثر الدلالي المترتب على استعمال (كان) بل اكتفى بالاشارة الى الأثر الايقاعي المتمثل بمراعاة الفواصل . مما قد يشير الى أنه لا يرى أثراً لـ (كان) من الناحية الزمنية . ولعل هذا يتوافق مع رأي من يرى أنّ (كان) في مثل هذه الاستعمالات ترادف (لم يزل) . على أن الكلام في هذا الموضوع متشعب وواسع ولعل الرأي الأرجح (٢) ماذهب اليه الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) من أنه لادلالة لـ (كان) في نفسها على انقطاع اتصاف المبتدأ بالخبر ولابقائه ، بل تقرر ذلك طبيعة الاخبار فإن كان الاخبار عن صفة ذاتية لله فالمراد الاخبار عن وجودها في الازل نحو كان الله خالقاً ورازقاً ومحيياً ومميتاً ، وتارة تحقيق نسبته اليه ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء ٧٩) وتارة ابتداء الفعل وانشاؤه نحو ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص ٥٨) . ويقول الزمخشري عند قوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران ١١٠) ، (((كان) عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليلٌ على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (النساء ٩٦) ومنه قوله تعالى :

---

(١) البصائر ١/٣٨٠ .

(٢) ينظر : معاني النحو ١/٢٢٦ ـ ٢٣٨ .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ كأنه قيل : وجدتم خير أمة)) .(١)

ومن مواطن الذكر والحذف ذكر ضمير الفصل في بعض الآيات وعدم ذكره في آيات أخرى . وقد بيّن الفيروز آبادي أن ذلك يقع على وجهين هما : الأول : ﴿ ذَلِكَ الفَوزُ ﴾ بغير (هو) ووقع في القرآن في ستة مواضع . في براءة موضعان (٢)، والمائدة (٣)، والصف (٤)، والتغابن (٥)، ومافي النساء (٦) ﴿ وذلك ﴾ بزيادة (الواو) .

والثاني : ﴿ ذَلِكَ هُوَ ٱلفَوزُ ﴾ بزيادة (هو) . ووقع ذلك في ستة مواضع ايضاً هي : في براءة موضعان (٧)، وفي يونس (٨)، والمؤمن (٩)، والدخان (١٠)، والحديد (١١)، وما في براءة والمؤمن بزيادة (الواو) .

وعلل الفيروز آبادي ذكر (الواو) والضمير بقوله : ((والجملة إذا جاءت بعد جملة من غير تراخٍ بنزول جاءت مربوطة بما قبلها إما بواو العطف وإما بكناية تعود في الثانية على الأولى . وأما باشارة فيها اليها ، وربما يجمع بين اثنين منها ، والثلاثة للدلالة على مبالغة فيها . ففي السورة ﴿ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ ﴾ (*) و ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ ﴾ (**) وفيها ايضاً ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ ﴾ فجمع بين اثنين . وبعدهما ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ ﴾ فجمع بين الثلاثة ، تنبيها على أنّ الاستبشار من الله يتضمن رضوانه ، والرضوان يتضمن الخلود في الجنات)) . (١٢)

---

(١) الكشاف ١/ ٤٠٠ .
(٢) قوله تعالى ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ٨٩ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ١٠٠ .
(٣) قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ١١٩ .
(٤) قوله تعالى : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ١٢ .
(٥) قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ٩ .
(٦) قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ١٣ .
(٧) قوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ٧٢ ، و ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ١١١ .
(٨) قوله تعالى : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ذَلِكَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ٦٤ .
(٩) قوله تعالى : ﴿ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ٩ .
(١٠) قوله تعالى : ﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ٥٧ .
(١١) قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ ٱلفَوزُ العَظِيمُ ﴾ الآية ١٢ .
(*) سورة التوبة الآية ٦٣ .
(**) الآية ١٠٠ (ذلك) وردت هكذا في المطبوع والصحيح أنها قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ .
(١٢) البصائر ١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

فالفيروز آبادي يحيل هذا الذكر الى عملية ربط جملة بجملة فكلما بولغ في ربط دلالة الجملتين على المعنى نفسه تعددت وجوه ذلك الربط • فاضيف الى الضمير (الواو) اسم الاشارة • ويلاحظ أنَّ هذا التعليل يتوجه نحو تأكيد توجه الجملتين على المعنى الواحد •

ووقف عند المتشابه بين قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ (آل عمران ٥١) وكذلك في سورة مريم [١] وفي الزخرف من هذه القصة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ (الزخرف ٦٤) بزيادة (هو) فبيّن دلالة الحالتين بقوله نقلاً عن تاج القراء (ت ٧٨٦هـ) (يعني الكرماني) : ((اذا قلت : زيد قائم فيحتمل أنْ يكون تقديره • (وعمروقائم) • فاذا قلت : زيد هو القائم خصصت القيام به ، وهو كذلك في الآية وهذا مثاله لأنَّ (هو) يذكر في هذه المواضع إعلاماً بأنَّ المبتدأ مقصور على هذا الخبر وهذا الخبر مقصور عليه دون غيره والذي في (آل عمران) وقع بعد عشر آيات في قصة مريم وعيسى ، فاستغنت عن التأكيد بما تقدّم من الآيات ، والدلالة على أن الله سبحانه وتعالى ربّه وخالقه لا أبوه ووالده كما زعمت النصارى ، وكذلك في سورة (مريم) وقع بعد عشرين آية من قصتها • وليس كذلك ما في (الزخرف) فإنه ابتداء كلام منه فحسن التأكيد بقوله (هو) ليصير المبتدأ مقصوراً على الخبر المذكور في الآية وهو اثبات الربوبية ونفي الأُبوة...)) [٢]

ويرى أحد الباحثين [٣] أنَّ زيادة ضمير الفصل (هو) في آية (الزخرف) دون الآية الأُخرى ذلك إنَّ آية (الزخرف) قيلت في سياق عبادة عيسى (عليه السلام) واتخاذه الهاً بخلاف غيرها فناسب ذلك تاكيد ربوبية الله له •

ومسألة إفادة ضمير الفصل اختصاص الخبر بالمبتدأ من جملة فوائد وأغراض لاستعمال ضمير الفصل ولعل تلك الفوائد والاغراض تدور حول معنى عام هو توكيد المضمون • ففي سورة (براءة) قال تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة ١٠٠) ، وقال تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) الآية ٣٦ •
(٢) البصائر ١/١٦٣ـ١٦٤ •
(٣) ينظر : التعبير القرآني ١٣٤ •

وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة ٧٢) .

((فانظر الى الفرق بين الآيتين فقد جاء بإحداهما بضمير الفصل دون الأخرى وذلك أنّه لما عدل عن قوله ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ الى قوله ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ فجاء بالجملة الاسمية الدّالة على الثبوت والستي هي أقوى من الفعلية ثم أخبر بأنّ رضوان الله أكبر من الجنات وملذاتها ناسب عظم ذلك المجيء بضمير الفصل فقال ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾)) .(١) هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يرى الدكتور فاضل السامرائي أنه زاد على (الجنّات) ذكر (المساكن الطيبة في جنات عدن) فقال : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ فقد ذكر الجنة وذكر علاوة على ذلك المساكن الطيبة فناسب ذلك أن يزيد في توكيد الفوز . ومن ناحية ثالثة أنّه ذكر (من) في الآية الثانية دون الأولى لأنّ معنى (من) هنا الابتداء أي إنّ الأنهار تتفجر من تحتها وهذه الحالة أكمل من الحالة الأولى فإنه قال فيها ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴾ فانه ذكر أنّ الانهار تجري تحتها ، وليس بدء الجريان منها فناسب كل ذلك زيادة ضمير الفصل لتوكيد (الفوز) وعظمته . فسبحان الله العظيم . ما أجلّ هذا الكلام وما اعظمه ! وما افخمه !.(٢)

وقد يذكر ضمير الفصل لرفع اللبس كما في قوله تعالى : ﴿ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل ٧٢) بضمير الفصل (هم) وجاء في سورة العنكبوت : ﴿ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ ـ (العنكبوت ٦٧) من غير أنْ يذكر فيها (هم) . ويعلل الفيروزآبادي ذلك بقوله : ((لأنّ هذه السورة (يعني : النحل) اتصل الخطاب ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾(٣) ثم عادَ الى الغيبة فقال : ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾(٤) فلابد من تقييده بـ (هم) لئلا يلتبس الغيبة بالخطاب والتاء بالياء ، وفي (العنكبوت) اتصل بآيات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى تقييده بضمير)) .(٥)

فاللبس رُفع بذكر ضمير الغائبين (هم) إذ لولا ذلك لاحتمل أنْ يكون الضمير في (يكفرون) راجعاً الى المخاطبين في (لكم ، انفسكم ، رزقكم) أو الى الغائبين في (يؤمنون)

---

(١) معاني النحو ١/٥٥ .
(٢) ينظر : التعبير القرآني ١٣٣ .
(٣) الآية : ٧٢ .
(٤) الآية : ٧٢ .
(٥) البصائر ١/٢٨٦ .

فلما قال (بِنِعْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) علم أن المعني هم الغائبون .

ومن مواضع الذكر والحذف التي أوردها الفيروزآبادي في المتشابه من آي القرآن الكريم ذكر (من) في آية وعدم ذكرها في آية أخرى . فقد جاء في سياق تحدّي الله المشركين أن يأتوا بمثل القرآن قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (سورة البقرة ٢٣) بذكر (مِنْ) التبعيضيّة وحذفها في قوله تعالى :﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ (يونس ٣٨) . ويعود ذكرها إلى ورودها في هذا الموضع من القرآن المتمثل في سورة (البقرة) التي تسمى (سنام القرآن) (*). ومعنى ذلك أن تقدُّم موضعها رجح ذكرها ليكون التحدّي واقعا على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره . على حين أنها لم تذكر في الموضع الثاني في سورة(يونس) لأنها لا تمتلك هذه الخصوصية في الموضع. قال الفيروزآبادي: ((لأنّ (من) للتبعيض ، وهذه السورة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة، فحسن دخول (من) فيها ، ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن، من أوله إلى آخره ، وغيرها من السور لو دخلها (من) لكان التحدي واقعاً على بعض السور دون بعض. والهاء في (مثله) يعود إلى القرآن، وقيل : يعود إلى محمّد (صلّى اللّه عليه وسلّم)، أي فأتوا بسورة من إنسان مثله . وقيل : إلى الانداد ، وليس بشيء . وقيل : مثله التوراة، والهاء يعود إلى القرآن ، والمعنى :فأتوا بسورة من التوراة التي هي مثل القرآن لتعلموا وفاقهما)) (١) .

وهناك من يرى (٢) أن (من) زائدة بدليل قوله تعالى :﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ (يونس ٣٨) وعلى هذا فإن(الهاء) تعود إلى قوله (ما) أي : فأتوا بسورة من مثل ما نزّلنا على عبدنا محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) .

ومن ذلك ذكر (أنْ) في آية وحذفها من أخرى مشابهة لها ، فمثال ما حذفت منه قوله تعالى : (وَأَلْقِ عَصَاكَ) (النمل ١٠) وأثبتت في قوله تعالى :﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ (القصص ٣١) وعلّل ترك ادخالها بالعودة إلى انسجام الكلام وحسنه من غير أن يكون خصيصة دلاليّة ليكون بناء النص من الناحية الشكلية متجانسا من غير أن يؤخذ بالاعتبار ـ جانبه الدلالي .((لأنّ في هذه السورة (يعني :النمل) :﴿ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ، وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ (٣) فحيل بينهما بهذه الجملة فاستغني عن إعادة (أنْ)، وفي القصص﴿ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ (٤) . فلم يكن بينهما جملة اخرى عطف بها على الاول ، فحسن ادخال (أن))) (٥) .

وقد يعود أمر ذكر بعض الأدوات وحذفها إلى متطلبات نحوية من نحو ما ذكره الفيروزآبادي في المتشابه من قوله تعالى :﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (الصافات ٣٥) مع قوله تعالى :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (محمد ١٩) فقد أثبت (أنّ) في الثانية وحذفها في الآية المتقدمة؛ وذلك ((لأن ما في هذه السورة (يعني :الصافات) وقع بعد القول فحكي ، وفي (القتال) (وهي سورة محمد) وقع بعد العلم فزيد قبله (أنّه) ليصير مفعول العلم ، ثم يتصل به مابعده)) (٦) فيكون سادّا مسدّ مفعول (اعلم) .

(*) "السنام من السنم وهو رأس شجرة من دق الشجر على رأسها شبه ما يكون على راس القصب " العين ٧/٢٧٢ ، وعليه فسورة البقرة رأس القرآن .
(١) البصائر ١/١٣٩ـ١٤٠ .
(٢) ينظر: إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٢/٥٥٢ .
(٣) الآية ٨، ٩، ١٠ . (٤) الآية ٣٠، ٣١ .
(٥) البصائر ١/٣٥٠ . (٦) البصائر ٦/٣٩٥ .

المبحث الثالث

الكناية والتصريح

مظهر آخر من مظاهر البيان القرآني يوظف فيها النظام النحوي لخدمة المعنى الذي يتوخاه النص القرآني . ونريد بـ(الكناية) أنْ يذكر الضمير العائد على الاسم المكني عنه .

أما التصريح فهو بخلاف الكناية بمعنى انه يذكر الاسم لا ضمير العائد . وتطلق الكناية على الضمير نفسه فيسمى (كناية) ، ولا يكفي إلا أنْ يكون الاسم معلوماً وهو المشهور عند النحويين .

وقد بيّن الفيروزآبادي ذلك ايضا بقوله : ((... لأن الكناية يتقدم عليها الاسم الظاهر نحو : ضرب زيد عمرا ، فان كنيته عن عمرو قدمته ، نحو : عمرو ضربه زيد . وكذلك : زيد اعطاني درهما من ماله ، فان كنيت عن المال قلت : المالُ زيدٌ اعطاني منه درهماً)) .(١)

وقد حوى النص القرآني اسلوباً آخر غير ماسبق وذلك أنْ يذكر الضمير ولا يعرف الاسم الذي يعود عليه ايضاً ، بأن يكون هناك غموض في معرفة مرجع الضمير .(٢)

والملاحظة التي يجب التنبه عليها ههنا أنَّ (الكناية والتصريح) يتم النظر اليهما في ضوء تقابل استعمالين جاءا في القرآن الكريم بالكناية مرة وبالتصريح مرة أخرى ، على أنّ بعض الاستعمالات قد تتداخل مع (الذكر والحذف) ولكننا رأينا من الأنسب ذكرها ههنا إذ إن المحذوف لا يتبيّن حذفه كما في حذف جملة النداء فيما سيأتي ، لاسيما ان

---

(١) البصائر ١/٢٤٩ .

(٢) ينظر النص القرآني من الجملة الى العالم ٣٨-٤٠ .

أن الفيروزآبادي استعمل أحد المصطلحين ـ في النص الآتي ـ في أثناء كلامه . فمن المتشابه ماجاء في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة ٢٠) فقد صرّح بالمخاطب وهو قوله (ياقوم) على حين جاء قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (ابراهيم ٦) بحذف (يَاقَوْمِ) . وعلل الفيروزآبادي ذلك بقوله : ((لأن تصريح اسم المخاطب مع حرف الخطاب . يدل على تعظيم المخاطب به ولمّا كان مافي هذه السورة (يعني : المائدة) نعماً جساماً ما عليها من مزيد وهو قوله : ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة ٢٠) صرح ، فقال : ياقوم ، ولموافقة ماقبله ومابعده من النداء وهو ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا﴾ [١] ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا﴾ [٢] ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّا﴾ [٣] ولم يكن مافي (ابراهيم) بهذه المنزلة فاقتصر على حرف الخطاب)) . [٤] فلم يقل الفيروزآبادي بالحذف بل كان الاسلوب اظهاراً واضماراً أي تصريحاً وكناية .

ويتسجم تعليله لهذا النحو في اظهار المخاطب والتوجه اليه مع تعليلاته في ماسبق من مباحث هذا الفصل إذ يرتكز على مسوغات سياقية لغوية ، فالآيات في سورة (المائدة) التي سبقت هذه الآية تتجه نحو تعظيم منزلة المخاطب وهم (بنو اسرائيل) ـ وماخصهم الله من نعمه وفضله . فكان الأنسب إظهار من يوجه الخطاب اليهم ، كما أنّ ، اضافتهم الى نفس النبي موسى (عليه السلام) فيه ميزة الاهتمام بهم وشدة الصلة بينه ـ وبينهم .

وعلل المتشابه من قوله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ (الأسراء ٥٦) . وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (سبأ ٢٢) . بقوله : ((لأنه يعود الى الرّب ، وقد تقدم ذكره في الآية الأولى ، وهو قوله : ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾ (الأسراء ٥٥) وفي (سبأ) لو ذكر بالكناية لكان يعود الى الله ، كما صرّح ، فعاد اليه وبينه وبين ذكره سبحانه صريحاً أربع عشرة آية ، فلما طال الفصل صرّح)) . [٥]

فعلى الرغم من الربط السياقي للآيتين بما صرّح بذكره سابقاً عليهما فإن قرب التصريح في الآية الأولى أدّى الى حسن الكناية عنه ، فلمّا بَعُد التصريح بالاسم عن الموضع في الآية من سورة (سبأ) حَسُن أنْ يذكر الاسم صريحاً لا كناية .

---

(١) الآية ٢١ .
(٢) الآية ٢٢ .
(٣) الآية ٢٤ .
(٤) البصائر ١/١٨٣ .
(٥) البصائر ١/٣٨٣ . وينظر : ١/٣٩٣ .

وينظر: أسرار التكرار ٦٢ .
وينظر: أسرار التكرار ١٢٩ .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّن عِندِهِ﴾ (هود ٢٨) وبعده ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ (هود ٦٣) وبعدهما ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً﴾ (هود ٨٨) .

ذكر (عنده) وهو ظرف أُضيف الى الضمير العائد على لفظ الجلالة ، وفي الموضعين التاليين بالكناية (منه) مع ملاحظة أنَّ الآية الأولى تقدم فيها المفعول الثاني وهو (رحمة) على الجار والمجرور وأنَّ الآيتين الثانية والثالثة تأخر فيهما المفعول الثاني (رحمة) عن الجار والمجرور . وقد ربط الفيروز آبادي بين الجهتين فصرّح بذكر الاسم وهو الظرف مع تقدم المفعول وذُكر كناية مع تأخر المفعول . فالسوغ ههنا يقوم على تناظر بين النحو والتعبير القرآني . وفي ذلك يقول الفيروز آبادي : ((لأن (عنده) وانْ كان ظرفاً فهو اسم، فذكر في الأولى بالصريح والثانية والثالثة بالكناية ، لتقدم ذكره ، فلمّا كُني عنه قُدِّم ، لأنّ الكناية يتقدم عليها الاسم الظاهر ... قال الامام (يعني : الخطيب الاسكافي) : لما وقع ﴿آتَانِيَ رَحْمَةً﴾ (هود ٢٨) في جواب كلام فيه ثلاثة أفعال كلها متعدٍ الى مفعولين ليس بينهما حائل بجار ومجرور وهو قوله : ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ ...﴾ (هود ٢٧) ، و﴿نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (هود ٢٧) أُجري الجواب مجراه ، فجمع بين المفعولين من غير حائل . وأما الثاني فقد وقع في جواب كلام قد حيل بينهما بجار ومجرور ، وهو قوله : ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً﴾ (هود ٦٢) ، لأنَّ خبر (كان) بمنزلة المفعول ، لذلك حيل في الجواب بين المفعولين بالجار والمجرور)) .(١)

ويرجع الفيروز آبادي (التقديم والتأخير) من خلال مانقل عن الامام الاسكافي الى انسجام تقديم (رحمة) مع نظم الآيات السابقة التي ذكر فيها الأفعال المتعدية تلاها المفعول مباشرة .

ومن المواضع التي توقف عندها الفيروز آبادي ماجاء في قوله تعالى . ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (فاطر ٣١) بالتصريح بلفظ الجلالة مع زيادة اللام في (لخبير) وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى ٢٧) بالكناية وعدم زيادة اللام : ((لأن الآية المتقدمة في هذه السورة (يعني : فاطر) لم يكن فيها ذكر (اللّٰه) فصرّح باسمه سبحانه وتعالى ، وفي (الشورى) متصل بقوله : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ﴾ (٢) فخص بالكناية ، ودخل اللام في الخبر موافقة لقوله : ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر ٣٤)) .(٣) فلم يكن عن لفظ الجلالة لعدم تقدّم ذكره ، إذ شرط الكناية أن يتقدم الاسم أولاً ثم يُكنى عنه . وهو ما حدث في (الشورى) .

---

(١) البصائر ١/٢٤٩ ـ ٢٥٠ . وينظر : درة التنزيل ٨٣ ١ .
(٢) الآية ٢٧ .
(٣) البصائر ١/٨ ٣٣ .

وقد يفضّل التصريح بالاسم وعدم الكناية عنه على الرغم من تقدّم ذكره في آيـــة سابقة من نحو قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (القدر ١ـ٢) ، ((ثم قال : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [١] فصرّح به ، وكان حقه الكناية ، رفعـاً لمنزلتها ، فان الاسم قد يذكر بالصريح في موضع الكناية ، تعظيماً وتخويفاً . كما قال الشاعر:

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شـــيءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنى والفقيرا

فصرّح باسم (الموت) ثلاث مرات ، تخويفاً ..))[٢]

لقد أفاد ذكر الاسم (ليلة القدر) ثلاث مرات تعظيماً لهذه الليلة التي ليس مثلها ليلـة. كما أنه قد يفيد التخويف من الاستخفاف بحقها .

على العموم فإنّ الميل نحو تكرار الاسم قد أفادنا شيئين هما : التعظيم والتخويـف . أما ترجيح أحدهما فيعود الى طبيعة ذلك الأسم المكرر والى السياق الذي يرد فيـــه .

وقد يفضّل في بعض المواقع الكناية عن أحد اسمين في موضع والكناية عن الاسم الثاني في موضع آخر ، وهو ايضاً من المتشابه فقد قال تعالى : ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة ٢٠) وقوله تعالى : ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (سبأ ٤٢) ويقول الفيروزآبادي : ((لأن (النار)وقعت في هذه السورة (يعني :السجدة) موقع الكناية ، لتقدم ذكرها [٣] والكنايات لا توصف ،فوصف (العذاب) ، وفي (سبأ) لـــم يتقدم ذكر (النار) ، فَحَسُنَ وصف (النار)))[٤].

فالسياق اللغوي لما ورد في سورة (السجدة) هو قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة ٢٠) . على حين أن السياق اللغوي لما ورد في ســـورة (سبأ) هو قوله تعالى : ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِـــنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ، فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُـــوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (سبأ ٤١ ـ ٤٢) .

ففي الآية لم يتقدم للنار وصف فيما سبقها فكان الأنسب وصفها بأن الضمير عائد عليها

---

(١) الآية ٣ .
(٢) البصائر ١/ ٥٣١ ـ ٥٣٢ .
(٣) في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَـــا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية ٢٠ .
(٤) البصائر ١/ ٣٧٥ .

في الجملة التي تكون الوظيفة الدلالية لهذه الكناية ربط هذه الجملة بالنار ، لا العذاب على عكس الآية المتقدم ذكرها (الأولى) .

ويدخل في هذا الباب استعمال (اسم الاشارة) وحده أو استعماله مع الاسم المشار اليه إذ يكون الاكتفاء باسم الاشارة من باب الكناية في حين تكون الحالة الثانية من باب التصريح .

وقد توقفه الفيروز آبادي عند بعض تلك الآيات وعدّها من المتشابه فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا ﴾ (الأسراء ٩٨) ((اقتصر هنا على الاشارة لتقدم ذكر (جهنم) ولم يقتصر عليها في (الكهف) وان تقدم ذكر (جهنم) بل جمع بين الاشارة والعبارة ، لمّا اقترن بقوله : (جَنّات) فقال : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا ﴾ [1] ثم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ ﴾ .[2] ليكون الوعد والوعيد كلاهما ظاهرين)) .[3]

لقد كان التناظر السياقي بين الوعد والوعيد هو الداعي لذكر (جهنم) وعدم الاكتفاء بالاشارة اليها . فكما تذكر (جنات) في الوعد ذكرت نظيرتها (جهنم) في الوعيد .

ومن هذا ايضاً قوله تعالى : ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (هود ٦٠) وجاء بعدها في ذم فرعون وأتباعه قوله تعالى : ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ (هود ٩٩) فاكتفى باسم الاشارة (هذه) من غير ذكر المشار اليه ، كما أنه لم يتقدم ذكر (الدنيا) في الآية الثانية ولكنّ العبارة واضحة في إشارتها الى (الدنيا) التي ذكرت في الآية التي تقدمت عليها .

قال الفيروزآبادي : ((لأنه لما ذكر في الآية الأولى الصفة والموصوف اقتصر في الثانية على الموصوف ، للعلم به والاكتفاء بما قبله)) .[4]

كما أنه جاء في سورة (القصص) في شأن فرعون وأتباعه بذكر (الدنيا) في قوله تعالى :﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ .[5]

---

(١) الآية ١٠٦ .
(٢) الآية ١٠٧ .
(٣) البصائر ٢/٩٣ .
(٤) البصائر ١/٢٥١ .
(٥) الآية ٤٢ .

المبحث الرابـــع

التعريف والتنكيـر

ورد في المتشابهات التي ذكرها الفيروزآبادي أن يكون موضع الاختلاف بين الآيتين تعريف لفظة ما أو تنكيرها • وعَلِلَ الفيروزآبادي على الكشف عن الجهة التي أدت الى هذا الاختلاف ودلالتها على المراد على نحو يختلف عن الحالة الاخرى •

وهو مايكشف عنه سياق الحال الذي وُلد فيه القول وملابساته • فمن ذلك التعريف والتنكير للفظة (بلد) إذ وردت اللفظة منكرة في سورة (البقرة) بقولـه تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ...﴾ (سورة البقرة ١٢٦) • على حين وردت في سورة (ابراهيم) معرفة في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (إبراهيم ٣٥) • وقد علل الفيروزآبادي ذلك بقوله : ((لان هذا اشارة الى المذكور في قوله : ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾[1] قبل بناء الكعبة (وهو المذكور في سورة البقرة) وفي (إبراهيم) اشارة الى البلد بعد البناء • فتكون (بلدا) في هذه السورة (يعني : البقرة) المفعول الثاني و (امنا) صفة، و (البلد) في (إبراهيم) المفعول الاول و (امنا) المفعول الثاني)) • [2]

وينظر الفيروزآبادي سياق حال كل من الآيتين مما هو معروف من قصة إبراهيم (عليه السلام) واسكانه زوجه وابنه في وادي مكة • ومناسبة الاستعمالين لهما •

---

(١) الآية ٣٧ من سورة ابراهيم •

(٢) البصائر ١/٧١٤ •

← وينظر: اسرار التكرار ٢٥.

وما يستتبع ذلك من تباين دلالتيهما النحويتين ، فـ (هذا بلداً) هما مفعولا (اجعل) على حين تكون اللفظتان (هذا البلد) مفعولاً أول ببدلية (البلد) من (هذا) ويكون (آمناً) المفعول الثاني . فيكون الاستعمال الثاني مشيراً الى مكة بعد إنشائها وإسكانها فتكون دلالته محددة . وكما قال سيبويه في تعريف مافيه الألف واللام : ((إنما صار معرفة لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته)).(١)

ويقول أحد الباحثين في اتفاق النحاة ((على أنّ أسماء الاشارة مبهمات ، لأنها تقع على كل شيء ... وهي عندهم في حاجة الى مايفسرها من إشارة حسيّة (أي : سياق غير لغوي) ، أو اسم مقرون بـ (أل) يأتي بعدها)).(٢) وأشار الفيروزآبادي في الأولى الى (بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ) وهو الذي كشف عن سياق الحال كما تقدم .

ولا يكتفي الفيروزآبادي بذلك بل يعرض لبعض التخريجات الأخرى فيقول : ((وقيل : لأنّ النكرة إذا تكررت صارت معرفة (٣)، وقيل : تقديره في البقرة : هذا البلد بلداً آمناً ، فحذف اكتفاءً بالاشارة ، فتكون الآيتان سواء)).(٤)

ومعلوم أنّ التفسير الأول أكثر رجاحةً من هذين بابتعاده عن الصناعة النحويّة الخالصة وميله نحو مراعاة مقام القولين ومراعاة الاستعمالين من غير أنْ يلتجئ الى التأويل النحوي . وعلى مايبدو فإن الفيروزآبادي قد رَجّح التخريج الأول على هذين الأخيرين .

وينظر الفيروزآبادي في بعض نصوص التعريف والتنكير في المتشابه الى حال المتكلم وعلو مقامه ، ففي قوله تعالى خاصاً به يحيى (عليه السلام): ﴿وَسَلَامٌ عَلَيهِ يَومَ وُلِدَ ﴾ ـ (مريم ١٥) ويقول تبارك وتعالى على لسان عيسى (عليه السلام) في السورة نفسها : ﴿ وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُّ ﴾ (مريم ٣٣) فنكّر في الأول ، وعرّف في الثاني ، وعلل الفيروزآبادي ذلك بقوله :((لأنّ الأول من الله تعالى ، والقليل منه كثير كقول القائل :

قليلٌ منك يكفيني ولكنْ قليلك لا يقال له قليلُ

---

(١) الكتاب ١/ ٢٢٠ . (٢) التعريف والتنكير ٢٨ .

(٣) يكتسب النص القرآني وحدة موضوعية عند الفيروزآبادي ـ على مايظهر في الصفحات القادمة ـ وهذا الرأي يبيّن ذلك من الناحية اللغوية إذ يجعل ورود الكلمة نكره في موضع داعياً الى إيرادها معرفة في موضع تالٍ . فلما وردت لفظة (بلد) نكرة في البقرة أوردت معرّفة في ابراهيم .

(٤) البصائر ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨ .

وينظر أسرار التكرار ٢٥

ولهذا قرأ الحسن : ﴿اهدِنَا صِرَاطاً مُستَقِيماً﴾[١] (الفاتحة ٦) أي نحن راضون منك بالقليل ومثل هذا في الشعر كثير ... والثاني من عيس ، والألف واللام لاستغراق الجنس ، ولو أدخل عليه السبعة والعشرين[٢] والفروع المستحسنة والمستقبحة، لم يبلغ عُشر معشار سلام الله . ويجوز أنْ يكون ذلك بوحي من الله عزّ وجل ، فيقرب من سلام يحيى . وقيل : انما أدخل الألف واللام لأن النكرة إذا تكررت تعرّفت . وقيل : نكرة الجنس ومعرفته سواء تقول : لا أشرب ماءً ، ولا أشرب الماءَ ، فهما سواء))[٣].

فالتعريف في (السلام) يؤدي الى استغراق الجنس مما يقتضي أن يكون سلام يحيى أقل إذ لم يعرّف بـ (ال) الجنسية ، لكن الفيروزآبادي يميل الى ان المتكلم في الحالة الأولى هو الله على حين أن المتكلم في الحالة الثانية هو المخلوق (عيسى) (عليه السلام) وشتان بين سلاميهما ، فالقليل من الله صاحب القدرة المطلقة والعطاء المطلق هو كثير أمام عطاء المخلوقين وقدرتهم . ولهذا اقتضى لكل من المتكلمين ما يناسبهما .

إن هذا المنحى في تحليل الكلام يعدّ منحًى جديداً وجديراً بالاعتبار في تحليل الكلام والوقوف على دلالته بدقة . وقد أيد الفيروزآبادي هذه الفكرة بما وصل اليه عن العرب من أن الأمور تكتسب ابعاداً اخرى إذا نظر اليها من خلال شخص معين لاتكتسبها في حالة تغير ذلك الشخص .

على أنَّ هناك من الآراء مايقدّم فهماً آخر للدلالة النحوية لهذه اللفظة بين تعريفها وتنكيرها فاذا كانت اللفظة نكرة أول ماذكرت ، فإن التعريف في الثانية يرجع الى دلالة الأولى وان المراد من السلام هو ذلك السلام المطلق الذي شمل يحيى (عليه السلام) فهو يشمل عيسى ايضاً . وبهذا تكون (أل) فيها عهدية .

أما الرأي الذي ذهب الى انه لافرق بين اللفظتين معتمداً على أن (أل) يراد بها استغراق الجنس لا التعريف فهو يرتكز على اساس من الصناعة النحوية ترى أن النكرة عامة فاذا دخلت عليها (أل) الجنسية دلت على عموميتها . وهو رأي لايأخذ بعين الاعتبار

---

(١) ينظر : اتحاف فضلاء البشر ١٢٣ .

(٢) أي بقية حروف الهجاء بعد الهمزة . واللام اللذين في السلام . ينظر هامش (٧) من البصائر ١/ ٣٠٨ .

(٣) البصائر ١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

عدة امور منها ، ظروف الخطاب والمقابلات النحوية كما هو الحال في الرأي الأول والثاني . وقد تختص كل من النكرة والمعرفة بما يناسب المتحدث عنه فقد قال تعالى : ﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المؤمنون ٤١) بالألف واللام في (القوم) وبعدها قال : ﴿ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون ٤٤) . إذ يدرك من خلال السياق اللغوي للآيتين ماينا سب كلا من اللفظتين ((لأن الأول لقوم صالح ، فعرّفهم بدليل قوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ ـ (المؤمنون ٤١) وبعده ﴿ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ (المؤمنون ٤٢) وكانوا منكّرين ، ولم يكن معهم قرينة عُرِفوا بها فخصّوا بالنكرة)) .(١)

ويصبح سياق الآيات كما يأتي قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) ، ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ﴾.

وعلى الرغم من أنه لم ينص على صالح أو قومه صراحة إلاّ أنّ قوله ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ) يحيل اليهم إذ ذكر في سورة (هود) قصة صالح مع قومه وهم (ثمود) وكيف أنّهم عقروا الناقة فاستحقوا العقاب . قال تعالى : ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨) ﴾.

وجاء في بيان قوله تعالى من (سورة الصف / الآية ٧) : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ... ﴾ بالألف واللام في (الكذب) . مع كونها قد جاءت منكرة في عدد من الآيات ﴿ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (الأنعام ٢١، ٩٣، ١٤٤ . الأعراف ٣٧ ، يونس ١٧ ، الكهف ١٥ . المؤمنون ٣٨ . العنكبوت ٦٨ . سبأ ٨) . وعلل الفيروزآبادي ذلك بقوله : ((بالنكرة (أي في الثانية) لأنها أكثر استعمالاً مع المصدر من المعرفة ، وخصت هذه السورة (يعني : الصف) بالمعرفة لانه إشارة الى

---

(١) البصائر ١/ ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

وينظر: أسرار التكرار ١٤٩.

ماتقدم من قول اليهود والنصارى)) .(١) يعني ذلك أن دخول الألف واللام أفاد العهد لأن الكذب معهود سبق ذكره من أحوال اليهود والنصارى،فاليهود آذوا موسى (عليه السلام) مع علمهم برسالته . وقالوا في بشارة عيسى (عليه السلام) برسول يأتي بعده ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف ٦) . على انّ ظاهر النص القرآني يحيل على تكذيبهم تلك البشارة بعد أن بعث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)

ووقف الفيروز آبادي في المتشابه عند نمط آخر هو اختلاف جهة التعريف فمن ذلك أن كلمة (الآيات)عُرّفت بالألف واللام مرة وعُرّفت بالاضافة مرة أخرى فالآية من قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور ٥٩) ، عرّف (الآيات) بالاضافة الى نفسه وقبلها وبعدها (لكم الآيات) بقوله : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ...﴾ .(٢) فعرّف بالألف واللام . وعلل الفيروز آبادي الاستعمالين بقوله : ((لأن الآية قبلها والذي بعدها يشتمل على علامات يمكن الوقوف عليها ، وهي في الأولى ﴿ثَلَاثُ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ (النور ٥٨) ، وفي الأخرى : ﴿مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَو بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (النور ٦١) فعدّ فيها (آيات) كلها معلومة فختم الآيتين بقوله : (لَكُمُ الْآيَاتِ))) .(٣)

ويستطرد الفيروز آبادي بذكر مثال آخر ثم يعود الى تكملة كلامه فيقول : ((ومثله :﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ (النور ١٧) يعني حدّ الزانين ، وحدّ القاذفين ، فختم بالآيات . وأمّا بلوغ الأطفال فلم يذكر له علامات يمكن الوقوف عليها ، بل تفرد سبحانه بعلم ذلك ، فخصّها بالاضافة الى نفسه ، وختم كل آية بما اقتضى أولها)) .(٤) فالألف واللام أفادت الرجوع الى معلوم سبقت الاشارة اليه فلم تناسب أنْ تذكر في موضع بخلاف هذا . فكان التعريف بالمضاف اليه ليربط الآيات وينسبها الى الله تعالى .

---

(١) البصائر ١/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .
(٢) الآية ٥٨ والآية ٦١ .
(٣) البصائر ١/ ٨ ٣٣ .
(٤) البصائر ١/ ٨ ٣٣ .

المبحث الخامس

التذكير والتأنيث

((تفرق العربية بين المذكر والمؤنث، فللمؤنث لواحق ، وليس للمذكر شيء، هذا النوع المعبر عنه بالمؤنث (نوع نحوي) ، لا ينطبق على النوع الطبيعي الجنسي ، فقد يتوافق معه ، وقد يختلف عنه تماماً • ومن ذلك أنّ الكلمات التي تعبر عن حالات مؤنثة بصورة نوعية تتمثل عادة بغير لاحقة تأنيث نحو : عاقر ، وحامل ، ومرضع)) • (١)

والذي يعنيه بـ (النوع النحوي) أو مايسمى بالمؤنث نحوياً أنه تجري معاملته في الجملة بكونه مؤنثاً ويتم ذلك من خلال القرائن اللفظية من وجود تاء التأنيث الساكنة أو المتحركة اللاحقة للفعل وهي تاء الفاعل المخاطبة أو التاء اللاحقة للأسماء أو الهاء للمؤنث أو الألف المقصورة أو الممدودة •

وعلى العموم فإن التأنيث يعدّ فرعاً عن التذكير ، إذ المذكر هو الأول (٢) ثم يلحق به ماينقله الى حالة التأنيث • فالمذكر لايحتاج الى علامة لتدل على تذكيره في حين يحتاج المؤنث الى علامة خاصة • وقد تكون تلك العلامة لاحقة به ، وقد تكون لاحقة ببعض ما يتعلق به من ألفاظ في الجملة •

ومن خلال استقرائي لكتاب (البصائر) وجدتُ عدة آيات يتوقف عندها الفيروزآبادي ويعدّها من المتشابه وذلك من خلال هذه الجهة فمرة يعامل التعبير القرآني اللفظة على حقيقة أمرها الأول بأنها مؤنثة ومرة أخرى ماظاهره أنه يعاملها معاملة المذكر • ولذلك كان يرى أن بالعبارة حاجة الى تبيين علة ذلك •

وسبق أنْ قلنا بأنّ عدّ الآية من المتشابه يعني حاجتنا إلى بيان سبب اختيار هذا المتحس اللغوي أو النحوي دون غيره في النص القرآني •
فمن ذلك ماجاء من قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ (هود ٦٧) وقوله في موضع آخر ﴿ وأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ (هود ٩٤) • فقد أنث الفعل لإسناده إلى (الصيحة) في الآية الثانية ولم يؤنث الفعل في الآية الأولى ، مع أنه مسند إلى (الصيحة) ايضاً •

---

(١) العربية الفصحى ٦٩•

(٢) ينظر : الكتاب ١/ ٧ • وينظر : مفهوم الجملة عند سيبويه ١٧٦ ومابعدها •

فمن الناحية النحوية يعدّ هذا الاستعمال مجوّزاً لتأنيث الفعل أو البقاء على تذكيره في حالة إذا فصل بينه وبين فاعلهِ المؤنث بفاصل وهو ماقال به النحويون ، على أن الأمر في التعبير القرآني يتجاوز هذا المظهر الشكلي إلى دواع سياقية أو دلالية يمكن أنْ يُكشف عنها عند تفحص الآية ومايحيط بها • وهو ماعلله الفيروزآبادي فقد قال في علة هذا المنحى : ((التذكير والتأنيث حسنان ، لكن التذكير أخف في الأولى • وفي الأخرى وافق مابعدها وهو ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (هود ٩٥) قال الامام : (يعني :الخطيب الاسكافي) لما جاءت في قصة شعيب مرة الرجفة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [١]، ومرة الظُّلّة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [٢] ومرة الصيحة ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ ـ أزداد التأنيث حُسناً)) .[٣]

ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل ٦٦) • بالتذكير في (بطونه) ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون ٢١) بالتأنيث في (بطونها) •

فقد قال في الآية الأولى (في الأنعام) ثم (مما في بطونه) وفي الآية الثانية (في الأنعام) ثم (مافي بطونها) •

علل الفيروزآبادي ذلك بقوله : ((لأن في هذه السورة (يعني : النحل) يعود إلى البعض (كذا) وهو الأناث لأنّ اللبن لايكون للكل • فصار تقدير الآية : وأنّ لكم في بعض الأنعام بخلاف مافي المؤمنين فإنه لما عطف مايعود على الكل (كذا) ولا يقتصر على البعض (كذا) وهو قوله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ.وَعَلَيْهَا ..﴾ (المؤمنون ٢١ـ٢٢) لم يحتمل أنْ يكون المراد البعض ، فأنث حملاً على الأنعام ، وماقيل : إن ـ الأنعام ههنا بمعنى النعم لأن الألف واللام يلحق الآحاد بالجمع والجمع بالآحاد حسن ، إلاّ أنه وقع في التخصيص • والوجه ماذكرت • والله أعلم)).[٤]

فاللطيفة التي نلمحها في الآية الأولى تكمن في استعمال ضمير المذكر لا المؤنث ـ الذي يتناسب مع واقع حال استفادة اللبن من الأناث أي إناث الأنعام لا من ذكورها وهو

---

(١) العنكبوت ٣٧ •
(٢) الشعراء ١٨٩ •
(٣) البصائر ٢٥٢/١ • وينظر : درة التنزيل ١٨٦ •
(٤) البصائر ٢٨٥/١ •

مايعني عودة الضمير على تقدير (بعض الانعام) وهو مايعني به من ناحية نحوية حذف المضاف وأقامة المضاف اليه مقامه وهو مسلك تسلكه العربية ويسلكه البيان القرآني كما في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ (يوسف ٨٢) ويمكن تعضيد قول الفيروزآبادي من خلال أنّ توجه الآية من سورة (النحل) كان نحو إسقاء اللبن الخالص من الأنعام على حين كان توجه الآية من سورة (المؤمنون) نحو عموم المنفعة من الأنعام . ويتضح ذلك ماثلاً لفظة الانعام فالأولى قالت : ﴿ نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ ، وقالت الثانية : ﴿ نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ . وعلى هذا يكون الضمير في (بطونه) مشيراً إلى القلة ويكون ضمير المؤنث في (بطونها) مشيراً إلى الكثرة ((وهذا جارٍ على وفق قاعدة التعبير في العربية التي تفيد أنّ المؤنث يؤتى به للدلالة على الكثرة بخلاف المذكر ، وذلك في مواطن عدة كالضمير واسماء الاشارة وغيرهما وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ ﴾ (يوسف ٣٠) بتذكير الفعل ، وقوله : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ﴾ (الحجرات ١٤) بتأنيث الفعل . فان التذكير يدل على أنّ النسوة قلة بخلاف التأنيث وهذه قاعدة معروفة لا نريد أن نطيل في شرحها وبيانها))[1]

وعلى الرغم من استحسابي الرأي الذي يذهب إلى أنّ الأنعام في سورة (النحل) بمعنى النعم فإن الموضع كان للتخصيص بتلك التي تعطي اللبن ، فالرأي الأول عنده هو المقبول ، وعلى العموم فإن القول بأن الألف واللام تلحق الآحاد بالجمع والجمع بالآحاد لا يبرز ميزة للتعبير القرآني كما هو الحال في الرأي الأول .

ومما جاء من المتشابه قوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾ (الأنبياء ٩١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ ﴾ (التحريم ١٢) ، إذ علل الفيروزآبادي ذلك بقوله : ((لأن المقصود هنا (يعني : الأنبياء) ذكرها وما آل اليه أمرها ، حتى ظهر فيها ابنها ، وصارت هي وابنها آية . وذلك لا يكون الا بالنفخ في جملتها ، وبحملها والاستمرار على ذلك إلى يوم ولادتها . فلهذا خُصت بالتأنيث . ومافي (التحريم) مقصور على ذكر إحصانها ، وتصديقها بكلمات ربها ، وكان النفخ أصاب فرجها ، وهو مذكّر ، والمراد به فرج الجيب أو غيره ، فخصت بالتذكير))[2] .

---

(١) التعبير القرآني ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٢) البصائر ١/٣٢٢ .

فعود الضمير حدده سياق الحال الذي يبينه توجه الآيات السابقة واللاحقة ، فالمقام لما كان في سورة (الأنبياء) متوجهاً نحو مريم بخاصة وما آل اليه أمرها من الحمل والولادة بعيسى (عليه السلام) كان الأنسب ان يعود الضمير عليها في ﴿وَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ . ولكنه لما كان في (التحريم) متوجهاً نحو (مريم) العفيفة التي احصنت نفسها طاعة لربها كان التوجه نحو ما نزل بها من الابتلاء والنفخ .

ويتوقف الفيروز آبادي عند التشابه من قوله تعالى ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ (آل عمران ٤٩)[1] وقوله تعالى : ﴿فِيهَا﴾[2] (المائدة ١١٠) ، فاستعمل في الاولى ضمير المذكر ، وفي الثانية ضمير المؤنث : ((قيل : الضمير في هذه (يعني : آل عمران) يعود الى الطير وقيل الى المهيأ ، وقيل الى الكاف فانه في معنى (مثل) وفي المائدة يعود الى الهيئة)) .(٣)

ويبدو أنّ هذا الاستعمال ـ كما هو واضح ـ لا يستدعي التوقف والتأمل ، مما دعا الفيروز آبادي الى القول بعد النص المتقدم ((وهذا جواب التذكير والتأنيث ، لا جواب التخصيص ، وانما الكلام وقع في التخصيص وهل يجوز ان يكون كل واحد منهما مكان الاخر ام لا (كذا)[4] . فالجواب ان يقال في هذه السورة (يعني : ال عمران) اخبار قبل الفعل ، فوحده ، وفي (المائدة) خطاب من الله له يوم القيامة ، وقد سبق من عيسى (عليه السلام) مرات والطير صالح للواحد والجمع)) .(٥)

وبعد أنْ يذهب الفيروز آبادي الى ان لكل من الاستعمالين مكانه الخاص ، وانه لا يجوز التبادل فمن ثم عندما كان اول عهد عيسى (عليه السلام) بذلك عبر بالضمير المذكر المشير الى المفرد . على حين ان الامر في (المائدة) في يوم القيامة ، وكان عيسى قد فعله مرات كثيرة فاستعمل ضمير المؤنث الذى يشير الى جمع من المرات .

وآخر ماورد في بيان تأنيث الفعل أو تذكيره من التشابه قوله تعالى : ﴿كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الممتحنة ٤) وبعدها جاء قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الممتحنة ٦) فأنث في الأولى وذكر في الثانية ، وقد علل الفيروز آبادي هذا الاستعمال بقوله : ((أنث الفعل الأول مع الحائل ، وذكر الثاني ، لكثرة الحائل ، وإنما كرر ، لان الاول في القول ، والثاني في الفعل . وقيل : الأول في ابراهيم ، والثاني في محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)) .(٦) ويعني بكثرة الحائل أنه فصل مابين الفعل (كان) واسمه باكثر من فاصل وهما (لكم ، فيهم) . وهذا يعني أنّ الفعل كلما فصل عن الفاعل المؤنث أو بمنزلته أمكن عدم تأنيثه . ويعني هذا ان الفعل إذا أُسند الى فاعل مؤنث أو ما كان بمنزلته يجب تأنيثه إلا إذا فصل بينهما بفاصل أو اكثر فعندئذ أمكن تذكيره .

---

(١) يريد قوله تعالى : ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ آل عمران ٤٩ .

(٢) يريد قوله تعالى : ﴿إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ المائدة ١١٠ .

(٣) البصائر ١/١٦٢ .

(٤) استعمال (أم) متصلة معادلة بعد (هل) غير صحيح ولا جائز .

(٥) البصائر ١/١٦٢ .

(٦) البصائر : ١/٤٦١ .

المبحث السادس

التكرار

اسلوب آخر من أساليب التعبير القرآني . إذ عُدَّ ((من سنن العرب التكرير والأعادة)) .[١] ولعل العلة في ذلك ترجع الى ((ارادة الابلاغ بحسب العناية بالامر))[٢].

واحتل التكرار لدى الفيروزآبادي مكاناً واسعاً في بصائره ، ووقفتُ على أمثلة مختلفة من معالجته لجملة من الألفاظ التي نلمح من خلالها اسلوب التكرار ، وذلك من خلال ذكر المتشابه من الآيات القرآنية التي تعرض الى بيانها من كل سورة من سور القرآن الكريم .

ومن المفيد الاشارة الى أنّ (التكرار) الذي توجهت اليه عناية الفيروزآبادي اقتصر على التكرار في السياق الواحد من نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ ﴾[٣] (الواقعة ١٠) ، و ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾[٤] (النبأ ٤ـ٥) .

أما التكرار في مابين آيات القرآن في المواضع المتفرقة فلم يعرض له ، وبهذا فقد حصر الفيروزآبادي وظيفة التكرار في الألفاظ بـ (التوكيد) . ويعدّ التوكيد أحد الوظائف النحوية في الجملة وعند النحويين ((ان يكون التكرير للتوكيد نحو قولك : جاءني زيدٌ زيدٌ ، ورأيت عمراً عمراً ، ومررت ببكر بكر . ومعناه لا شك في ذلك كانك توهمت اللبس وفهّمته . ويجوز مثل هذا في الفعل نحو : اضربْ اضربْ ، واعجلْ اعجلْ ، وقُمْ قُمْ . وهذا كله على التوكيد))[٥].

والتكرار في (البصائر) أنواع ثلاثة وهي : تكرار في الاسماء ، وتكرار في الأفعال ، وتكرار في بعض الأدوات النحوية .

وقد عدّ الفيروزآبادي التكرار من جملة المتشابه في الآيات ولعل ذلك يرجع الى تعدد المعاني التي يمكن أنْ يرد عليها التكرار مما يحتاج الى الإبانة عنها ، وترجيح بعضها على بعض بمقابلتها بعدم التكرار . يقول الفيروزآبادي : ((ومن المتشابه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ (الناس ١) ثم كرر (الناس) خمس مرات ...))[٦] فالتكرار فرع أوظاهرة تم بها خرق الأصل وهو أنْ تذكر الألفاظ مرة واحدة ، ويجري التعويض عنها

---

(١) الصاحبي ٢٠٧ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ينظر : البصائر ١/ ٤٥١ .
(٤) ينظر : البصائر ١/ ٤٩٧ .
(٥) شرح عيون الأعراب ٢١٩ .
(٦) البصائر ١/ ٥٥٧ .

بالضمير الذي يسميه سيبويه (علامة المضمر) ويسميه الكوفيون (الكناية) .

ويقدم الفيروزآبادي في سبيل رفع هذا التشابه وبيان ميزة التكرار ثلاثة آراء هي: الرأي الأول : يذهب فيه الى أنَّ التكرار كان لتعظيم (الناس) ورفع درجتهم على ماسبق أي في سورة (الفلق) . لأنَّ الموضع موضع ذم وهنا موضع مدح .

الرأي الثاني : التكرار يقوم مقام الرابط بين الآيات القرآنية في هذه السورة وذلك لانعدام حرف العطف بينها وانفصال كل آية عن الأخرى . قال الفيروزآبادي : ((وقيل : كرر لانفصال كل آية من الأخرى لعدم حرف العطف)) .(١)

ويرد على هذا الرأي أنه كان بالامكان استعمال الضمير ، على أنَّ من استعمال حرف العطف يؤدي الى تعدد المعوَّذ به وهو الله .

الرأي الثالث : أنَّ اختلاف المعنى المراد لكل منها هو الذي أدّى الى تكرارها . قال الفيروزآبادي : ((وقيل : المراد بالأول الأطفال ومعنى الربوبية يدل عليه . وبالثاني الشبان ولفظ الملك يدل عليه ، لأنه منبيء عن السياسة ، وبالثالث الشيوخ ولفظ (إله) المنبيء عن العبادة يدل عليه . وبالرابع الصالحون والأبرار . والشيطان مولع باغوائهم . وبالخامس المفسدون والاشرار وعطفه على المعوَّذ منهم يدل عليه)) .(٢) فهذا الرأي يرتكز على السياق اللغوي والدلالي ، فالتكرار يكشف عن تعدد معاني اللفظة الواحدة بحسب بيئتها اللغوية التي تقع فيها .

وقد يرجع الى أنَّ التكرار نتيجة لاختلاف دلالة (النَّاس) من جهة القلة والكثرة كما ذهب الى ذلك الدكتور فاضل السامرائي (٣) من أنَّ (الرَّبّ) هو الموجه والمرشد والمربي وقد يكون هناك أكثر من موجه وكل واحد منا قد يكون (ربّاً) . والملك وسلطته لايتعددون الأكثرية . أما الإله فواحد لايتعدد . فالشكوى تكون الى رب الناس وهم الكثرة ثم الى الملك وهم القلة ثم الى الإله وهو الله وهو واحد .

فتدرج من الكثرة فقال : (رب الناس) ثم القلة فقال : (ملك الناس) ثم ذكر الواحد فقال (إله الناس) هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى هناك تدرج من القلة الى الكثرة لأن (الناس) قد يطلق على الواحد لقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ

---

(١) البصائر ٥٥٧/١ .

(٢) البصائر ٥٥٧/١ .

(٣) ينظر : التعبير القرآني : محاضرات القاها الدكتور على طلبة الدكتوراه (مدونتي) .

جَمَعُوا لَكُمْ﴾ (آل عمران ١٧٣) يراد به نعيم بن مسعود الاشجعي ، وقد يطلق على المجموع لقول الرسول (صلى الله عليه واله) : ((أشيروا عليَّ أيُّها النَّاس)) يعني الأنصار. فتدرج بـ (النَّاس) من القلة الى الكثرة لأن ناس الإله أكثر من ناس الملك وهذا أكثر من ناس الرب . والناس تكرار بالمعنى . فتدرج من القلة الى الكثرة ، وتدرج من الكثرة الى القلة فقال : من الرب ثم الملك ثم الأله .

وعلل الفيروزآبادي تكرار (الايلاف) في قوله تعالى : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ﴾ (الإيلاف ١) بقوله : ((لأن الثاني بدل من الأول ، أفاد بيان المفعول ، وهو رحلة الشتاء ..))[1] فالتكرار أفاد التأكيد بزيادة ايضاح المفعول الثاني (رحلة الشتاء) وكون قريش أشد استئناساً وألفةً لهذه الرحلات التي كانت وسيلتهم للعيش في مكان وصفه الله أنه ﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾ (ابراهيم ٣٧).

ومما ذكره من تكرار الاسماء قوله : ((ومن المتشابهات قوله : ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ (البلد١) ثم قال : ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ (البلد ٢) كرر وجعله فاصلاً (كذا) في الآيتين . وقد سبق القول الى مثل هذا ، ومما ذكر في هذه السورة على الخصوص أنَّ التقدير : لا اقسم بهذا البلد وهو حرام ، وانت حِلٌّ بهذا البلد وهو حلال ، لأنه أُحلت له مكة حتى قيل فيها : من شاء قاتل . فلما اختلف معناه صار كأنه غير الأول ، ودخل في القسم الذي يختلف معناه ويتفق لفظه))[2] فالنص يؤكد ماسبق من أنَّ التكرارَ يعدُّ من المتشابه في القرآن الكريم ثم ينتقل الى بيان موضع آخر من مواضعه إذ ورد في سورة (البلد) تكرار هذه اللفظة مرتين ، ويذهب الفيروزآبادي الى أنه لما كان المعنى الأول المقصود اليه يختلف عن معنى اللفظة في الموضع الثاني أبيح هذا التكرار . وبهذا يكون المراد من (الحلّ) الحلال فيكون المعنى : لا اقسم بهذا البلد وحلال لك قتل من شئت بهذا البلد .[3]

ومما ورد في الذكر الحكيم مما تكررت فيه الاسماء ماجاء من تكرار الاسم الموصول (ما) بمعنى (الذي) كما في قوله تعالى : ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة

---

(١) البصائر ١/٥٤٥.
(٢) البصائر ١/٥٢٠ ـ ٥٢١ .
(٣) ينظر : التعبير القرآني : محاضرات القاها الدكتور فاضل السامرائي على طلبة الدكتوراه . مدونتي . وينظر : لمسات بيانية ١٨٠ ومابعدها .

← وينظر: اسرار التكرار ٥٧٥-٥٧٦ .
← وينظر: أسرار التكرار ٥١٩ .

البقرة ٢٥٥) ، وقوله تعالى : ﴿لَهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الأَرْضِ﴾ (سورة طه ٦) يقول الفيروزآبادي:((ذكر بلفظ (ما) فكرر ، لأن بعض الكفار قالوا :(اتخذ الله ولداً)، فقال سبحانه (له مافي السموات ومافي الأرض) . أي اتخاذ الولد إنما يكون لدفع أذًى ، أو جلب منفعة ، والله مالك مافي السموات ومافي الأرض ، وكان الموضع موضع (ما) وموضع التكرار ، للتأكيد والتخصيص)) .(١)

فالتكرار تأكيد لملك الله سبحانه لهما والتخصيص بأن يشتمل هذا الملك على كل فرد من أفراد السموات والأرض وهو ماعبّر عنه بعض المفسرين بالتنصيص على الافراد ، وكذلك الحال في قوله تعالى : ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ﴾ (الحج ١٨) وقد وجد ((أنه حيث قصد التنصيص على الافراد ذكر الموصول والظرف [يعني به الجار والمجرور (في السَّمَوَاتِ) و (في ٱلأَرْضِ)] الا ترى الى المقصود في سورة (يونس) .(٢) من نفي الشركاء الذين اتخذوهم في الأرض والى المقصود في آية (الكرسي) من إحاطة الملك . وحيث قصد أمر آخر لم يذكر الموصول إلا مرة واحدة اشارة الى قصد الجنس وللاهتمام بما هو المقصود في تلك الآية . الا ترى الى سورة (الرحمٰن) المقصود منها علو قدرة الله تعالى وعلمه وشأنه وكونه مسؤولاً ولم يقصد السائلين)) .(٣) وهو قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن ٢٩) . وكذلك الحال فيما اذا كان الموضع موضع تفصيل وأحاطة كرر (ما) كما في قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي ٱلأَرْضِ﴾ (المجادلة ٧) .

ويلاحظ أن الفيروزآبادي أجمل الكلام هنا وحاول شيئاً من التفصيل في موضع آخر وذلك في قوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَافِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَافِي ٱلأَرْضِ﴾ (التغابن ١) وبعده : ﴿يَعْلَمُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَاتُسِرُّونَ وَمَاتُعْلِنُونَ﴾ (التغابن ٤) بقوله : ((انما كرر (ما) في أول السورة لاختلاف تسبيح أهل الأرض وأهل السماء في الكثرة والقلة ، والبعد والقرب بين المعصية والطاعة . وكذلك اختلاف مايسرون ومايعلنون ، فانهما ضدّان . ولم يكرر مع (يعلم) لأن الكل بالاضافة الى علم الله سبحانه جنس واحد ، لايخفى عليه شيء))(٤)

---

(١) البصائر ١/٢٤٣ .

(٢) يعني بها الآية ٦٦ من قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ .

(٣) البرهان ٤/٧٣ ـ ٧٤ ، وينظر : التعبير القرآني ٨٧ـ٨٨ .

(٤) البصائر ١/ ٤٦٧ ـ٤٦٨ .

فالتكرار كان في الموضع الذي يقتضي التفصيل فلكل من أهل السموات وأهل الأرض مايميزه عن غيره على انهما لا يمتازان من جهة علم الله . فهما سواءٌ عنده . ويلاحظ ايضاً أن الفعل (يعلم) يكتسب محتوًى دلالياً يختلف في سعته وكيفيته عندما يكون مسنداً الى الله عنه عندما يكون مسنداً الى غيره من المخلوقات .

ووازن الفيروزآبادي بين أوائل السور الخمس التي بدأ آياتها الأولى بـ (التسبيح) وهي : الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن . وجاء في بداية كل منها بقوله تعالى :﴿مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي ٱلأَرْضِ﴾ الا في سورة (الحديد) فقد جاء قوله تعالى : ﴿مَافِي السَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ﴾ . وعلّق الفيروزآبادي على ذلك قائلاً : ((إعادة (ما) هو الأصل ، وخصت هذه السورة (يعني : الحديد) بالحذف ، موافقة لما بعدها وهو : ﴿خَلَقَ السَّموات وَٱلأَرْض ﴾ (الحديد ٤) وبعدها : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَٱلأَرضِ﴾ (الحديد ٢) ، لأن التقدير في هذه السورة : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ خَلقُ السَّموَات وَٱلأَرضِ﴾ . ولذلك قال في آخر الحشر بعد قوله : ﴿الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ﴾[1] ، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضِ﴾ أي : خلقهما))[2] .

فبعد أنْ يقرر الفيروزآبادي أن الأصل ذكر (ما) بناءً على الأكثر استعمالاً-فيما يبدو- ولما كان الأصل لا يبحث عن علته كما هو مشهور عند النحويين توجه نحو بيان علة مافي سورة (الحديد) فَرَجَّعَ عدمَ تكرار (ما) الى علة سياقية . فالسياق اللغوي للآية اقتضى هذا الحذف لموافقتها مابعدها .

ومن التكرار ماجاء من تكرار الفعل ، وبمعنى آخر هو تكرار الجملة الفعلية لأن الفعل لا يخلو من فاعل ظاهر أو مضمر كما يقول سيبويه وهو كالجزء من الفعل .[3] ومن المواضع التي التفت اليها الفيروزآبادي تكرار فعل الأمر (قُلْ) . إذ قال (في سورة الفلق) : ((ومن المتشابهات قوله تعالى : (قُلْ) نزلت في ابتداء خمس سور .[4] وصار مَثْلُوّاً بها : لأنها نزلت جواباً ، وكرر قوله (مِن شَرِّ) أربع مرات لأنَّ شر كل واحد منها غير

---

(١) الآية ٢٤ .
(٢) البصائر ١/٤٥٤ .
(٣) ينظر : الكتاب ١/٤٠ . المقتضب ٤/٥٠ .
(٤) وهي سور : الجن والكافرون والتوحيد والفلق والناس .

شـــر الآخر)) .(١)

وكما يلاحظ أن منحى الفيروزآبادي فيما يرد من تكرار الألفاظ بنحو متتابع يرتكز علـــى تباين معنى كل لفظة عن سابقتها ، كما كان في تكرار (الناس) وتكرار (البلد) وههنا تكرار (من شر) .

ومنه تكرار (تواصوا) في قوله تعالى : ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر ١ـ٣) .

وعلل الفيروزآبادي هذا التكرار بقوله : ((كرر لاختلاف المفعولين ، وهما (بالحـــــق) و (بالصبـــــر)) .(٢)

ولعل في تكرار التواصي ميزة تربوية للمجتمع الاسلامي بالمعاهدة والتكاتف بين أفـــراد المجتمع في أمرين هما : لزوم الحق والعدل ، ولزوم الصـــبر .

وقال الفيروزآبادي : ((ومن المتشابه ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطـارق ١٧) وهذا تكرار ، وتقديره : مهّل مهّـل ، لكنه عدل في الثاني الى (أمهل) ؛ لأنه مـــن أصلـــه ، وبمعناه كراهة التكرار ، وعدل في الثالث الى قوله : (رويداً) ؛ لأنه بمعناه أي اردد هم إرواداً ثم صُغِّر (إرواداً) تصغير ترخيم فصار : (رويداً) ، وقيل : (رويداً) صفة مصدر محذوف أي : إمهالاً رويداً ، فيكون التكرار مرتين . وهذا اعجوبـــــة)) .(٣)

ومع موافقتنا لوصف الفيروزآبادي هذا التعبير بالاعجوبة للطريقة التي تكررت بها الألفـــاظ والمعاني فكرر فعل (مهّـل) بصيغة اخرى لفعل الأمر من هذه المادة وهو (أمهلهـم) ثم كرر الحدث بـ (رويداً) ثم إن التقدير في الجملة يقوم على التكرار ايضاً فـ (رويداً) (وهـو مصغر للمصدر ارواداً) انتصب على فعل محذوف من لفظه مو (أرودهـم) الذي قام مقامـــه (أمهلهم) ، وكذلك فيما قيل من كونه صفة فإن التقدير (إمهالاً رويداً) ينحو به كالتكرار . فيكون (إمهالاً رويداً) تكرارين مع ماسبق من (مهّل) و (أمهلهم) .

ومن تكرار الجملة الفعلية ماقد يحذف منه الضمير من نحو قوله تعالى : ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (الصافات ١٧٥) ، ثم قوله فيما بعد ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (الصافات ١٧٩) . يقول الفيروزآبادي : ((كرّر وحذف الضمير من الثاني ، لأنه لما نـزل (وَأَبْصِرْهُمْ) قالوا متى هذا الذي توعدنا به ؟ فانزل الله ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (الصافات ١٧٦) ثم كرر تأكيداً ...)) .(٤)

---

(١) البصائر ١/٥٥٦ .
(٢) البصائر ١/٥٤٢ .
(٣) البصائر ١/٥١٢ .
(٤) البصائر ١/٣٩٧ .

وينظر : أسرار التكرار ٢٥٥ .

وينظر : أسرار التكرار ١٨١

بمعنى أن الحذف كان لوضوح المفعول من خلال سياق الحال ومن خلال سياق نظم الآيات ، وكان التكرار لأجل تأكيد مايستبعدون حدوثه . ثم ينقل الفيروزآبادي آراء أخرى قيلت في دلالة الآية الأولى وسبب حذف المضمر من الثانية فقد : ((قيل : الأولى في الدنيا ، والثانية في القبر ، والتقدير : أبصر مايئالهم ، وسوف يبصرون ذلك . وقيل : أبصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون معاينةً . وقيل : أبصر ماضيّعوا من أمرنا فسوف يبصرون مايحل بهم وحذف الضمير من الثاني اكتفاءً بالأول . وقيل : التقدير : ترى اليوم (غيرهم الى ذل) وترى بعد اليوم ماتحتقر ماشاهدتهم فيه من عذاب الدنيا)).(١)

فالفيروزآبادي على عادته يستطرد في إيراد طائفة من الآراء التي قيلت في الموضع من غير أن يعتني بنسبة هذه الآراء الى أصحابها ، بل يجعل مدار الأمر حول استعراض الآراء .

ومن التكرار تكرار الأدوات النحوية ويشترط النحويون عند التكرار أنْ تعاد الأداة (حرف المعنى) مع ماد خلت عليه أو اتصلت به . ومما يبرز ههنا عند الفيروزآبادي عند وقوفه على مواضع تكرار الأدوات النحوية التسويغ لها بطول صلة الحرف الأوّل ثم يستدعي ذكره ثم تكمله جوابه كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل ١١٠) : ((كرر (إنَّ) ، وكذلك في الآية الأخرى ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ (٢) لأن الكلام لما طال بصلته أعاد (إنَّ) واسمها وثم ، وذكر الخبر ، ومثله : ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ (المؤمنون ٣٥) أعاد (أنَّ) لما طال الكلام)).(٣)

الملاحظ أنَّ طول الصلة قد يفقد التعبير بيانه الأسمى ويصبح أقل من أن يوصف بالبلاغة فانظر الى هذه الآية لو لم تكرر (أنكم) فيها كيف يكون حالها إذ تصبح : ايعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون ؟!.

---

(١) البصائر ١/٣٩٧ . وينظر : أسرار التكرار ١٨١ - ١٨٤ .
(٢) يعني بها قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل ١١٩) .
(٣) البصائر ١/٢٨٦ . وينظر : أسرار التكرار ١٨٦ .

وقد يكون تكرار الأداة لدواعي تحسين التعبير من نحو ما جاء في تكرار (لا) و (في) معاً في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (يونس ١٨) يقول الفيروزآبادي : ((بزيادة (لا) وتكرار (في) لأن تكرار (لا) مع النفي كثير حسن ، فلما كرر (لا) كرر (في) تحسيناً للفظ . ومثله في سبأ موضعين[1] (كذا)﴾ والملائكة[2]))[3].

وللنحويين[4] كلام كثير في زيادة (لا) النافية خاصة عند وقوعها بعد نفي غير أنّ القول بزيادتها لا يعني أنّه لا وظيفة لها بل إنّ ههنا تفيد تأكيد شمول النفي للطرفين، استنكاراً من الله لهولاء وسخرية منهم . ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى :﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَا أَوْلَٰدُهُمْ﴾ (التوبة ٥٥) بتكرار (لا) وقوله في الآية الأخرى : ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وأولادهم﴾ (التوبة ٨٥) . بحذفها من (أولادهم) . وقد علل الفيروزآبادي هذا بقوله : ((لأنه لما أكد الكلام الأول بالايجاب بعد النفي وهو الغاية ، وعلّق الثاني بالأول تعليق الجزاء بالشرط ، اقتضى الكلام الثاني من التوكيد ما اقتضاه الأول ، فأكد معنى النهي بتكرار (لا) في المعطوف .))[5]

ويشترط في الحكم بالتكرار أنْ يكون متعلق اللفظة واحداً في الحالتين والا لم يحكم في الثانية بأنها تكرار للأولى ، وقد صرّح الفيروزآبادي بذلك في بعض الآي المتشابه وأن كان ظاهره التكرار كما في المتشابه من قوله تعالى : ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء ٢٢) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء ٢٩) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الإسراء ٣٩) . فظاهر الحال أنّ التكرار وقع في (ولا تجعل) ولكن الخطاب لما جاء مختلفاً سواء بالمخاطب أو بمكان الخطاب انتفى كونه تكراراً . وعلى هذا قال الفيروزآبادي : ((فيها بعض المتشابه ، ويشبه التكرار، وليس بتكرار ، لأن الأولى والثانية في الدنيا ، والثالثة في العقبى ، والخطاب فيها للنبي (صلى الله عليه وسلم) . كما في قوله : ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ (الإسراء ٢٣) وقيل

---

(١) قوله تعالى : ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ (الآية ٣) . وقوله تعالى :﴿لَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (الآية ٢٢).

(٢) قوله تعالى :﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (الآية ٤٤) . ذكر محقق البصائر الآية ١١ وهو خطأ والصواب ما اثبتناه .

(٣) البصائر ١/٢٤١ . (٤) ينظر : دراسة في حروف المعاني الزائدة ١١١ـ ١٥٥ .

(٥) البصائر ١/٢٣١ ـ ٢٣٢ .

القول مضمر ، أي قل لكل واحدٍ منهم : لا تجعل مع الله الهاً آخر فتقعد محذولاً في الدنيا وتُلقىٰ في جهنم ملوماً مدحوراً في الاخرى ...)) .(١)

ومنه ما جاء في سورة الرعد ، قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ (الرعد ٢١) وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد ٢٥) . فالظاهر أنه كرر قوله (مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ) في الموضعين من هذه السورة قال الفيروزآبادي : ((هذا ليس بتكرار ، لأن الأول متصل بقوله (يَصِلُونَ) وعطف عليه (وَيَخْشَوْنَ) والثاني متصل بقوله (وَيَقْطَعُونَ) وعطف عليه (يُفْسِدُونَ))) .(٢)

إنَّ هذا الاحتراز من الفيروزآبادي فيما تقدم يدعونا الى القول بأنَّ مدار التكرار من جهتين : دلالية ونحوية ، فالدلالية ان يكون للفظة الثانية المدلول نفسه للفظة الأولى . والنحوية أن يكون العامل فيهما واحداً .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (التكاثر ٣ــ٤) . فالرأي الأول أنه تكرار أفاد التوكيد ((وعند بعضهم هما في وقتين في القبر والقيامة . فلايكون تكراراً . وكذلك قول من قال : الأول للكفار والثاني للمؤمنين)) .(٣)

ومهما يكن فإنَّ مظاهر التكرار على اختلافها ترجع الى وظيفة أساسية هي التأكيد وتقوية المعنى . ويمكننا القول بأنَّ معظم الآيات المتشابهات التي ورد بها التكرار كان للتأكيد ولعل الأمر يخرج عن هذا الغرض الى مراعاة السياق الأيقاعي للتعبير القرآني وهو ما اصطلح عليه الفيروزآبادي بمراعاة (فواصل الآي) من نحو ماذكر في تكرار (لعل) في قوله تعالى :﴿ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف ٤٦) إذ قال : ((كرر (لعلي) مراعاة لفواصل الآي . ولوجاء على مقتضى الكلام لقال : لعلي أرجع الى الناس فيعلموا ، بحذف النون على الجواب . ومثله في هذه السورة سواءً قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (يوسف ٦٢) أي لعلَّهم يعرفونها فيرجعوا))(٤) فلم تكرر (لعل) الا محافظة على انتهاء الآية بحرف النون .

---

(١) البصائر ١/٢٩١ . (٢) البصائر ١/٢٦٦ .
(٣) البصائر ١/٥٤٠ . وينظر : ١/٤٩٧ ، وينظر : لمسات بيانية ١٧١ــ١٧٢ .
(٤) البصائر ١/٢٥٨ .

المبحث السابع

الأدوات النحويـــة

يرد الكلام في (البصائر) على الأدوات النحوية في جانبين أولهما : يمكن أنْ نسميه جانباً تصنيفياً على اعتبار هذه الأدوات من أصناف الكلم ، فكما عقد الفيروزآبادى لكثير من الألفـــاظ بصائر خاصة فكذلك عقد لهذه الأدوات[1] بصائر خاصة أو مواضع خاصة في البصيرة الواحدة التي يتكلم فيها على أكثر من لفظة .

فمن ذلك البصائر الآتية : (بصيرة في أنْ وأنَّ وأنّا)[2] ، و(بصيرة في أنْ وأنَّ وأنّـــى)[3] ، و (بصيرة في بل)[4] ، و (بصيرة في ثـم)[5] ، و (بصيرة في حتى)[6] ، و (بصيرة في ربَّ)[7] ، و (بصيرة في كم)[8] ، و (بصيرة في كيـف)[9] ، و (بصيـرة في مَنْ)[10] ، و (بصيـرة في مِـنْ)[11] ، و (بصيرة في لعل)[12] ، و (بصيرة في ليت)[13] ، و (بصيرة في هل)[14] . وغيرهـــا[15] .

---

(١) من الجدير بالذكر أن الفيروزآبادي قد اعتمد في إيراد هذه الأدوات على كتاب (مغني اللبيب) وان لم يشر الى ذلك . وقد تبيّن لي ذلك من خلال الموازنة لبعض تلك الأدوات .

(٢) ينظر : البصائر ١١٨/٢ .

(٣) ينظر : البصائر ١١٩/٢ .

(٤) ينظر : البصائر ٢٦٩/٢ .

(٥) ينظر : البصائر ٣٤٤/٢ ـ ٣٤٥ .

(٦) ينظر : البصائر ٤٢٨/٢ ـ ٤٣٠ .

(٧) ينظر : البصائر ٣٠/٣ .

(٨) ينظر : البصائر ٣٨٦/٤ـ٣٨٧ .

(٩) ينظر : البصائر ٤٠١/٤ ـ ٤٠٤ .

(١٠) ينظر : البصائر ٥٢٩/٤ ـ ٥٣٠ .

(١١) ينظر : البصائر ٥٣١/٤ ـ ٥٣٥ .

(١٢) ينظر : البصائر ٤٣٢/٤ ـ ٤٣٣ .

(١٣) ينظر : البصائر ٤٦٥/٤ ـ ٤٦٦ .

(١٤) ينظر : البصائر ٣٣٣/٥ ـ ٣٣٦ .

(١٥) ينظر : على سبيل المثال لا الحصر : البصائر ١٢٢/٢ ، ٤٦١/٤ و٤٦٧ و ٥١١ـ٥١٢ ، ٢٣٦/٥ و٢٨٩ و٣٣٦ و٣٤١ و٣٥٠ .

فهذه بصائر أُفردت لهذه الأدوات ، ومن البصائر التي أُفرد فيها مواضع للأدوات ما جاء في (بصيرة في البلاء وبلى)[1] وكذلك عند كلامه على (بصيرة في عَنِتَ ومتى)[2] . بدأ الفيروزآبادي بصيرته في (البلاء وبلى) بذكر الأوجه الثلاثة التي جاء فيها (البلاء) في القرآن الكريم ، ومعناه في اللغة وجاء بكلام حول طبيعة الابتلاء من حيث التكاليف والاختبارات الى أن انتهى بالقول الى ذكر (بلى) فقال : ((وبلى : رد للنفي : ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (سورة البقرة ٨٠) الى قوله : ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ .[3] أو جوابٌ لاستفهام مقترن بنفي ، نحو : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ (الأعراف ١٧٢) ونعم : يقال في الاستفهام المجرد ، نحو : ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ﴾ (الأعراف ٤٤) ولا يقال ههنا : بلى . فاذا قيل : ماعندي شيء فقلت : بلى ، كان ذلك رداً للكلام . فإذا قلت : نعم ، كان إقراراً منك)) .[4]

ويدخل في هذا الجانب الأدوات التي تتألف من حرف واحد .[5] وفي العادة هي البصيرة الأولى في بابها ـ مثل : ألف الاستفهام[6] ، وباء القسم والجر[7] ، واللام بأنواعها[8] ، والواو بأنواعها[9] ، وغيرها[10] . إذ أفرد لها مواضع في البصائر عنونها على حرف واحد. فقد جاء الكلام على (تاء القسم) في (بصيرة في التاء) في أثناء كلامه على اقسام التاء المستعملة في الكلام ، وابتدأها بالكلام على حرف الهجاء . الى أن يقول : ((والمحركة في أوائل الأسماء حرف جر للقسم . وتختص بالتعجب ، وباسم الله تعالى . وربما قالوا : تَرَبِّي ، وَتَرَبِّ الكعبة ، وتالرحمنِ . والمحركة في أواخرها حرف خطاب ، ك (أنت))).[11]

---

(١) ينظر: البصائر ٢/٢٧٤ ـ ٢٧٥ .
(٢) ينظر : البصائر ٤/٤٨٠ .
(٣) الآية ٨١ .
(٤) البصائر ٢/٢٧٥ .
(٥) يجب الانتباه إلى أنّ خطة إيراد البصائر اعتمدت على تصنيف معجمي ألف بائي ، وقد سبقت الاشارة إلى ذلك في كلامنا على منهج البصائر .
(٦) ينظر : البصائر ٢/٧ .
(٧) ينظر : البصائر ٢/١٩٣ .
(٨) ينظر : البصائر ٤/٤٠٨ ـ ٤١٢ .
(٩) ينظر : البصائر ٥/١٤٥ ـ ١٥٢ .
(١٠) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : البصائر ٤/١٥٨ و٣١٨ و٤٧٥ ، ٥/٦ ـ ٨ .
(١١) البصائر : ٢/٢٨٤ .

ثم يذكر التاء المتحركة اللاحقة للأفعال وهو ضمير ، والساكنة في أواخرها وهي علامة تأنيث ، وتلحق بعض الحروف ... وهكذا إلى أن ينتهي إلى التاء في حساب الجُمَّل والتاء المبدَلة .

ويظهر الجانب النحوي واضحاً في مثل هذه البصائر إذ ينحصر الكلام على الأداة ومعانيها في الاستعمال . وماورد منها في القرآن الكريم من ذلك ماجاء في (بصيرة في أو) . قال الفيروز آبادي : ((ويرد على اثني عشر وجهاً : للشك : نحو جاءني زيد أو عمرو : وللتخيير : اشرب الماء أو اللبن ، وللإباحة : جالس الحسن أو ابن سيرين ، وبمعنى حتى : لا لزمنّك أو تعطيني حقي ، وبمعنى الواو : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً ﴾ (الدهر ٢٤) وبمعنى بل : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ (الصافات ١٤٧) وبمعنى إلى [1]، وبمعنى إلا في الاستثناء . وهذه ينتصب المضارع بعدها بإضمار أن نحو :

كسرتُ كعوبها أو تستقيما

وللتبعيض : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ (سورة البقرة ١٣٥) وتكون للتقريب وللتقسيم ، وتكون شرطية : لا ضربنه عاش أو مات ، وبمعنى إذن . واذا جعلتها اسماً ثقلت الواو يقال : دع الأوَّ جانباً)) . [2]

ومن ذلك ماجاء في (بصيرة في حتى) إذ قال فيها : ((وهو حرف يُجَرُّ بِهِ تارة كـ (الى) لكن يدخل الحدُّ المذكور بعده في حكم ماقبله ، ويعطف به تارة ، ويستأنف به تارةً نحو : أكلتُ السمكة حتى رأسِها ورأسَها ورأسُها . ويدخل على الفعل المضارع فيرفع وينصب . وفي كل واحد وجهان ، فأحد وجهي النصب الى (أن) ، والثاني (كي) . وأحد وجهي الرفع أنْ يكون الفعل قبله ماضيا نحو : مشيت حتى أدخلُ البصرة ، أي مشيت فدخلت . والثاني أنْ يكون مابعده حالاً نحو : مرض حتى لا يرجونه ، وقد قرئ [3] ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ (سورة البقرة ٢١٤) بالرفع والنصب . وحُمل كلٌّ واحدة من القراءتين على الوجهين)) . [4]

ثم بيّن بعض احكامها من نحو أنْ يكون مابعدها بخلاف ماقبلها ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ﴾ (النساء ٤٣) وأنْ لا يكون كذلك كما في الحديث :

---

(١) مثالها نحو : ((لا لزمنّك أو تقضيني حقي)) ينتصب الفعل المضارع بعدها بـ (أن) المضمرة . ينظر : مغني اللبيب ٩٤ .

(٢) البصائر ١٢٢/٢ . وينظر : مغني اللبيب ٨٧ ومابعدها .

(٣) قرأها نافع والكسائي ومجاهد وابن محيصن وشيبة والأعرج بالرفع . الكشف ٢٨٩/١ .

(٤) البصائر ٤٢٨/٢ .

: ((إنَّ اللهَ لا يمـــلُّ حتّى تَمَلُّـــوا)) .(١)

ثم يستقري أوجه استعمالها في القرآن الكريم فيقول : ((وقد ورد في القرآن على ثلاثـــة أوجه :

الأول بمعنى : إلى ﴿ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (الذاريات ٤٣) أي إلى أجلهم . ﴿ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (القدر ٥) أي إلى طلوع الصبح .

الثاني بمعنى : فلمّا ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ (يوسف ١١٠) ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَـــتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ (الأنبياء ٩٦) ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ﴾ (المؤمنون ٧٧) أي : فلمّا .

الثالث بمعنى : (إلى) كناية عن وقت معين ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ (التوبة ٢٩) . ﴿ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الحجرات ٩) ، ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ (سورة البقرة ١٩٣) أي إلى حال يتحقق فيه ذلك)) .(٢)

ثمّ يتكلم على أصل مادتها فيذكر أن أصلها (حتّ) والحقت الألف لفظاً وخطاً ((لئـــلا يلتبس باسم أو فعل)) .(٣)

ومن احكام (حتى) الأخرى أنه قد يحذف مابعدها للعلم به . وفي بعض لهجـــات العرب إبدال حائها عيناً ، وقد قرأ عبدالله بن مسعود (رض) ﴿ عَتَّىٰ حِينٍ ﴾(٤) (المؤمنون ٢٥) وهي لغة هذيل ، ولم يرتضِ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فمنعه منها .

وينقل عن الفرّاء أن إبدال الحاء عيناً في (حتى) لغة لهذيل وثقيف . وأنشد أبياتاً لبعض أهل اليمامة . وكذلك ينقل عنه فيقول : ((قال الفراء : حتّاه أي (حتّى هـــو) ، و (حتّامَ) أصله : (حتّاما) فحذف ألف (ما) للاستفهام . وكذلك كل حرف من حروف الجر يضاف في الاستفهام إلى (ما) ...)) .(٥)

وجرى الفيروزآبادي على هذا المنوال في (البصائر) التي أفردها للأدوات النحوية ولنأخذ مثالين آخرين على ذلك من وسط الكتاب وآخره . فقد جاء في (بصيرة في لعلّ) قوله : ((وهي حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر . وقيل : ينصبهما ، وزعم أنه لغة لبعض العرب ،

---

(١) الحديث (فإنّ اللّه ...) صحيح البخاري كتاب التهجد ١٨ ، كتاب اللباس ٤٣ .
(٢) البصائر ٢/٤٢٨ . (٣) البصائر ٢/٤٢٩ .
(٤) جاء في حاشية الأمير على المغني ١/١١ أنّ ابن مسعود قرأها في سورة الصافات وهذا خطأ لأنّ ابن مسعود قرأها في سورة (يوسف) حسب . ينظر : البحـــر المحيط ٥/٣٠٧ ، الكشاف ٢/٩ ٣١ . وينظر : المعجم المفهرس للقراءات القرآنية .
(٥) البصائر ٢/٤٣٠ .

وحكوا :(لعلّ أباك منطلقاً) وتأويله عند الجمهور على إضمار (يوجد)،وعند الكسائي على إضمار (يكون) . وهو قليل يخفضون بها المبتدأ)).[١] واستشهد على ذلك بقول كعب بن سعد الغنوي :[٢]

وداعٍ دعا هل من يجيب الى الندى فلم يستجبه عندَ ذاكَ مجيبُ

فقلتُ ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرة لعلَّ أبي المغوارِ منكَ قريبُ

ثم يقول : ((ويتصل بـ (لعل) (ما) الحرفية فيكفها عن العمل ، وجوّز قوم إعمالها حينئذٍ حملاً على (ليت) لاشتراكهما في أنهما يغيران معنى الابتداء)).[٣]

ويستطرد الفيروزآبادي في الكلام على (لعلّ) ولغاتها ، ويذكر أنّ لها معانيَ :

((أحدها : التوقع وهو ترجي المحبوب والاشفاق من المكروه ، نحو : لعل الحبيب مواصل ، ولعل الرقيب حاصل ، وتختص بالممكن ...

والثاني : التعليل ، أثبته جماعة وحملوا ، عليه قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (سورة طه ٤٤) . ومن لم يثبته يحمله على الرجاء . ويصرفه الى المخاطبين ، أي اذهبا على رجائكما .

الثالث : الاستفهام أثبته الكوفيون ، ولهذا عُلّق بها الفعل في نحو : ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ (الطلاق ١) ... ويقترن خبرها بـ (أنْ) كثيراً حملاً على (عسى) كقوله :

لعلكَ يوماً أنْ تلمَّ مُلمَّةً

ويحرف التنفيس قليلاً كقوله :

فقولا لها قولاً رقيقاً لعلَّها سترحمني من زفرةٍ وعويل)).[٤]

وختم كلامه على (لعلّ) بقوله : ((ولا يمتنع كون خبرها فعلاً ماضياً ، نحو قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((ومايدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرتُ لكم))[٥] . وقوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ (هود ١٢) .

---

(١) البصائر ٤/٤٣٢ . وينظر : مغني اللبيب ٣٧٧ ومابعدها .
(٢) ينظر : شواهد المغني ٣/٢٤٧ .
(٣) البصائر ٤/٤٣٢ .
(٤) البصائر ٤/٤٣٢ ـ ٤٣٣ .
(٥) صحيح البخاري تفسير سورة الممتحنة . وفيه رواية أخرى باسقاط (ومايدريك) في كتاب (المغازي) .

أي يظن بك الناس ذلك ، وقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال ٤٥) أي اذكروا الله راجين الفلاح • وقوله تعالى فيما ذكر عن قوم فرعون ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ ﴾ (الشعراء ٤٠) فذلك طمع منهم في فرعون)) .(١)

وبدأ كلامه في (بصيرة في هل) بقوله : ((هي كلمة استفهام ، وقيل : حرف استخبار أما على سبيل الاستفهام فذلك لا يكون من الله تعالى ، وقيل : حرف موضوع لطلب التصديق الايجابي دون التصور ودون التصديق السلبي ، فيمتنع نحو : هل زيداً ضربت بأنّ تقديم الاسم يُشعر بحصول التصديق بنفي النسبة • ونحو : هل زيدٌ قائم أم عمرو • إذا أُريد بـ (أم) المتصلة ، وهل لم يقم زيد • ونظيرها في الاختصاص بطلب التصديق أم المنقطعة ، وعكسها أم المتصلة • وجميع اسماء الاستفهام فإنّهن لطلب التصور ليس غير • وأعم من الجميع الهمزة فإنها مشتركة بين الطلبين)) .(٢)

وذكر الفيروز آبادي الاختلاف والتفريق بين (هل) والهمزة من عشرة أوجه(٣) • أذكر ستًا منها :

أحدها : اختصاصها بالتصديق • والثاني : اختصاصها بالايجاب ، تقول : هل قام ؟ دون ، هل لم يقم ؟ بخلاف الهمزة نحو : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (الانشراح ١) ، ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ ﴾ (آل عمران ١٢٤) • الثالث : تخصيصها المضارع بالاستقبال نحو : هل يسافر ؟ الرابع والخامس والسادس : أنّها لا تدخل على الشرط ، ولا على (إنّ) ، ولا على اسم بعده فعل ، بخلاف الهمزة • بدليل ﴿ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء ٣٤) •

وختاماً فقد ذكر الفيروز آبادي نقلاً عن بعض المفسرين ورود (هل) في التنزيل على سبعة أوجه ، وهذا ما سنذكره في موضعه من مادة الوجوه والنظائر في فصل الدلالة - إن شاء الله تعالى - •

من خلال ما سبق نستطيع القول إنّ الفيروز آبادي جعل الأدوات النحوية في صور من البحث ثلاثاً : الأولى جعل لها بصائر خاصة ، والثانية : جعلها مشتركة مع بصائر أخرى • الثالثة جاء بها بحسب حروف الهجاء •

---

(١) البصائر ٤/٤٣٢ •

(٢) البصائر ٥/٣٣٣ وينظر : مغني اللبيب ٤٥٦ ومابعدها •

(٣) ينظر : البصائر ٥/١٣٣ • مغني اللبيب ٤٥٧ ومابعدها •

أما الجانب الثاني من الجانبين اللذين ورد فيهما الكلام على الأدوات النحوية فهو جانب نحوي ـ دلالي ، ويكاد الكلام على هذا الجانب يقتصر على الجزء الأول في الفقرات التي افردها الفيروزآبادي لبيان المتشابه من كل سورة من سور القرآن الكريم ، وهو يستعرضها سورة سورة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك في أكثر من موضع .

ويتجه الفيروزآبادي في هذا الجانب إلى بيان الميزة الدلالية التي اقتضت استعمال إحدى الادوات دون غيرها مما هو قريب منها في الدلالة وأثر ذلك في الآيات ، وعدّت هذه الآي من المتشابهات لأجل ذلك ؛ اذ يحتاج للوقوف على هذه الميزة إلى مزيد من الكلام المعقود على الموازنة مع بعض الاستعمالات في الآي المتشابهة معها .

ويعد هذا الجانب في نظرنا أهم الجانبين إذ يبرز دقة التعبير القرآني في اختيار هذه الأداة لا غيرها .

فمن ذلك الجانب قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ (سورة البقرة ١٣٦) وقوله تعالى : (وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا) (آل عمران ٨٤) بدل (إلينا) . وعلل الفيروزآبادي ذلك بقوله : ((لأن (إلى) للانتهاء إلى الشيء من أيّ جهة كان ، والكتب منتهية إلى الأنبياء ، وإلى أمتهم جميعا . والخطاب في هذه السورة (يعني : البقرة) للأمة ، لقوله تعالى : ﴿ قُولُوا ﴾ (١) فلم يصح إلاّ (إلى) . و (على) مختص بجانب الفوق وهو مختص بالأنبياء ، لان الكتب منزلة عليهم ، لا شركة للأمة فيها . وفي (آل عمران) ﴿ قُلْ ﴾ (٢) وبعده مختص بالنبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) دون أمته ، فكان الذي يليق به (على) ...)) (٣) .

إن النص يبيّن موازنة دلالية لاستعمال حرفي الجر (إلى ـ على) وقد كان سياق الحال في الآيتين هو الحاكم في اختيار هذا الحرف لا الحرف الآخر . فـ (إلى) تمتلك دلالة انتهاء الغاية غير محددة بجهة دون أخرى . أما (على) فإنها امتلكت انتهاء الغاية مع تحديدها بجهة واحدة هي (الفوق) ، وهو ما يُعَبِّرُ عنه النحويون (٤) بأنها تفيد (الاستعلاء) .

ويخرج هذا بنا إلى القول بأن (على) ذات دلالة في مجرورها اكثر خصوصية من دلالة

---

(١) الآية ١٣٦ .
(٢) الآية ٨٤ .
(٣) البصائر ١٤٨/١ . ← وينظر أسرار التكرار ٣٥-٣٦ .
(٤) ينظر : الكتاب ٣١٠/٢ ، المقتضب ٤٦/١ ، شرح المفصل ٣٧/٨ .

(إلى) التي تحمل دلالة عامة • وكلتا الدلالتين تظهر في سياق الحال التي تكشف عنه الآيات السابقة : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة ١٣٥ ــ ١٣٦) • فالخطاب موجه للمسلمين •

على حين جاء في (آل عمران) قوله تعالى : ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ٨٤) • فهو خطاب موجه إلى النبي محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) دون سائر أمته •

ويحيل الفيروزآبادي في المتشابه من (سورة الزمر) على هذا الموضع عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ (الزمر ٢) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (الزمر ٤١) • فيقول : ((سبق في (البقرة) ويزيده وضوحاً أن كل موضع خاطب فيه النبيّ (صلّى اللّه عليه وسلّم) بقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ ففيه تكليف، واذا خاطبه بقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾ ففيه تخفيف • واعتبر بما في هذه السورة • فالذي في أول السورة ﴿ إِلَيْكَ ﴾ فكلفه الاخلاص في العبادة • والذي في آخرها ﴿ عَلَيْكَ ﴾ فختم الآية بقوله : ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ أي لست بمسؤول عنهم ، فخفف عنه ذلك)) (١)

إنّ السياق الذي ترد فيه الأداة هو الفيصل في الكشف عن دلالتها بصورة دقيقة • ومن ذلك أيضا استعمال (الفاء) في موضع واستعمال (ثُمَّ) في موضع آخر في المتشابه ، إذ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (الكهف ٥٧) ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (السجدة ٢٢) قال الفيروزآبادي : ((لأن (الفاء) للتعقيب و (ثم) للتراخي • وفي هذه السورة (يعني : الكهف) في الأحياء من الكفار ، اى ذُكِّروا فأعرضوا عقيب ماذكّروا ، ونسوا ذنوبهم ، وهم بعدُ متوقّع منهم أن يؤمنوا • وما في (السجدة) في الأموات من الكفار ، بدليل قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ

---

(١) البصائر ١/ ٤٠٥ ــ ٤٠٦ •

وينظر: أسرار التكرار ١٨٤.

عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (السجدة ١٢) أي ذكروا مرة بعد أخرى ، وزماناً بعد زمانٍ بآيات ربهم ثم أعرضوا عنها بالموت ، فلم يؤمنوا وانقطع رجاءُ إيمانهم)) .(١)

ولعلّ اللمحة الدقيقة للفيروزآبادي أنّ التعقيب في (الفاء) يزرع الأمل في هدايتهم بقوله : (وهم بعد متوقع منهم أن يؤمنوا) أما التعقيب بـ (ثمّ) فإنه لا مجال فيه لهذا الأمل بالموت ، فـ (انقطع رجاء إيمانهم) . على أنّ دلالة (الفاء) و (ثمّ) في هذا الموضع لا تنفصل عن مايتفصل عن دلالتيهما (التعقيب والتراخي) .

وتتبيّن الميزة الدلالية لاستعمال (الواو) في موضع و (الفاء) فيما يناظره في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴾ (هود ٥٨) ((في قصة هود وشعيب بالواو .(٢) ، وفي قصة صالح ولوط ، ﴿ فَلَمَّا ﴾ (٣) بالفاء ، لأن العذاب في قصة هود وشعيب تأخّر عن وقت الوعيد فإنّ في قصة هود : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ (هود ٥٧) وفي قصة شعيب : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (هود ٩٣) والتخويف قارنه التسويف ، فجاء بـ (الواو) والمهلة ، وفي قصة صالح ولوط وقع العذاب عقيب الوعيد ، فان في قصة صالح : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ (هود ٦٥) . وفي قصة لوط : ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (هود ٨١) فجاء بـ (الفاء) للتعجيل والتعقيب)) .(٤)

فمجيء (الفاء) للتعقيب تتعزز من خلال السياق وتفيد وقوع العذاب بعد مدة وجيزة هي عقب الوعيد ، على حين أن دلالة (الواو) على مطلق العطف ناسب تأخر وقوع العذاب .

ومن المتشابه قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ ﴾ (سورة البقرة ٩٥) . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ ﴾ (الجمعة ٧) . وهما في وصف موقف اليهود من الموت مع زعمهم أنّهم أولياء الله من دون الناس . فاستعمل (لن) في الأولى و (لا) في الثانية فكلتاهما للنفي ، إلا أنّ لكل منهما دلالتها الخاصة . فقد قال الفيروزآبادي : ((لأن دعواهم في هذه السورة

---

(١) البصائر ١/ ٣٠٠ ـ ٣٠١ . وينظر : ١/ ١٩٠ .
(٢) سورة هود الآية ٩٤ .
(٣) سورة هود الآية ٦٦ ، ٨٢ .
(٤) البصائر ١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(يعني : البقرة) بالغة قاطعة ، وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص ، فبالغ في الـــرد عليهم بـ(لن) ، وهو أبلغ ألفاظ النفي • ودعواهم في الجمع قاصرة متردد ة ، وهي زعمهـــم أنهم أولياء الله فاقتصر على (لا) •))[1].

فناسب استعمال كل أداة حالة مانفته ، ومن هنا نفهم أنَّ (لنْ) تفيد النفي القاطـــع الذي لا رجاء بعده لوقوع ذلك منهم • ونفهم أنَّ (لا) التي ذكر النحويون [2] أنهـــا لمطلق النفي ذات دلالة أقل في النفي قياساً إلى (لن) •

ويتبيّن من بعض كلام الفيروزآبادي في التشابه أنَّ ذكر أداة بعينها وعدم ذكر مثيلتها لا يخضع لميزة نحوية دلالية تفيد ها تلك الأداة بل ربما يكون بياناً لوجود أكثر من طريقـــة يمكن أنْ تستعمل للتعبير عن المراد • وكأن النص القرآني أراد أنْ يجعل من أهدافه زيادة ثروته اللغوية •

من ذلك ماجاء من استعمال (لوما) مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الحجر ٧) وجاءت بقية المواضع باستعمـــال (لولا) • وعلل ذلك بقوله : ((لأن (لولا) يأتي على وجهين : أحد هما امتناع الشـــيء لوجود غيره ، وهو الأكثر • والثاني بمعنى (هلّا) وهو التحضيض ويختص بالفعل • و(لوما) بمعناه • وخصت هذه السورة (يعني : الحجر) بـ(لوما) ، موافقة لقوله : ﴿رُبَمَـــا﴾ ، وهي قوله تعالى : ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر ٢) فإنَّهـــا ايضاً مما خصّت به هذه السورة)) .[3] وهو يتوافق مع بعض ماذكرناه من تعليلات الفيروز آبادي لبعض من الظواهر النحوية عند ما يصف الاستعمال بأنه أصل ، أما مشابهه فكـــان لغرض ما •

وبعد فإنَّ الكلام على الأدوات النحوية بجانبيه واسع ، وفيما ذكرناه كفاية عن غيره إذ الموضع هنا لا يتسع لايراد جلّ المادة المتعلقة بالظواهر النحوية والأدوات علاوة علـــى حصرها كلها ، إذ يسعى البحث الى وصف كتاب (البصائر) في اطار منهجي للدرس اللغوي الحديث ، وتفهم ما اشتمل عليه من ثروة لغوية ونحوية تعلقت بالنص القرآني المبارك •

---

(١) البصائر ١/١٤٥ ـ ١٤٦ •

(٢) ينظر : شرح المفصل ٢/٢٠٠ ، شرح الكافية ٢/٢٦٠ •

(٣) البصائر : ١/٢٧٤ •

الفصل الخامس
المباحث الدلاليّة في البصائر

توطئـــة :

تبيّن لنا أنّ (البصائر) يعدّ كتاب تفسير للقرآن الكريـــم بطريقة تختلف عمـا هـو معهـود من المفسـرين • وهو منهـج يعتمد على أساس دلالي واضـح ذلك أنّ البصيـرة تصـور في مفهومنـا حقلاً دلاليـاً مبسـطاً يجـري فيه الكشـف عن دلالة البصيـرة ووجوه استعمالاتهـا في آي القرآن الكريم •

وكان استقراء كتاب (البصائـر) سبيلنـا للكشف عن كثيـر من مباحث علـم الدلالـة كما هي الآن في علم اللغة الحديـث ، فوجدنا علاقـة الدال بالمدلول ووجدنـا أنـواع الدلالات ووجدنا التحوّلات الدّلاليّـة ووسائلهـا ووجدنا ظواهـر دلاليـة ، وقد تم تصنيفها على وفـق المباحث الثلاثـة الآتيـة .

المبحث الأول

الدلالة وأنواعهـــا

الدلالة : لغة واصطلاحاً

الدلالة : لغة ، من دَلَّ يَدِلُّ دَلالة ودِلالة ودُلولة ، والفتح أعلى ، وكلها بمعنى واحد هو : أرشد وهدى . والدليل والدال : المرشد إلى الطريق .(١)

واصطلاحاً : هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال ، والثاني هو المدلول (٢) . أي إنَّ الدال هو اللفظ والمدلول هو المعنى . وبهذا يظهر الربط بين الدلالتين إذ يصبح العلم بالشيء هادياً ومرشداً إلى المدلول وهو الشيء الآخر ، وهو مفهوم يجعل الدال ممتلكاً لوظيفة هي الإشارة إلى المدلول .

ولفظة (الدلالة) كما يرى بعضهم (٣) مشتقة من لفظة يونانية هي semaino بمعنى (يدل عليه) والمتولدة هي أيضاً من الكلمة sema ، أو العلامة ، وهي بالاصل الصفة المنسوبة إلى الكلمة الأصل sens ، أو المعنى .

وقد عرف الفيروزآبادي الدلالة بأنها ((مثلثة . والدال والدلولة : ما يتوصل به الى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعاني ودلالة الرموز والإشارات والكتابة والعقود في الحساب ، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن . كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي ، قال تعالى : ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ (سبأ ١٤) والدَّال والدليل : من حصلت منه الدلالة ، ثم يسمى الدّال والدليل : دلالة كتسمية الشيء بمصدره))(٤)

من الواضح أن الفيروزآبادي يرى الألفاظ دوالّ توصل إلى معرفة الشيء الذي وضعت له ومن هنا ، فالدال عند الفيروزآبادي وهو مايعبر عن جنس الألفاظ وبصورة أعم (الكلام) سيكون وسيلة يتوصل عبرها إلى الغاية وهي معرفة الاشياء . ويمكن أن يمثل خط الدلالة عند الفيروزآبادي على الصورة الآتية :

الدليل / الدال ← المدلول عليه / الشيء / المعنى

---

(١) الصحاح مادة (دلل) ، لسان العرب مادة (دلل) .
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٢٨٤ .
(٣) علم الدلالة : جون لاينز ٩ .
(٤) البصائر ٢ / ٦٠٥ .

ويمثل هذا التصور ما رآه المحدثون من أمثال : أوجدن وريتشارد زفي مثلث الدلالـــة بوجود فصل بين (الشيء والمعنى) كما يأتي :

وماز الفيروزآبادي في الفرق بين الدلالة اللغوية التي تقوم على القصد وبقيـة الدلالات لكونها غير قصدية بل هي لازمة ، ومن هنا فإن الفيروزآبادي على ما نرى يمتلك احساســا بأن دلالة الألفاظ على المعاني محدثة ، وأن الربط الحاصل بين الألفاظ (الدوال) والمعنى (المدلول) يعد ربطا غير ضروري بل يرجع به إلى اتفاق الجماعة على ذلك لما في دلالـة القصد من الرجوع إلى نيـــة مستعمل الدال • لقوله : ((••• وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أولم يكن •••))•

ونجد بعض كلمات الفيروزآبادي تشير إلى تبني الرأي الذى يذهب إلى القول بوجـود مناسبة بين الالفاظ ودلالاتها كما سيأتي ذلك في موضوع مناسبة الحروف للمعاني •

الاصل اللغوي :

يستعمل الفيروزآبادي الأصل استعمال من يرى أن الأصل اللغوي هو المعنى المعجمي الذي تكون عليه اللفظة أو المعنى الأول الذي يمكن أن ترجع إليه بقية المعاني ، اللغوية منها والاصطلاحية .

ويبدو اهتمام الفيروزآبادي بهذا الجانب منسجما مع كونه من المتخصصين البارزين في الجانب المعجمي من الدراسة اللغوية . وتزودنا البصائر بطائفة كثيرة من النصوص التي ترجع الألفاظ فيها إلى أصلها الأول من نحو قوله في (الشرح) :

((أصل (الشرح) بسط اللحم ونحوه . يقال : شرحت اللحم وشرحته ، ومنه شرح الصدر ، أي بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه ، قال : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح ١) . ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (سورة طه ٢٥)، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (الزمر ٢٢) وشرح المشكل من الكلام : بسطه وإظهار مايخفى من معانيه .)) (١)

فالشرح في الأصل اللغوي متعلق باللحم ونحوه ولكنه خرج عن هذا الأصل إلى أن تعلق باشياء أخرى منها شرح الصدر وشرح الكلام وغيرها .

ويقول في (السطو) : ((السطو : البطش برفع . وقد سطا به ، قال تعالى : ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ (الحج ٧٢) ، وأصله من سطا الفرس على الرمكة يسطو : إذا قام على رجليه رافعا يديه ، إما مرحا وإما نزوا على الأنثى .))(٢)

وقال في (السوط) : ((... فالسوط أصله الخلط ، لكونه مخلوطا بطاقات بعضها من بعض)) (٣)

وقال في (الرسّ) : ((وأصل الرسّ : الأثر القليل الموجود في الشيء ، يقال : سمعت رسّا من خبر . ورسّ الحديث في نفسه . ووجد رسًّا من الحمى . ورُسَّ الميت : دفن وجعل أثرا بعد عين .))(٤)

وقال في (النميمة) : ((وأصل النميمة : الهمس والحركة الخفية ، ومنه أسكت الله نامته ، اى حسه ومايدم عليه من حركته . والنامة ايضا : حياة النفس .)). (٥)

---

١) البصائر ٣٠٧/٣ .
٢) البصائر ٢٢٠/٣ .
٣) البصائر ٢٧٥/٣ .
٤) البصائر ٦٨/٣ ـ ٦٩ .
٥) البصائر ١٢٧/٥ .

يرى المتأمل في هذه النصوص أن الفيروز آبادي ينحو منهجا يحاول فيه بيان الاصطلاحات من خلال بيان دلالة أصلها اللغوي الذي أخذت منه .

والحق أنّ هذا منهج يعد ناضجاً في الفكر اللغوي العربي إذ ترجع بداياته إلى وقت متقدم كثيرا عن زمن الفيروزآبادي فهذا ابن جني في (خصائصه) يعتمد الدلالة اللغوية (الأصل) عند بيانه لطائفة من المصطلحات كالكلام والقول وحسب الفيروزآبادي تقدما كون هذا المنهج من سمات البحث اللغوي الحديث .

ويرى الفيروزآبادي في بيان قوله تعالى : ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ (النازعات ٢٩) ، أي أذهب ضوءه وجعله مظلما . وأصله من الغطش ، وهو شبه الغمش في العين .(١)

وقال في معنى (آية) : ((وأما (آية) ففي أصل اللغة : بمعنى العجب ، وبمعنى العلامة وبمعنى الجماعة . سميت آية القرآن آية لأنها علامة دالة على ما تضمنته من الأحكام ، وعلامة دالة على انقطاعه عما بعده وعما قبله ، أو لأن فيها عجائب من القصص والامثال ، والتفصيل والاجمال ، والتمييز عن كلام المخلوقين ولأن كل آية جماعة من الحروف ، وكلام متصل المعنى إلى أن ينقطع ، وينفرد بإفادة المعنى . والعرب تقول : خرج القوم بآيتهم ، أي بجماعتهم .))(٢) . واستشهد بقول شاعرهم :(٣)

خرجنا من النَّقِبين لا حي مثلنا بآيتنا نُزجي اللقاح المطافلا .

واستشهد بقول الشاعر(٤) في معنى العلامة :

إذا طَلَعَتْ شمسُ النهارِ فَسلمي فآية تسليمي عليك طلوعها .

ويلاحظ أن الكلام المتقدم يرتبط بمسألة التوسع في استعمال الألفاظ ، ويدخل فيها التطور الدلالي الذي أحدثه الاستعمال القرآني في طائفة من الألفاظ . ويحاول الفيروز آبادي - كما في النص - تسويغ تعدد المعاني برجوعها إلى جهة معينة أباحت ذلك .

وقال في (الحَرث) : ((وأصل الحرث كسب المال وجمعه يقال : حرَث يحرُث مثال : كَتَبَ يَكْتُبُ ، وحرِث يَحْرَثُ مثال سمِع يسمَع ، وحرث عصاه براها حيث يقع اليد عليه منها وجعل لها مقبضا . والحرَث والحرِث المحجة المكدودة بالحوافز))(٥)

---

(١) ينظر : البصائر ١٣٦/٤ .
(٢) البصائر ٨٥/١ ـ ٨٦ .
(٣) الشاعر هو برج بن مسهر الطائي . ينظر : اللسان مادة (أيا) .
(٤) لم أعثر على قائله .
(٥) البصائر ٤٤٦/٢ .

اذ ان الفيروزابادى يحرص الى جانب ماسبق على ذكر الصيغ الفعلية التي تبين اختلاف المعاني .

ويقول في (الحكمة) : ((وأصل المادة (يعني : الحكمة) موضوع لمنع يقصد به اصلاح، ومنه سمّي حكمة الدابة فقيل : حكمته وحكمت الدابة منعتها بالحكمة ، وأحكمتها : جعلت لها حكمة. والحكم بالشيء ان تقضي بانه كذا او ليس بكذا سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه ، قال الشاعر :

وأحكُم كحكم فتاةِ الحَيّ إذ نظرتْ إلى حمام سراع وارد الثمد))[1]

ومعنى ذلك أن للصيغ المختلفة حقلها السياقي الذي تتحدد دلالتها فيه على نحو دقيق ، ولعل في إشارات الفيروزآبادي إلى صيغ (حكمته ، وحكمت الدابّة ، واحكمتها ، والحكم) ما أبان عن شيء من ذلك .

ووقف الفيروزآبادي على كثير من النصوص[2] التي تقوم على بيان الأصل اللغوي للفظة أي (المعنى المعجمي) وهي مسألة تتفق وإطار البحث الذي اشتهر به في عمله المعجمي (القاموس المحيط) كما مرّ ذكر ذلك . ويكون هذا الأصل في أغلب النصوص الخطوة الأولى للبحث عن المعنى المستعمل وبيان طريقة التحول الدلالي الذي سنأتي عليه بالتفصيل قريبا ، أي من المعنى المعجمي (الأصل) إلى الاستعمالات الأخرى سواء أكانت تلك الاستعمالات ذات دلالات لغوية أم دلالات اصطلاحية مما يستوجبه النظر في مفردات القرآن الكريم أو مفردات بعض العلوم التي تحولت إلى دلالات اصطلاحية .

ويستعمل الفيروزآبادي في كثير من المواضع عبارات من نحو : (في اللغة) أو (لغة) للإشارة إلى كون هذا الاستعمال هو المعنى المعجمي ، وهو مايجعله قريبا من فكرة الأصل اللغوي) كقوله : ((الصبر في اللغة : الحبس والكف في ضيق ، ومنه قيل : فلان صبر : إذا أمسك وحبس للقتل . قال تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ (الكهف ٢٨) ، أي احبس نفسك معهم))[3].

---

(١) البصائر ٢/٤٩١ .

(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : البصائر ٢/٩٨ و١٣٠ و٢٢٠ و٢٣٧ و٢٤٦ و٣٥٦ ، ٣/١٩ و٣٦ و٧٦ و٢٥٦ و٢٨٢ ، ٤/٢٠٩ و٣٤١ .

(٣) البصائر ٣/٣٧١ .

ونقل عن الزجاج (ت ٣١١هـ) قوله : ((المسَد في اللغة : الحبل إذا كان من ليف المُقْل ٠ وقد يقال لما كان من دبر الإبل من الحبال مسد ٠ وقال غيره : وقد يكون المَسَد من جلود الإبل ، قال عمارة بن طارق :

وَمَسَدٍ أمِـــرَّ مِن أيَانِـــقٍ ليسَ بأنهابٍ وَلا حَقائِـــق

وهو يحتمل المعنيين والله أعلـــم))[١] وغير ذلك ٠[٢]

وأما عبارة (لغة) فمثالها قوله : ((والبلد لغة : المكان المحدود ، المتأثـــر باجتماع قطانه ، وإقامتهم فيه ٠))[٣] وقوله في البخع) : ((وهو لغة : قتل النفس غمـــا ٠ بَخَع نفسه يَبخَع بخعا كـ (منَع ـ يمنَع) ٠ وبخَع بالحق بخوعا ٠٠٠))[٤]

وكذلك قوله : ((والخفـــر لغة : إلباس الشـــيء مايصونـــه من الدنس))[٥] وغير ذلك ٠[٦]

---

(١) البصائـــر ٥٠٧/٤ ٠

(٢) ينظر : البصائر ١٤١/٢ و١٤٢ ، ٥٠٣/٤ و٥٠٤ ، ٣١٢/٥٠

(٣) البصائـــر ٢٧٢/٢ ٠

(٤) البصائـــر ٢٢٩/٢ ٠

(٥) البصائـــر ١٦٦/٢ ٠

(٦) ينظر : البصائر ٨١/١ و١٢٠ ـ ١٢١ ، ١١١/٢ و١٣٩ و٢٢٩ ، ٥٠١/٤ ٠

مناسبة الحروف للمعاني :

عقدت العرب صلة وثيقة بين صيغة اللفظ والمعنى الذي يؤديه ، حتى كادت معاني الصيغ تطرد في العربية ، وكان من أوائل من نبّه على هذه العلاقة سيبويه في الكتاب (١) وحذا ابن جني (٢) حذوه ، ومن جاء بعد هما (٣) فزادوا ووسعوا وأكثروا من الأمثلة والشواهد في هذا الباب .

ويرى الدكتور حسام النعيمي : ((أن عقد الصلة بين الصيغة ومعانيها ، إنما هو نوع من عقد الصلة بين الصوت والمعنى ، على أننا لا نقول بالصلة الطبيعية ، وإنما هي هنا صلة وضعية ، ولكنها على أي حال تمثل علاقة قائمة في العربية بين الصوت والمعنى الذى يؤديه اللفظ ،...))(٤).

أما الفيروزآبادي فيرى أن هناك مناسبة (غاية المناسبة) بين الحروف والمعاني وذلك حين وقف على بصيرة في الحب والمحبة إذ يقول : ((وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء أحدها : الصفاء والبياض ... الثاني : الغلو والظهور ... الثالث : اللزوم والثبات ... الرابع : اللباب والخلوص ... الخامس : الحفظ والامساك ... فاجتمعت فيها المعاني الخمسة . ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للشيء غاية المناسبة : الحاء التي من أقصى الحلق والباء للشفة التي هي نهايته ، فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء ، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب ، فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه .))(٥)

وليس هذا حسب بل يرى أن هناك مناسبة ومطابقة بين الحركات في داخل الكلمة وبين معناها فيقول : ((... وأعطوا الحُب حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها ، مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها ، واعطوا الحِبّ وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها عن الضمة ، وذلك لخفة ذكر المحبوب على قلوبهم والسنتهم مع اعطائه حكم نظائره كـ (بِهْد) و (ذِبح) للمنهود والمذبوح و(حِمل) للمحمول ، فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين

---

(١) ينظر : الكتاب ٢١٨/٢ .

(٢) ينظر : الخصائص ١٥٢/٢ ومابعدها .

(٣) ينظر : الأصول ١٤٣/٢ ، المزهر ٤٨/١ ومابعدها .

(٤) ابن جني عالم العربية ٨٩ .

(٥) البصائر ٤١٦/٢ ـ ٤١٧ .

اللفظ والمعنى يطلعك على قدر هذه اللغة الشريفة وإنّ لها لشأنا ليس كسائر اللغات))(١).

إن هذا الرأي الذي يرجح مناسبة اللفظ (الصوت) للمعنى مناسبة تواضع عليها ابناء اللغة ـ وبعيدا عما فيه من تكلف ـ أو كونه محدداً في نطاق من الألفاظ، يحيل الى تقديس الفيروزابادى واعجابه بهذه اللغة الشريفة ـ على حد وصفها.

ولا يخفى أن هناك علاقة مابين اللفظ والمعنى على نحو يجعل من اللفظ (الجانب الصوتي من الكلمة) موحيا بمعنى الكلمة. لكن من الصعوبة بمكان محاولة اطراد مثل هذه النظرة على كلمات اللغة جميعا. بل ربما يكون تعدد المعنى (الوجوه والنظائر) ظاهرة واضحة عند اسقاط تبني مثل هذه العلاقة.

الدلالة العرفية (الاستعمالية):

يعني العرف عند الفيروزآبادي مانعنيه الآن بالاستعمال الخاص بالجماعة اللغوية أي الاستعمال المتعارف عليه للفظة.

ويشير هذا المفهوم إلى أنّه جرى التغافل عن بقية الدلالات التي ترد للفظ واحد عند طائفة المتكلمين. ولا يشير الفيروزآبادي في هذا المفهوم في طائفة من النصوص إلى كون بقية الدلالات قد ضاعت بل قد تستعمل على نحو ما.

ووقف الفيروزآبادي عند هذه الظاهرة طويلا من خلال ما أورد من الألفاظ التي انصرفت دلالتها من معناها في الأصل اللغوي إلى معنى عرفي وغالباً مايعبر عنه بانه (وضع في التعارف) أو (صار في التعارف) أو مايراد فهما فمن ذلك قوله: ((والركوب في الأصل: كون الانسان على ظهر حيوان، وقد يستعمل في السفينة وفي مباشرة

(١) البصائر ٢/٤١٧ ـ ٤١٨.

بعض الامور • ركب الذنب : اقترفه ، وركب امرا عظيما : باشره • والراكب اختص في التعارف بممتطي البعير ••)) • (١)

وكأنَّ لفظة الراكب إذا نطق بها فإنه لا يُفهم منها الا كون المعني ممتطياً البعير ويدل ذلك على أنه جرى تواضع الجماعة اللغوية على هذا التحديد • وهو لا يمنع من كون اللفظة قد تدل على غير ذلك من ركوب الخيل ونحوه في حالة وجود قرينة صارفة عن المتعارف •

ويمارس هذا العرف (أو : الاستعمال) نوعاً من التخصيص أو التوسع الدلالي ـ (التعميم) الدلاليين ولا سيما وهو يشير إلى فعالية الالفاظ في الاستجابة لمتطلبات الخطاب •

فمثال التخصيص قوله : ((والعجز : أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر ، أي مؤخره ، كما ذكر في الدبر • وصار في العرف اسماً للقصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة)) • (٢)

ومثال التوسع الدلالي قوله : ((والانتهاء في الأصل ابلاغ النهي ، ثم صار متعارفا في كل ابلاغ • قالوا : أنهيت إلى فلان خبر كذا ، أي بلَّغتُ إليه النهاية ••)) • (٣)

وأما قوله : ((وسوار المرأة أصله دستواره ، وكيفما كان فقد استعملته العرب ، واشتق منه سوَّرت الجارية • وجارية مسورة ومخلخلة)) • (٤) فإن الأصل في السوار دستواره وهكذا استعمل عند العرب إلى غير ذلك من الأمثلة • (٥)

ومما جرى فيه تضييق المعنى قوله : ((والنبات عام في كل ماينبت ، لكن صار في التعارف اسما لما لا ساق له ، بل اختص بما تأكله الحيوانات ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً ﴾ (النبأ ١٥)) (٦) نلاحظ أن عملية التخصيص الأولى لم تستقر على حالتها بل تَعَدَّت ذلك إلى تخصيص آخر •

---

(١) البصائر ٣/٩٦ •
(٢) البصائر ٤/٢٢ •
(٣) البصائر ٥/١٣١ •
(٤) البصائر ٣/٢٧٤ •
(٥) ينظر : البصائر ٣/٩٦ و٤٧٠ •
(٦) البصائر ٥/٩ ـ ١٠ •

والظاهر أن هذا المنحى يكشف عن أثر الايجاز أو التخاطب على دلالات الألفاظ والتركيبات ، ولا ريب أن الفيروز آبادي بما يقدم من أمثلة واضحة في هذا المجال كان يعبر عن هذا المنحى • ويكشف هذا الاتجاه ومايليه أيضاً كونَ بعض الألفاظ تستعمل وكأنها تشتمل على نوع من الامكانية الذاتية التي يستطيع المتكلم استثمارها في عدة اتجاهات • فضلاً عما تقدم يكشف هذا كون علاقة الدّال بمدلوله علاقة اعتباطية أطرافها كثيرة منها : الخطاب/ وأطراف الخطاب /والدلالة الأصل /ومكان الاستعمال /وزمانه •

وقد يكتفي الفيروز آبادي بذكر كلمة (يستعمل) أو مايراد فيها ، من ذلك ماجاء في قوله : ((الركود : السكون ، يستعمل في الماء والريح والسفينة)) • (١)

وكذلك قوله : ((الوعد يستعمل في الخير والشر • قال الفراء : يقال : وعدته خيرا ووعدته شرا ، قال القطامي :

ألا عَلِّلاني كلُّ حَيٍّ مُعَلَّلُ ولا تَعِدَاني الشَّرَّ ، والخيرُ مقبِلُ ...

قال الفراء : إذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير : المَوْعِد والعِدَة ، وقالوا في الشر : الوعيد والايعاد • قال عامر بن الطفيل :

ولا يَرهبُ ابن العم ماعِشْتُ صولتي ولا أَخْتَفِي من صَوْلَة المُتَهَدِّد

وإنّي وإن أَوْعَدْتُه أو وَعَدْتُه لَمُخلف إيعادِي ومُنجز مَوْعِدِي)) (٢)

وقوله أيضا : ((والسعي : المشي السريع • ويستعمل للجد خيرا كان أو شرا ، قال : ﴿ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ (البقرة ١١٤) ، وقال : ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ (الحديد ١٢) • وأكثر مايستعمل في الأفعال المحمودة)) • (٣)

---

(١) البصائر ٣/٩٧ •

(٢) البصائر ٥/٢٣٧ ـ ٢٣٨ •

(٣) البصائر ٣/٢٢٢ •

وغير ذلك من الأمثلة .(١)

وقد نلحظ في هذا الصدد بوادر تحديد الحقل الدلالي لبعض الألفاظ كقوله : ((والحرس والحرز متقاربان معنى تقاربهما لفظا ، لكن الحرز يستعمل في الناض(*) والأمتعة أكثر ، والحرس يستعمل في الأمكنة أكثر .))(٢)

وفي تفسير الآية المباركة : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ (الأعراف ١٣٠) يقول : ((عبارة عن الجدب . وأكثر مايستعمل السَّنة في الحول الذي فيه الجدب وأستنوا : أصابتهم السنة))(٣). ويعبر عن الحول الذي فيه خير وفير بأنه عام ، دليل ذلك قولهم : عام الفيل ذكر مولد سيد الكائنات النبي محمّد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

الدلالة الاستعارية (المجازية) :

يقول ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) في الخصائص : ((اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة)) .(٤)

بهذا المفهوم اليسير تتضح لنا حقيقة كون كثير من المعاني التي جرى التعامل معها على أنها معانٍ لغوية للفظة هي في الحقيقة معان اكتسبتها عن طريق المجاز أدنى التطور الدلالي إلى وجودها و ((المجاز كل كلمة أُريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول)) .(٥) والملاحظة هي العلاقة بين المعنى اللغوي الحقيقي ومدلولاته المجازية . مثال ذلك كلمة (الأكل) التي تعني في معناها الحقيقي التناول بالفم أمّا مدلولاتها المجازية فكثيرة إذا ما استعرضناها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية والنثرية .

---

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : البصائر ٢/٤١٧ ، ٣/١٢٤ و٢١٤ و٣٠٢ و٤٦٠ ـ ٤٦١ و٤٨٩ .

(٢) البصائر ٢/٤٤٩ .

(٣) البصائر ٣/٢٦٩ . (٤) الخصائص ٢/٤٤٧ . (٥) أسرار البلاغة ٣٦٥ .

(*) أهل الحجاز يسمون الدراهم والدنانير نضاً وناضاً . وقال أبو عبيدة : إنما يسمونه ناضاً إذا تحول عيناً بعد ان كان متاعاً . ينظر : المصباح المنير ٢/٩٤٢ .

ويذكر الفيروز آبادي من طرق المجاز الاستعارة من نحو قوله : ((واستعير اليد للجاه ، والوقار ، والطريق ، ومنع الظلم ، والقوة ، والقدرة ، والسلطان ، والملك - بكسر الميم - والجماعة ، والاكل ، والندم ، والغياث ، والاسلام ، والذل ، والنعمة ، والاحسان ، والجمع يدي مثلثة الأول وأيدٍ))[1] فلو وضعنا كلمة (يد) في جملة من السياقات يتبين لنا ان المعنى الحقيقي لها هو هذه الجارحة المعروفة كقوله تعالى : ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّن خِلَافٍ ﴾ (الأعراف ١٢٤) أما مدلولاتها الأخرى فما هي إلا استعارات لما تقدم كقوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح ١٠) للقوة .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (المائدة ٦٤) للقدرة .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة ٩ ٢) للذلّ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (الحديد ٢٩) . للنعمة والاحسان .

ومنه ايضا قول الفيروز آبادي ((الصدر : الجارحة . والجمع : صدور . ثم استعير لمقدم الشيء ، مثل صدر القناة ، وصدر السهم ، وهو ما فوق نصفه الى المراش . وسهم مُصَدَّر : غليظ الصدر ...))[2] .

والأمر في هذا كسابقه إذ إنَّ الدلالة الحقيقية للصدر هي الجارحة المعروفة ومنها تطورت معانيها المجازية الاخرى .

---

(١) البصائر ٣٨١/٥ .

(٢) البصائر ٩٢/٣ ٣ .

وقوله أيضا : ((والرِّيح ـ بالكسر ـ : المكان العالي . قال تعالى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ (الشعراء ١٢٨) ، ومنه استعير الريع للزيادة والارتفاع الحاصل)) .(١)

ويقول معلقا على قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ (الشرح ٣) : ((الظهر استعاره تشبيهاً للذنوب بالحِمْل الذى يثقل بحامله ، واستعير لظاهر الأرض فقيل : ظهر الأرض وبطنها ، قال تعالى : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (فاطر ٤٥)))(٢) الى غير ذلك من الأمثلة .(٣)

وقد تؤدي الاستعارة في بعض الألفاظ إلى التوسع في المعنى مثال ذلك قول الفيروز آبادي : ((والطريق : السبيل المطروق ، يؤنث ويذكر ، والجمع : طُرُق وأَطْرُق ، وأطرِقاء ، وأطرِقة . وجمع الجمع : طُرُقات . وعنه استعير كل مسلك يسلكه الإنسان في فعل ، محموداً كان أو مذموماً .)) (٤).

---

(١) البصائر ٣/١١٥ .

(٢) البصائر ٣/٥٤٨ .

(٣) ينظر البصائر ٢/٢٥٤ و٦١١ ، ٣/١٠٨ و١١٣ و١١٤ و١٢٣ و١٧٢ و١٨٢ و ٣٣٠ و٣٤١ و٣٤٢ و٣٤٦ و٤١٤ ، ٤/٥١٩ .

(٤) البصائر ٣/٥٠٤ .

المبحث الثاني

التحوّل الدلالي ووسائله

التحوّل الدلالي :

تعدّ هذه الظاهرة التي تتصف بها اللغات عامة من أهم الوسائل التي تفسح المجال للثراء التعبيري ، ويعدّ هذا الموضوع ظاهرة اعتنى بها علماء اللغة ، لأنه من الواضح أن توجه العلماء إلى الفروع في اللغة لا الأصول ولعل قاعدتهم واضحة في هذا الإطار حينما قرروا أنّ الأصل لا يُسال عن علته ، ومن هذا فإنّ الأصل اللغوي لم يعنَ منهم إلا بشيء يسير من الاهتمام اقتصر على كونه الأصل الذي يشار إليه لا غير في حين نراهم يوردون قوائم واسعة للمعاني التي ترد عليها المادة الأصل وأوزانها المختلفة بل ربما اقتصر بعضهم على ذلك على نحو واضح كما فعل الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في معجم (أساس البلاغة).

ووصف الرماني (ت ٣٨٤ هـ) التحول الدلالي : ((بتعليق العبارة على غير ماوضعت له في اصل اللغة على جهة النقل للابانة)).(١)

((ويتناول القاضي عبد الجبار(*) قضية التحول الدلالي بوصفها مظهرا للطاقة الاختزالية في تصريف اللغة مبرزا التبادل بين أجزاء البناء الكلامي ومثبتا من وراء ذلك قدرة الانسان على تصريف انماط اللغة وهو مايتأكد به مرة اخرى مبدأ الاقتران الاعتباطي بين كل دال ومدلوله إذ لو لم تتسم الدلالة بسمة التعسف الاقتراني ماتمكن الإنسان من فتح مجاري الكلام بمايزيل حواجز الدلالة بين حقولها المختلفة ...))(٢)

ويبدو أن التبديل والتحويل لفظتان مترادفتان وقف عندهما الفيروزآبادي – في بصائره – وكان من ضرورة البحث الوقوف عليهما لنرى وجهة نظره في هذه الظاهرة من خلال ما أورده من نصوص تخص هذا الجانب حيث يقول : ((التبديل تغيير الشيء عما كان عليه قبل مع بقاء مادة الأصل ، كقوله تعالى : ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ (النساء ٥٦)...))(٣) وأما في التحويل فيقول : ((والتحويل : نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر ، وسنة الله لا تبدل ولا تحول ، ...)) (٤).

---

(١) النكت في إعجاز القرآن ٨٥، وينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية ١٨٩ .

(*) عبد الجبار المعتزلي قاضي القضاة يعد أبرز المنظرين للفكر الاعتزالي وأكثرهم ايضاحا للجهد البياني الاعتزالي (اللغوي والبلاغي).

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية ١٩٢ . (٣) البصائر ١/٣٨٨ .

(٤) البصائر ١/٣٨٨ .

ومعنى هذا أن التبديل هو تغيير الدلالة ، والتحويل نقل المعاني من مجال إلى آخـــر ويعني هذا أنّ الألفاظ تتغير وتنتقل من معنى إلى آخر وهو مايراد بها بـ (ظاهرة التطـور الدلالي) التي تتعرض لها أغلب الألفاظ ، وقد حصر بعض المحدثين مظاهر التطور الدلالـي بقوله : ((وأهم مظاهر التطور الدلالي ثلاثة : تخصيص الدلالة ، وتعميم الدلالة ، وتغيير مجال استعمال الكلمة أي : إن معنى الكلمة يحدث بين تضييق أو اتساع أو انتقال فهنـــاك تضييق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص ... وهناك اتساع في الحالة العكسية ، أي عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام ... وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لايختلفان من جهة العموم والخصوص ، كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلـى الحال أو من السبب إلى المسبب ، أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه ...)) (١)

إن التحول الدلالي الذي تصوره هذه المظاهر يكاد يشمل جميع ألفاظ اللغة . وعليه فإننا نجد الفيروزآبادي في الغالب يقدم الأصل اللغوي للفظة موضوع الكلام ثم يذكـــر الدلالات التي تحوّل إليها هذا الأصل الذي قد يعاني الإهمال وقد يبقى مستعملا .

وبمعنى آخر أنه أصبح من البديهي كونُ ألفاظ اللغة تخضع لمبدإ صارم يجعلها تتطور، ولاتبقى على حالها الأول وعلى مايبدو فإن الفيروزآبادي قد عبر عن ذلك في طائفـــة كثيرة من النصوص التي بيّن فيها عدة استعمالات للفظة فيذكر الأصل اللغوي (وهو الأصل الأول في دلالة اللفظ) ويذكر ما آل إليه استعمالها الذي قد يتعدد أو قد تنتهي بعض الدلالات ويبقى بعض آخـر .

ومن خلال تتبع المظاهر الدلالية للبحث في بصائر الفيروزآبادي وجدت عنايـــة واضحة بإيضاح التحولات الدلالية التي تعرض في الكلام وماذكر الأصل اللغوي إلا تأكيدا لهذا المنحى الذى تعززه القدرة المعجمية التي يتصف بها هذا الرجل بكونه رجلا معجميـــا من الطراز الأول .

إنّ استعمالنا لمصطلح (التحوّل الدلالي) نعني به مظاهر التوسع أو الاتساع الذي تمارسه اللغة في الخروج عن الأصل الأول للفظة إلى عدة دلالات ترتبط بالأصل اللغوي بطريقة ما ، وهي طائفة الوسائل ـ وسيأتي ذكرها ـ التي كانت محل عناية الفيروزآبادي. ويظهر الأصل اللغوي عند الفيروزآبادي بكونه المعنى الذى تخرج منه بقية الدلالات سواء أكانت لغوية أم بلاغيـــة .

---

(١) التطور اللغوي : مظاهره وعلله وقوانينه ١١٤ ـ ١١٥ .

ووجدت بعد تتبع النصوص أن طرائق التحوّل الدلالي تكمن عند الفيروز آبادي فـــي مايأتي :

١. التعميم ٢. التخصيص ٣. المشابهة ٤. التغليب أو تسمية الجزء باسم الكل أو العكس ٥. مآل الشيء .

١ـ تعميم الدلالة : أو مايسمى بـ (توسيع المعنى) .(١)

إن معنى التعميم هو إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس على الجنس كله (٢) ويـــرى المحدثون (٣) أن التعميم يصيب دلالة بعض الألفاظ كما يصيب التخصيص دلالة بعضها الآخر ، غير أن تعميم الدلالات أقل شيوعا في اللغات من تخصيصها وأقل أثرًا في تطـــــور الدلالات وتغيرها .

وقد ذكرنا سابقا أن الفيروز آبادي من خلال نصوصه يؤكد الأصل اللغوي الذي يعني عنده المعنى المعجمي الأول للفظة ومن ثم يخرج لتتسع دلالته ، ومن أمثلة ذلك قولـــه : ((وظهر الشيء ظهورا : أصله أن يحصل الشيء على ظهر الأرض فلايخفى ، وبَطَنَ : إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى ، ثم صار مستعملاً في كل بادٍ بارز للبصـــر والبصيرة)) .(٤)

وكذلك قوله في (الجدّ) : ((وهو أصل الكلمة . وجَدَدْتُ الثوب إذا قطعته على وجـــــه الاصلاح . وثوب جديد أصله المقطوع ثم جعل لكل ما أحدث إنشاؤه . وقال تعالـــــى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّن خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (سورة ق ١٥) إشارة إلى النشأة الثانية)) .(٥)

وكذلك قوله : ((أصل الوضع فيه أن الجلس : الغليظ من الأرض ، ويسمى النجد ، أي المكان المرتفع جلسا أيضا ، وأصل الجلوس أن يقصد وضع مقعده في جلس من الأرض ، ثم جعـــل الجلوس لكل قعود ، والمجلس لكل موضع يقعد فيه الانسان . وقيل : الجلوس إنما هو لمن كان مضطجعاً ، والقعود لمن كان قائماً ، باعتبار أن الجالس من يقصد الارتفاع أي مكـــاناً مرتفعاً وإنما هذا يتصور في المضطجع ، والقاعد بخلافه فيناسب القائم)) .(٦)

---

(١) ينظر : دور الكلمة في اللغة ١٦٢ ، دلالة الألفاظ العربية وتطورها ٢٥ .
(٢) دلالة الألفاظ العربية وتطورها ٢٥ .
(٣) ينظر : دلالة الألفاظ ١٥٤ .
(٤) البصائر ٣/ ٥٥٠ .
(٥) البصائر ٢/ ٣٧٠ .
(٦) البصائر ٢/ ٣٨٨ .

وتشتمل بعض الألفاظ على معنى عام مع وجود لفظ أو معانٍ أخص من المعنى العام ولعل الأمر في هذه الالفاظ يندرج في إطار التوسع الدلالي أو التحول . وأشار الفيروز آبادي في طائفة من هذه الألفاظ إلى كونها قد توسع في دلالتها في حين لم يشر في بعضها الآخر إلى هذه الحالة فمن الأولى قوله : ((والإهلال : رفع الصوت عند رؤية الهلال ، ثم استعمل لكل صوتٍ ، وبه شُبِّه إهلال الصبي)) .(١)

وكذلك قوله : ((والمَغْنَى : المنزل الذى غَنِي به أهله ثم ظعنوا ثم استعمل في كل منزل .))(٢)

ومن الثانية فقوله : ((الظِّل أعم من الفيء فانه يقال : ظِل الليل ، وظِل الجنة . ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس: ظل ، ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس. وقيل الظِّل يكون بالغداة ، والفيء يكون بالعشي ، والجمع ظِلال ، وظُلُول ، وأظلال))(٣) وقوله : ((وقد يستعمل المِثل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان . وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة ، وذلك أن الند يقال فيما يشاركه في الجوهرية فقط ، والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة ، والشِّبْه يقال فيما يشاركه في الكيفية فقط ، والمساوي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط ، والمِثل عام في جميع ذلك)) .(٤)

ويتجوز في بعض الألفاظ إلى أن تتسع دلالتها من ذلك قوله : ((الربح وهو الزيادة الحاصلة في المبايعة ، ثم يتجوّز به في كل مايعود من ثمرة عمل)) (٥).

وكذلك قوله : ((وربع فلان وارتبع : أقام في الربيع ثم تُجُوِّز به في كل إقامة ، وإنْ كان ذلك في الأصل مختصاً بالربيع))(٦). ومعنى هذا أن اللفظة تعومت بعد أن كانت ذات دلالة خاصة .

ويؤدي التوسع أحياناً إلى المجاز ، من ذلك ماورد لدى الفيروز آبادي في

---

(١) البصائر ٣٣٢/٥ .
(٢) البصائر ١٥١/٤ .
(٣) البصائر ٥٣٧/٣ .
(٤) البصائر ٤٨١/٤ .
(٥) البصائر ٣١/٣ .
(٦) البصائر ٣٣/٣ .

لفظة (البحر) التي كانت تعني في الأصل اللغوي : المكان الواسع ، وأصبح كل متوسع في شيء يقال له بحر، مع عدم إغفاله الأصل اللغوي إذ يقول : ((وأصل البحر : كل مكان واسع جامع للماء الكثير ... وسمّوا كل متوسع في شيء بحراً . فالرجل المتوسع في علمه بحر ، والفرس المتوسع في جريه بحرٌ ، واعتبر من البحر تارة ملوحته ، فقيل (ماء بحر) أي : ملح)).(١)

ويفرق الفيروز آبادي في هذا الباب بين الدلالات معتمداً في هذا التفريق تحرك حرف أو إسكانه من نحو قوله في لفظة (الوسط) : ((كل موضع صَلَح فيه (بَيْن) فهو (وَسْط) بالتسكين ، وإلا فهو (وَسَط) بالتحريك . وقال ثعلب : الفرق بينهما ان ما كان يبين جزءا من جزء ، فهو مثل الحلقة من الناس والسبحة والعقد فهو وَسْط بالتسكين ، وما كان مصمتا لا يبين جزءاً من جزء فهو وَسَط بالتحريك مثل وَسَط الدار ، والراحلة ، والبقعة . وقد تُسكن السين من الوَسْط وليس بجيد .))(٢). وأمثلة التوسع أو التعميم في البصائر كثيرة (٣) .

---

(١) البصائر ٢/٢٢٥ـ ٢٢٦ .

(٢) البصائر ٥/٢٠٩ .

(٣) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : ٢/ ٩ ٣ و١١١ و١١٣ و٣٥٩ و٣٦٩ و٣٧٠و ٤٠١ و٤٣٨ و٤٤٠ و٤٦٤ و٤٧١ و٤٩١ و٥٠٥ و٦١٣ ، ٣/٥٩ و٦٢ و١٠١ و١٠٧و١١١ و١١٥ و١٨٦ و٩ ١٦ و٢١٢ و٢١٩ و٢٤٥و٢٦٢ و٢٨٨ و٣٢٠ و٣٦٩ و٣٨٧ و٣٩٠ و٤٠٩ و٤٤٢ و٤٤٥ و٤٧٢ و٤٨١ و٥١٩ ، ٤/٥٧ و٧٦ و٧٧ و١٢٩ و١٧٦ و٢٦٦ ، ٥/١٠٣ و١٥٣ و٢٠٩ و٣٢٤ و٣٢٨ و٣٣٢ .

٢ـ تخصيص الدلالة : أو مايسمى بـ (تضييق المعنى) .[١]

معنى التخصيص خروج الكلمة من معنى عام إلى معنى خاص ، بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصورا على أشياء تقل في عددها عما كانت تدل عليه الكلمة في الأصل إلى حد ملحوظ[٢] .

وأفرد الفيروز آبادي بصيرة في معنى (الخصوص) قال فيها : ((الخصوص: التفرد ببعض الشيء مما لا يشاركه فيه الجملة ، وذلك خلاف العموم)) .[٣]

ومما جاء في البصائر من أمثلة التخصيص لفظة (التعبير) إذ يقول فيها : ((التعبير مختص بتفسير الرؤيا . وهو العابر من ظاهرها إلى باطنها . وهو أخص من التأويل والتأويل يقال فيه وفي غيره)) .[٤]

وتخصصت بعض الألفاظ بعد أن كانت عامة من ذلك قوله : ((والطارق : المختص بالليل للطريق ، لكن خص عند العرب بالآتي ليلا ، فقيل : طرق أهله طروقا . وفي الخبر : ((وأعوذ بك من كل طارق إلا طارقا يطرق بخير)) وعُبِّر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل ، قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ (الطارق ١) ...))[٥] .

وكذلك قوله : ((والنعم مختص بالإبل ، وقيل : بها وبالشاة ، قيل : وبالبقر ، والجمع أنعام وأناعيم جمع الجمع ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ (الأنعام ١٤٢) قيل : ولا يقال الأنعام حتى يكون في جملتها الإبل ، قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ (الزخرف ١٢) وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ (فاطر ٢٨) والأنعام ها هنا عام في الإبل وغيرها))[٦] . ويبدو أن المعنى يُحَدِّده مقتضى الحال بمعنى انه يتخصص في حال ويصبح عاما في حال آخر .

---

(١) ينظر : دور الكلمة في اللغة ١٦٢ ، دلالة الالفاظ العربية وتطورها ٢٥ .
(٢) دلالة الالفاظ العربية وتطورها ٢٥ .
(٣) البصائر ٢ / ٥٤٧ .
(٤) البصائر ٤/ ١٥ .
(٥) البصائر ٣/ ٥٠٤ .
(٦) البصائر ٥/ ٩٠ ـ ٩١ .

وقد ترد بعض الملحقات لتخصص لفظة كانت تستعمل عامة ، من نحو ماجاء في بعض اللهجات من إلحاق علامة التأنيث بلفظة (زوج) • يقول الفيروزآبادي : ((والزوج يطلق على كل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المزدوجة ، ويقال لكل قرينين فيها وفي غيرها ، كالخفّ والنّعل ، ولكل مايقترن بآخر مماثلاً له ومضاداً : زوج ، قال تعالى : ﴿يَا أَدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (سورة البقرة ٣٥) و (زوجة) لغة رديئة ، والجمع زوجات ، وجمع الزوج أزواج))[١] وامثلة التخصيص لبعض الدلالات كثيرة في البصائر •[٢]

٣ـ المشابهة :

تُعدّ المشابهة طريقاً لطائفة من التحولات الدلالية التي تعرض للألفاظ• وتقوم على استعارة لفظة ما أو اكثر ثم استعمالها في معنى آخر يلمح فيه جهة المشابهة مع الأصل السابق (اللغوي) •

ومن أمثلة ذلك ماورد في البصائر عن قوله في الجرح : ((وهو كل أثر دام في الجلد • جرحه جَرْحاً فهو جريح ومجروح • وسمي القَدْح في الشاهد جَرْحا تشبيها به • وتُسمى الصائدة من الفهود والكلاب جارحة ، والجمع جوارح • إما لأنها تجرح ، وإما لأنها تكسب))[٣]• فقد جرى تسمية الجوارح بهذا الاسم لكونها تفترس فرائسها فتعمل فيها أول ماتعمل أن تجرحها •

وفي (بصيرة في الجراد) يقول : ((وهو معروف • ويجوز أن يجعل أصلا يشتق من فعله جَرَد الأرض . ويصح أن يقال : سمي بذلك لجرده الأرض من النبات))[٤] وكذلك قوله : ((الزَبَدُ ـ محركة ـ : زَبَدُ الماء • وأزبد البحر : صار ذا زبد ، ومنه أُخِذ الزُّبْدُ لمشابهته إياه في البياض))•[٥]

إن مايمكن ملاحظته في هذا الجانب كون المعاني التي تتحول إليها الدلالات الأصل لاتقتصر على كونها معانيَ لغوية بل قد تكون معاني اصطلاحية •

وعلى العموم فإن هذا النحو في البحث عن الأساس اللغوي للدلالات الاصطلاحية يكتسب في العصر الحديث أهمية بالغة إذ يمكننا من خلاله كشف الدلالة الأصل التي لمحت في المصطلح •

---

(١) البصائر ٣/١٤٢•
(٢) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: ١/١٢٠، ٢/٤٦ و١٤٢ و١٤٩ و٣٨٥ و٣٩٦، ٣/٥٣ و٢٢١ و٢٢٣ و٢٢٤ و٢٢٥ و٤٣٦ و٤٥٥ و٤٩٤•
(٣) البصائر ٢/٣٧٦ • (٤) البصائر ٢/٣٧٧ • (٥) البصائر ٣/١٢٢•

٤ـ التغليب :

تخرج بعض الألفاظ عن أصلها اللغوي الذي وضعت له إلى معنى محدد عن طريق يغلب فيه استعمال اللفظ بهذا المعنى مع كون الأصل فيه غير ذلك • من ذلك قول الفيروزآبادي : ((الشعر : الكلام الموزون المنظوم المقصود ، وجمعه : أشعار وهو في الأصل العلم ، لكن غلب على منظوم القول ، لشرفه بالوزن والقافية ، كما غلب الفقه على الشرع ، والعود على المندل ، والنجم على الثريا ، وغير ذلك من نمطه • وربما سمّوا البيت الواحد شِعرا ، قاله الأخفش . وليس بقوي ، الا ان يكون على تسمية الجزء باسم الكل ، كقولك : الماء للجزء من الماء ، والأرض للقطعة من الأرض)) .(١)

ويعني هذا كون التحول الدلالي يخرج ببعض الألفاظ من معنى أصلي إلى معنى يغلب فيه ، أو يكون من باب تسمية الجزء باسم الكل •

ويدخل التغليب في باب التخصيص على نحو ما ، ويختلف عما ذكرناه في فقرة (التخصيص) من جهة أنَّ المعنى هنا يكون عاماً لطائفة من الأفراد ومن ثم تتحول دلالته إلى فرد واحد من أفراده فيغلب عليه فإذا ما أطلق لم يفهم منه إلا دلالته على ذلك الفرد ومعنى ذلك أنه جرى تخصيص الدلالة من دلالة عامة إلى دلالة خاصة ، فقوله : ((والدابة : ما دبّ من الحيوان ، وغلّب على ما يركب • ويقع على الذكر والمؤنث • وقوله تعالى : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (فاطر ٤٥) قال أبو عبيدة : المراد الإنسان خاصة ، والأولى اجراؤها على العموم))(٢) قد يكون هذا من باب التخصيص ، أو اطلاق الكل على الجزء •

ولا شك في أن الملاحظة العجلى هنا تخرج بنا إلى كون التغليب باباً من أبواب التحوّل الدلالي بكونه طريقاً لتخصيص طائفة من الألفاظ بمعانٍ أكثر تحديداً من دلالاتها الأولى (الأصل) •

---

(١) البصائر ٣/٣٢٣ •

(٢) البصائر ٢/٥٨٥ •

٥ـ مآل الشـــــيء :

يمكننا القول إنّ مفهوم (مايؤول الشيء إليه) يعد وسيلة أخرى من وسائل التحول الدلالي الذي يعترض الألفاظ ، ونعني بمآل الشيء : مايرجع إليه بكون ذلك الشيء سببا في إيجاده أو باعثا عليه أو نحو ذلك .

ولم يقف صاحبنا على هذه الظاهرة إلاّ وقفة عجلى إذ لم يورد لهذه الظاهرة إلا ماذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ (المدثر ٥) إذ ينقل عمّن سبقوه بقوله : ((قيل : هو صنم ، وقيل : هو كناية عن الذنب فسمّاه بالمآل كتسمية الندى دماً . وقوله : ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَانِ﴾ (الأنفال ١١) الشيطان ، هنا عبارة عن الشهوة ، فإن كل قوة ذميمة تسمى شيطاناً . وقيل : بل أراد برجز الشيطان مايدعو إليه من الكفر والبهتان والفساد)).(١)

(١) البصائر ٣/٣٦ـ٣٧.

المبحث الثالـــــث
الظواهر الدلاليّـــة

نرى قبل الخوض في إيراد طائفة الظواهر الدلالية التي برزت في كتاب البصائـــر الإشارة إلى بعض ملاحظات الدرس اللغوي الحديث في الجانب الدلالي للغة • فكثير من الظواهر الدلالية التي لاحظناها في البصائر وهي من نحو : الترادف والتضاد والتقابـــل وغيرها • يجب أن ننظر إليها بكونها انعكاسا لأمرين هما :

١ــ إن الكلمات لا تعيش منفردة عن بعضها بل إن حياتها قائمة في طائفة من علاقات الحضور والغياب . ونعني بالأولى كون الكلمة خاضعة لسياق لغوي محدد يفرض استعمالهـــا وتحديد دلالتها بدقة •

أما الثانية وهي علاقات الغياب فنعني بها أن الكلمة المعينة تكتسب كينونتها المستقلة بوصفها عنصرا لغويا من حقل يضم عناصر أخرى • فعلى سبيل المثال إن الضمير (أنت) لا يمكن أن يحدد إلاّ من خلال تصورنا لبقية الضمائر ، وإن استعمالنا كلمة (صلاة) لا يحـدد إلا في حالة تصورنا لمدلولات كلمات أخرى من نحو : الإسلام والزكاة والقرآن والشـــريعة وغير ذلك •

لذلك فإن استبدالنا كلمة مايعني في الحقيقة إحداث سلسلة من التغييرات للوحدات الأخرى المصاحبة • من هنا يظهر أن علاقات الحضور تخص جانب النظم أو التركيب ، فـــي حين تخص علاقات الغياب نظرية الحقول الدلالية •

٢ــ الأمر الثاني : أنّ طائفة علماء العربية ومنهم الفيروز آبادي الذين قالوا بوجود مثل هذه الظواهر الدلالية تعاملوا معها في إطار كون الكلمات مستقلة ، بمعنى أن قواعد الاستبـدال هي التي رجحت عندهم للقول بالترادف مثلا ، مع إهمالهم للنظرة السياقية (النظم أو علاقات الحضور) التي تبرز الفروق الدقيقة للمترادفات • ومن هنا كانت نظرتهم إلى الظواهـــر الدلالية قائمة في ضوء مايمكن أن نصفه بـ (عزل الكلمات) عن سياقاتها . والواضح أن هناك فروقاً دقيقة بين الكلمات المترادفة أو ربما الأجدر أن نقول إنهم راموا إظهار المعنى العام الذي تشترك به طائفة معينة أو تختلف فيه أو تتقابل من غير أن يعنـوا بإظهار ظـــلال

ذلك المعنى العام التي تتصف بها كل كلمة من كلماتها ، وتعني بظلال المعنى العام طائفة المعاني الدقيقة التي تتميز بها الكلمات بعضها عن بعض .

وتلك مسألة تُعنى بها نظرية الحقول الدلالية على نحو واضح بوصف النظرية هي التي تُعنى بتقسيم الكلمات على وفق حقول معرفية خاصة وهو الأمر الذي يؤدي إلى عرض واضح للظواهر الدلالية المتقدم ذكرها .

التضـــاد :

الضد هو النقيض والمقابل ، والضدّ جمعه :الأضداد وهو مصطلح أطلقه اللغويون العرب على الألفاظ التي تنصرف دلالتها إلى معنيين متضادين .(١)

وقد عقد الفيروز آبادي بصيرة في كتابه عنونها بـ (بصيرة في ضدّ) تبيّن من خلالها رأيه الذي يبرز المفهوم اللغوي للضدّية ويدخل مفهوم الضد تحت مفهوم أعم هو التقابل : الذي يضم إضافة على الضدين ، المتضايفين ، كالضّعف والنصف ، والوجود والعدم وكالبصر والعمى ،والموجبة والسالبة في الاخبار،فيقول : ((والضدّان : الشيئان اللّذان هما تحت جنس واحد ، ويتنافى كل واحد منهما الآخر في أوصافه الخاصة ، وبينهما أبعد البعد ، كالسواد والبياض ، والخير والشر . ومالم يكونا تحت جنس واحد لا يقال لهما: الضدان ، كالحلاوة والحركة ، قالوا : والضد أحد المتقابلات ، فإن المتقابلين هما الشيئان المختلفان اللذان كل واحد قبالة الآخر ، ولا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد . وذلك أربعة أشياء :الضدان ، كالبياض والسواد ، والمتضايفان ، كالضعف والنصف ، والوجود والعدم وكالبصر والعمى ، والموجبة والسالبة في الاخبار ، نحو : كل إنسان ههنا ، وليس كل إنسان ههنا)) .(٢)

يبدو أنّ الفيروز آبادي كان دقيقاً في تحديد مفهوم الضدية في المعاني فقوله (الشيئان اللّذان هما تحت جنس واحد ، ويتنافى كل واحد منهما الآخر في أوصافه الخاصة)

---

(١) ينظر : الأضداد في اللغة ٩ ٩ . رسالة الأضداد للمنشي ١٣ .

(٢) البصائـــر ٣/ ٤٦٣.

فالشيئان تمييز له من كونهما ثلاثة أو اكثر يقعان تحت جنس واحد بخلاف مالم يكونا تحت جنس واحد ، وينافي كل واحد منهما الآخر في أوصافه الخاصة أي ميزاته الدلالية • فالسواد والبياض يشتركان في انتمائهما إلى جنس الألوان ، ولكنهما يختلفان في حقيقتهما الدالة على بعض أفراد هذا الجنس •

وقوله (بينهما أبعد البعد) يعني بالبعد التباين والتخالف الدلاليين ، فان بعد الأبيض عن الأسود أكثر من بعده عن الأحمر ، وإن البعد بينهما (أي : الأسود والأبيض) بلغ أقصى حدّ في البعد وهو التضاد • ويعني ذلك اشتراط التقابل التام بين اللفظين ليكونا ضدين •

وأعطى الفيروز آبادي تحديداً أكثر دقة للضد الذي عدّه من المتقابلات ، إذ التقابل عنده أعم من التضاد، وقد عرف التقابل بقوله (هما الشيئان المختلفان اللذان كل واحد قبالة الآخر ، ولا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد) وهذا التعريف ينطبق على الضد أيضا • ويرى في موضع آخر أن ((ضادّه ، وهما متضادان ، أي لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد ، كالليل والنهار •)) • (١)

ويسترسل الفيروز آبادي بكلامه في البصيرة نفسها ناقلاً آراء المتكلمين وأهل اللغة في المتضادين والمتضايفين والوجود والعدم والموجبة والسالبة في الأخبار بجعلها من المتضادّات بقوله : ((وكثير من المتكلمين وأهل اللغة يجعلون كل ذلك من المتضادات • ويقولون : الضدان : مالا يصح اجتماعهما في محل واحد • وقيل اللّه تعالى لا ندّ له ولا ضد له ؛ لأن الند هو الاشتراك في الجوهر ، والضد هو أن يعقب الشيئان المتنافيان في جنس واحد ، والله تعالى منزّه عن أن يكون له جوهر ، فإذاً لا ضدّ له ولا نِدّ))(٢)

على هذا يكون المفهوم الاصطلاحي للضد هو أن تعبّر بكلمة ما عن معنيين متضادين من نحو ما نقله الفيروز آبادي عن أبي عمرو (ت ١٥٤ هـ) من قوله : ((والضدّ : مِثْل الشيء ، والضدّ : خلافه • فُسِّرا به من الأضداد))(٣) فكلمة الضد نفسها تدل على معنيين متضادين •

واختلف في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (مريم ٨٢) ذكر ذلك الفيروز آبادي بقوله : ((قال الفراء ، أي : عونا ، فلذلك وحده • وقال عكرمة : اي أعداء • وقال الأخفش : الضد يكون واحدا ، ويكون جمعا • وقال الأزهري : يعني

---

(١) البصائر ٣/ ٤٦٤ •
(٢) البصائر ٣/ ٤٦٣ •
(٣) البصائر ٣/ ٤٦٣ •

الاصنام التي عبدها الكفار تكون أعواناً على عابديها)).[١]

ومن جملة ماوقف الفيروزآبادي عليه في بصائره من ألفاظ الأضداد (البسل) الذي : ((هو الضم والمَنْع • والبَسْل : الحرام ، لأنّه ممنوع عنه ، والبَسْل : الحلال ، لأنّه يُضَمّ ويُجمَع • فهو من الأضداد)).[٢]

وكذلك قوله في (بصيرة في عزّ) : ((التعزير من الأضداد يستعمل بمعنى التعظيم، وبمعنى الإذلال • يقال : زمانا العبدُ فيه معزَّز مُوقَّر ، والحرّ فيه مُعزَّر مُوقَّر • الأول بمعنى المنصور المعظَّم • والثاني بمعنى المضروب المهزَّم • قال الله تعالى : ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح ٩)).[٣]

وقوله أيضا في لفظتي الحميم أو الحميمة التي تعني عنده : ((الماء الحارّ ، والماء البارد ، من الأضداد)).[٤]

وقوله أيضا : ((شعبتُ الشيء : إذا جمعته ، وشعبته : إذا فرّقته ، فهو من الأضداد)).[٥]

وقوله في رُبَّ : ((وربَّ لاستقلال الشيء ولاستكثاره ، ضدّ • قال تعالى ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الحجر ٢)))[٦] وأخيرا قوله : ((والرَّهو : السير السهل، والفتح بين الرِّجلين ، والمكان المرتفع ، والمكان المنخفض ، ضد ، والسكون ...))[٧]

ويرى المتتبع للدرس اللغوي أن لهذه الظاهرة اللغوية (أعني : التضاد) أسباباً وظروفاً أدت إلى القول بها • والظاهر أن الضدية لاتقترن بأصل الوضع في اللغة بل الراجح كونها قد حدثت بعد مدة ما •

ولا يخفى على أحد منا ما للتطور الدلالي من أثر في تغيير كثير من دلالات بعض الألفاظ ومعانيها ، ويرى أحد الباحثين [٨] أن التطور الدلالي يأخذ شكل الألفاظ التي كان

---

(١) البصائر ٣/ ٤٦٤ •
(٢) البصائر ٢/ ٢٤٨ •
(٣) البصائر ٤/ ٦٣ •
(٤) البصائر ٢/ ٤٩٧ •
(٥) البصائر ٣/ ٣٢٢ •
(٦) البصائر ٣/ ٣٠ •
(٧) البصائر ٣/ ١٠٢ •
(٨) ينظر : الأضداد في اللغة ١٣٩ •

لها مدلول عام تطور على جهة التخصيص إلى مدلولين متضادين . ومثال ذلك قول الفيروز آبادي في (بصيرة في قرء) : ((القَرْء بالفتح : الحيض . والجمع أقراء وقروء ، وأقرؤ في أدنى العدد ، وفي الحديث قال لأم حبيبة : ((دَعي الصلاةَ أيام أقرائك)) . والقَرْء ايضاً : الطهر ، فهو من الأضداد ، ... وقرأت المرأة : حاضت . وأصل القرء : الوقت ، فقد يكون للحيض وقد يكون للطهر ، قال :

إذا ما السماءُ لم تغِم ثم أخلفتْ قروءُ الثريا أنْ يكونَ لها قَطْرُ

يريد وقت قرئها الذي يمطر فيه الناس ، قال تعالى ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (سورة البقرة ٢٢٨) أي ثلاثة دخول من الطهر إلى الحيض)) .(١)

يظهر النص سعي الفيروز آبادي إلى بيان كون التضاد حادثاً عن الأصل الأول إذ إنَّ أصل القرء هو الوقت ، وفيه أيضا لمح إلى الوجه الذي أصبحت به الكلمة ذات معنيين متضادين إذ كان معناه الأوّل هو (الوقت) وهو مدلول يساعد على خروج دالة إلى أن يدل على مايتلبس بالوقت من طهر وغير طهر ، وبهذا الصدد يقول احد الباحثين : ((.. أدّى شمول هذا المدلول إلى أن يصدق على طهر المرأة وحيضها ، لأن كليهما وقت معتاد تعرفه هي . فتخصص عند فقهاء العراق بمعنى الحيض وعند فقهاء الحجاز بمعنى الطهر ، وغاب هذا المعنى العام عنهم جميعا ، فبنوا أحكامهم المختلفة تبعاً لاختلاف الدلالتين الخاصتين كما هو مفصل في كتبهم ، وتبعهم في ذلك الأضداديون)) .(٢)

ومن ألفاظ الأضداد التي نص عليها الفيروز آبادي قوله : ((هجد ، أي نام وهجد ، أي سهر ، وهو من الأضداد قال المرقش الاكبر :

سرى ليلاً خيالٌ من سُليمى فأرّقني وأصحابي هُجُود

والتهجيد : التنويم ... والتهجيد أيضاً : الإيقاظ ، وهو من الأضداد أيضاً . قال الله تعالى : ﴿ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (الإسراء ٧٩) أي تيقظ بالقرآن)) .(٣)

---

(١) البصائر ٤/٢٦٢ .

(٢) الأضداد في اللغة ١٤٠ .

(٣) البصائر ٥/٣٠٣ .

ويقول احد الباحثين في هذا الجانب : ((فكيف تفسر وقوع هذا التضاد إلا عن طريق الأخطاء التي يمكن أن تنسب إلى الأجيال الناشئة • فقد كان للكلمة معنى واحد ، ولكن لقلة شيوعها فهمت في بيئة من البيئات على معنى آخر ، وبما هذا الفهم وذاع في الجيل الناشىء ثم أصبح معترفا به في اللغة النموذجية ، فاستعمل القرآن هذه الكلمة بمعنى ، واستعملها المرقش بمعنى مضاد للمعنى الأصلي • وقد تم مثل هذا التطور في عصور الجاهلية قبل نشأة اللغة النموذجية وازدهارها)) • (١)

وعقّب الدكتور محمد حسين آل ياسين على هذا الكلام بقوله : ((وبمقدار صحة مايذهب إليه هذا الباحث من الفكرة ، كان خطأ اختياره للمثل لأن صيغة السلب ومعناه متوفران في الفعل تهجد)) • (٢) لأن هَجَدَ تعني في ثنائية اللغة ، الأول من (هدّ) في هدأ أي بمعنى سكن والثاني من (جدّ) بمعنى : جهد ، إذ السهر اجتهاد في منع النوم • (٣) . وقول الفيروز آبادي أيضاً : ((وناء ينوء نوءا : نهض بجهد ومشقة ، قال اللّه تعالى : ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ (القصص ٧٦) وناء به الحمل : أثقله ••• وناء أي سقط فهو من الأضداد • وعندي ماساءه وما ناءه ، أي ما أثقله •••)) • (٤)

وقوله (وناء به الحمل : أثقله) الأصل فيه نوء بالحمل • (٥) وفسّر احد الباحثين (٦) ذلك بالمجاز البليغ ، لان هذا التركيب يكون أوقع في النفس مما لوكان وارداً بالترتيب الطبيعي من الكلام . ولم يؤثر عن العرب أنهم التبس عليهم المعنى فضحكوا من المتكلم لأنه قصد إلى أن ينوء الحمل بالحامل ، بل على العكس ، فقد استكثروا من هذه الصياغات المجازية ودار على ألسنتهم قلب التراكيب من غير أن يزعج ذلك فهمهم للمعاني ؛ لهذا فمن الخطأ أن يُعدّ مثل هذا الاستعمال من الأضداد للاسباب التي ذكرت من جهة ، ولأن هذا التركيب ليست ألفاظه مفردة وردت متضادة المعنى ، وإنما التضاد

---

(١) في اللهجات العربية ٢٠٨ •

(٢) الأضداد في اللغة ١٦٤ ــ ١٦٥ •

(٣) هل العربية منطقية ١٤٢ ، وينظر : الأضداد في اللغة ٢٠١ •

(٤) البصائر ٥/١٤٣ •

(٥) الأضداد : لأبي حاتم ١٥٢ ، ابن الأنباري ١٤٤ ، أبي الطيب ٢/٧٢٠ •

(٦) د • محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة ٢١٣ •

المزعوم في هذا التركيب كان بسبب التركيب نفسه ، إذ لوجزأنا العبارة ماوجدنا في ألفاظها أي نوع من أنواع الضدية .

ونفى الفيروزآبادي في بصائره الضدية عن لفظة (فوق) التي عدّ اللغويون [١] على أنّها من الأضداد بقوله : ((كلمة (فوق) نقيض (تحت) . وتستعمل في الزمان والمكان ، والجسم ، والعدد ، والمنزلة . وذلك اضرب : .. الرابع : في الكبر والصغر ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (سورة البقرة ٢٦) ، أشار بـ (مافوقها) الى العنكبوت المذكور في قوله : ﴿ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ ﴾ (العنكبوت ٤١) . وقيل معناه : مافوقها في الصغر . وليس فوق من الأضداد كما توهم بعض المصنّفين)) . [٢]

ويبدو أن إنكاره أنّ تكون لفظة (فوق) من الأضداد ، لأن ((وهي فكرة الآية يقود إلى اعتبار (فوق) مستعملة بمعناها الأصلي ، إذ يكون المقصود : ابتداءً في الصّغر من البعوضة وصعوداً إلى ماهو اكبر منها ، ... لأن ذكر البعوضة يشعر بنهاية الصغر ، وإلا ذكرت الآية شيئاً أكبر من البعوضة كالطير مثلاً ، ليصح أن يكون هناك شيء أصغر منه وتكون (فوق) بمعنى : (دون))) . [٣]

ويتردد الفيروزآبادي في جعل طائفة من الألفاظ من الأضداد من ذلك قوله : ((والبكّ لغةً : الخرق والتخريق ، والشق والتفريق . وبكّ فلاناً : أي زاحمه ، فيشبه أن يكون من الأضداد)) . [٤]

وكذلك قوله : ((والخفية : الاستتار ، ... والخافية : ضد العلانية ، وخفاه يخفيه خَفْياً وخُفْياً : أظهره واستخرجه ، كأنّه من الأضداد)) . [٥]

واخيراً قوله : ((والإحماد : التسكين ، والإقامة ، والسرعة في السير ، كأنّه من الأضداد ، أو مثل الاشكاء في كونه تارة لإزالة الشكوى ، وتارة لإثبات الشكوى)) . [٦]

---

(١) الأضداد : ابن الأنباريّ ٩ ٢٤ ، ابن الدّهان ١٠٣ ، رسالة الأضداد : للمنشي ٤٦ .
(٢) البصائر ٤/٢٢٠ .
(٣) الأضداد في اللغة ٢١٩ .
(٤) البصائر ٢/٢٦٦ .
(٥) البصائر ٢/٥٥٥ .
(٦) البصائر ٥/٣٤٢ .

المشترك اللفظـــي :

هو أنْ يكون للفظة الواحدة معنيان أو أكثر .(١) وحدّه الأُصوليون بقولهـــم : ((هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند تلـــك اللغة)) .(٢)

وعدّ السيوطي (ت ٩١١ هـ) من إعجاز القرآن ألفاظه المشتركة ، بل عدها مـن أعظم إعجازه ((حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها ، وأكثر وأقل ولا يوجـد ذلك في كلام البشـــر)) .(٣)

ويرجع لفظ المشترك إلى مادة (شرك) التي أفرد الفيروز آبادي لها بصيرة خاصـة قال فيها : ((الشِرْكة والمشاركة : خَلْط المِلْكين . وقيل : هو أن يوجد شيء لاثنيـــن فصاعدا ، عينا كان ذلك الشيء أو معنى ، كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية ، ومشاركة فرس وفرس في الكُمتة والدّهمة .)) .(٤)

ويبدو أن الفيروز آبادي كان من القائلين بورود المشترك اللفظي في اللغة ، إذ نص على ذلك صراحة . من نحو قوله : ((... ولفظ الشرك من الألفاظ المشتركة)) .(٥) وقوله أيضا : ((والحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأمواله . والسيئة تضادّها . وهما من الألفاظ المشتركة ، كالحيوان الواقع على أنـــواع مختلفة)) .(٦) كما أنه ذكر المثال الذي يضربه من يقول بالمشترك اللفظي وهو (العين) وتعدد مدلولاتها ، إذ قال : ((وردت في القرآن العزيز وفي كلام العرب لمعان كثيـــرة تنيف على خمسين معنى ، أسوقها مرتبة على حروف الهجاء : أ ـ أهل البلد ، أهل الدار ، الإصابة بالعين ، الإصابة في العين ، الإنسان ، ومنه قولهم : ما بالدار عين أي أحد . ب ـ الباصرة ، بلد بهذيل ، ج . الجاسوس ، الجريان ، الجلدة التي يقع فيها البندق . ح ـ حاسة البصر ، الحاضر من كل شيء ، حقيقة القبلة . خ ـ خيار الشيء . د ـ دوائر

---

(١) ينظر : الصاحبي ٤٥٦ .
(٢) المزهر ١/ ٣٦ ، وينظر : فقه اللغة (الضامن) ٦٦ .
(٣) الإتقان ١/ ٥١٤ .
(٤) البصائر ٣/ ٣١٣ .
(٥) البصائر ٣/ ٣١٤ .
(٦) البصائر ٢/ ٤٦٤ ، وينظر : ٢/ ٦٧ .

دقيقة على الجلد ، الديدان ، الدينار • ذ ـ الذهب ، ذات الشيء ، ر ـ الربا • س ـ السيد ، السحاب القبلي ، السنام ، اسم السبعين في حساب الجمل ، ش ـ الشمس ، شعاع الشمس ، ص ـ صديق عين ، أي مادام تراه ، ط ـ طائر ، ع ـ العتيد من المال ، العيب ، العز ، العلم • ق ـ قرية بالشام ، قرية باليمن • ك ـ كبير القوم • ل ـ لقيته أوّل عين ، أي أوّل شيء • ويجوز ذكره في الشيء • م ـ المال ، مصب ماء القناة ، مطر أيام لا يقلع ، مفجر ماء الركية ، منظر الرجل ، الميل في الميزان ، ن ـ الناحية ، نصف دانق من سبعة دنانير ، النظر ، نفس الشيء ، نقرة الركبة ، وأحد الاعيان للاخوة من أب وأم • هـ ـ ماهو عرض عين أي قريب • وقد يذكر في القاف • ي ـ ينبوع الماء)) • (١)

وكذلك الحال مع لفظة (الأمة) التي قال فيها : ((الأمة لغة : الرجل الجامع الخير ، والامام ، وجماعة أرسل إليهم رسول ، والجيل من كل حي ، والجنس ، ومن هو على حق ، ومخالف لسائر الأديان ، والحين ، والقامة ، والأم ، والوجه ، والنشاط ، والطاعة ، والعالِم ، ومن الوجه : معظمه ، ومن الرجل قومه • وأمّة اللّه تعالى : خلقه •)) • (٢)

ووقف الفيروزآبادي في بصائره عند لفظة (المولى) فقال : ((والمولى : المعتق ، والملك ، والعبد ، والصاحب ، والناصر ، والقريب كابن العم ونحوه ، والجار ، والحليف ، والابن ، والعم ، والنزيل ، والشريك ، وابن الأخت ، والولي ، والرب ، والمُنعِم ، والمُنعَم عليه ، والتابع ، والطهر)) • (٣) وغيرها من نحو : الحرف (٤) ، والأمة (٥) ، والسبت • (٦)

على أن بعضاً من القدامى (٧) والمُحْدَثين (٨) ذهبوا إلى إنكار ظاهرة المشترك اللفظي ، وحملوا تعدد مدلولات اللفظة الواحدة على المجاز لا الحقيقة • فهذا إبراهيم أنيس يقول : ((وقد كان ابن درستويه محقا حين أنكر تلك الألفاظ التي عدت من المشترك اللفظي واعتبرها من المجاز ، فكلمة (الهلال) حين تعبر عن هلال السماء ، وعن حديدة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال وعن قلامة الظفر التي تشبة الهلال وعن هلال الدعل

---

(١) البصائر ٤/ ٤ـ٥ •
(٢) البصائر ٢/ ٧٩ •
(٣) البصائر ٥/ ٢٨٣ •
(٤) ينظر : البصائر ١/ ٨٦ •
(٥) ينظر : البصائر ٢/ ٧٩ •
(٦) ينظر : البصائر ٣/ ١٧١ •
(٧) منهم ابن درستويه وثعلب •
(٨) منهم إبراهيم أنيس •

الذي يشبه في شكله الهلال لايصح إذن أن تعدّ من المشترك اللفظي؛لأن المعنى واحد في كل هذا ، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات)) .(١)

على أن هذا الرأي الذي ينكر القول بالاشتراك اللفظي لايقدم مايسوغ له إنكاره هذا تسويغا لالبس فيه ، فالقول بأن معاني الهلال ترجع إلى شكل الهلال ، يؤكد الظاهرة ولاينفيها ، بل يؤكد أن الظاهرة صورة من صور التحولات الدلالية وبعدها من المجاز .

ونلمح شيئا من هذا الرأي عند الفيروزآبادي إذ رأى في بعض نصوصه اللغوية وجود أصل واحد للمشترك وذلك في بصيرة (الجدّ) بقوله : ((وورد في القرآن والأخبار واللغة على خمسة أوجه : الأول : بمعنى أب الأب وأب الأم ، وبمعنى البخت ، وبمعنى العظمة ، وبمعنى الحظ ، وبمعنى القطع . وهو أصل الكلمة)) .(٢)

فقوله (وبمعنى القطع وهو أصل الكلمة) يحيل بقية الدلالات إلى أصل لغوي أولي هو القطع وهو قريب من الرأي الذي ينكر المشترك معتمدا على أن الدلالات الأخرى قد حدثت بفعل المجاز .

وبدا لاحد الباحثين أن كل مشترك لفظي يحمل في داخله ترادفاً فيقول : ((الذي يبدو لي أن كل مشترك لفظي يحمل في داخله ترادفاً ، فإذا قلنا إن اللسان في القرآن الكريم على أربعة أوجه : اللغة والدعاء والعضو المعروف والثناء الحسن فمعنى هذا أن اللسان له أربعة وجوه أو أربعة معان فهو مشترك لفظي . وهو في نفس الوقت (كذا) يملك عدة نظائر أو مترادفات . فاللسان مع اللغة يكون ترادفا ، وهو مع الدعاء يكون ترادفا ثانيا ...)) .(٣)

وعلى هذا فإن كلامه يجب أن يفهم على الصيغة الآتية : إن اللفظة الواحدة التي تحمل معاني عدة تكون مع ألفاظ تلك المعاني ترادفاً ، مثال ذلك لفظة (العين) : التي

---

(١) دلالة الألفاظ ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٢) البصائر ٢/ ٣٧٠ .

(٣) علم الدلالة : أحمد مختار عمر ١٤٩ .

تدل على (الإنسان وعين الماء والجاسوس) فلفظة العين تكوّن مع لفظ الإنسان ترادفاً وكذلك لفظ العين يكوّن مع لفظ الجاسوس ترادفاً ثانياً وهكذا .

إن الذي حملنا على القول بالمشترك بوصفه ظاهرة دلالية تمّت بفعل المجاز (على ما هو عند ابن جني) يقوم في الأساس على كون تلك المعاني التي يدل عليها بلفظ واحد وهو اللفظ المشترك تحتلك ألفاظاً خاصة بها، ولولا هذه الحالة لم نعدم اتفاقهم على وجود الظاهرة اتفاقاً تاماً . فلفظة (العين) التي تدل على المعاني السابقة مع دلالتها على العضو المعروف مع امتلاك بعض المعاني للألفاظ الخاصة بها أدّت إلى هذا النوع من الأخذ والرد .

إن الذي يبدو لنا هنا كون ظاهرة المشترك اللفظي غير موجودة في الوضع الأول في اللغة؛ لاستبعاد أن يتم التواطؤ (*) على أنّ لفظة ما تدل على أكثر من معنى؛ لما يسبب ذلك من إرباك في عملية التواصل اللغوي . لكننا في الوقت نفسه لا ننكر وجود المشترك اللفظي بوصفه ظاهرة لغوية قائمة، وذلك بالإحالة إلى الأسباب التي أدّت إلى ظهوره . ونرى أنها تكمن في الاستعمال السياقي إذ هو الجهة التي نستطيع الحكم من خلالها على لفظة ما من المشترك. مثال ذلك : رأيت عيناً ، وشربت من عين ، ونظرت في عينه ، وغيرها ...

الوجوه والنظائر :

لابدّ لنا ـ قبل الحديث عن هذه الظاهرة اللغوية ـ من الإشارة إلى المعنى المقصود للوجوه والنظائر .

فالوجوه : جمع وجه ، والوجه في الأصل : الجارحة المعروفة . ولما كان الوجه أول ما يستقبلك ، وأشرف ما في ظاهر البدن أُستعمِل في مستقبل كل شيء وفي أشرفه ومبدئه

(*) لا نريد بالتواطؤ الاتفاق المنظم بل هو قبول الجماعة اللغوية للاستعمال اللغوي الذي يتم بصورة اعتباطية .

يقال : وجه كذا ، ووجه النهار • ووجوه الحق : سبله والطرق المؤدية إليه .[١]

وذكر الدكتور حاتم صالح الضامن[٢] أن المتتبع لهذه اللفظة في كتب اللغة والبلاغة والتفسير يجد تفاوتا في المعنى من مكان لآخر لما تتصف به من مرونة قابلة للتوسع لأداء المعاني ، فهي تدل عندهم على :

١ــ الطريق والمذهب والسبيل التي يُتوصَّل بها إلى المقصود •

٢ــ الأنواع والأقسام والفروع للشيء الواحد •

٣ــ المعنى أو المعاني المقصودة المتعددة للفظ الواحد •

ويعني هذا ((أن للفظة الواحدة أصلاً ثابتا على الحقيقة ، لكن وجه الكلام يمكن أن يخرج بها إلى معان أخرى على سبيل المجاز ترتبط من قريب أو بعيد بصلات لا تنقطع بدلالة قرائن معروفة في كلام العرب))[٣].

وعرف الزركشي (ت ٧٩٤هـ) الوجوه بقوله : ((اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ كلفظ الهدى له سبعة عشر معنى في القرآن))[٤] ويعني هذا أن الوجوه نوع من المشترك إلا أنه يختص بالقرآن الكريم •

أما النظائر فجمع نظيرة ، مؤنثة ، والمذكر نظير ، وجمعهُ نظراء • وهي المثل والشبه في الأشكال والأفعال والأقوال .[٥] يقال : فلان نظير فلان أي مثله • وهذا نظير هذا : أي إنه إذا نظر إليه وإلى نظيره كانا سواء .[٦]

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن ٥١٣ ، البصائر ١٦٦/٥ •

(٢) ينظر : معجمات دلالية لألفاظ القرآن الكريم ٢٦٣ــ٢٦٤ (بحث منشور) •

(٣) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، تأريخ وتطور ٩ــ١٠ •

(٤) البرهان ١٣٤/١ •

(٥) ينظر : اللسان مادة (نظر) ، تاج العروس مادة (نظر) •

(٦) نزهة الأعين والنواظر ٥٨٨ •

وتقترن اللفظتان في الذكر في العادة ولا تفرد الواحدة منها ومعناها معا ، فمعنى الوجوه والنظائر : ((هو أن الكلمة واحدة ، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة ، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر ، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر ، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه)) .(١)

أو كما يقول ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : ((إذن فالنظائر اسم للألفاظ ، والوجوه اسم للمعاني)) .(٢) إن المتأمل لهذه الظاهرة يقف على أمرين مهمين :

الأول : خصوصية الاستعمال القرآني في توظيف طائفة من الألفاظ للدلالة على طائفة واسعة من المعاني . وبيان استثماره لهذه الظاهرة في العربية هي (الاشتراك اللفظي) في هذا التوظيف . وهذه النظرة تجعل من النص القرآني حقلا دلاليا خاصا بمعنى أنه يمكن دراسة هذه الظاهرة في ضوء الحقل الدلالي الذي يمثله النص القرآني .

الثاني : يتم إغناء العربية بوساطة أثر السياق الفعال في إذكاء قدرة هذه الألفاظ على تحملها لتعدد المعاني (الوجوه) .

ويضم البصائر بين دفتيه مئتين وسبعا وثلاثين لفظة من ألفاظ الوجوه والنظائر وهذا يوضح عناية الفيروز آبادي بهذه المادة المهمة من أجل فهم ما جاء به التنزيل العظيم ؛ وإن لم يكن قد ألف كتابه هذا من اجل الوجوه والنظائر خاصة ، ولم يكن يقصد اليها قصدا .

واستعمل في ذلك عبارات تنم عن معرفته وعلمه الغزير بمعاني القرآن المجيد منها : أنها وردت في اللغة والقرآن على وجوه .(٣) أو في القرآن واللغة على وجوه .(٤) أو وردت في كلامهم (كلام العرب) والقرآن .(٥) وقد يكتفي بذكر القرآن فيقول : ورد في القرآن على أوجه .(٦)

---

(١) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٨٠

(٢) نزهة الأعين والنواظر ٨٣٠

(٣) ينظر : البصائر ٣/٤٦٥٠

(٤) ينظر : البصائر ٢/٣٧٠ و٤٣٤ ـ ٤٣٥ ، ٣/٤٦٨ ـ ٤٦٩٠

(٥) ينظر : البصائر ٢/١١٨ و١١٩ ـ ١٢٠ و١٢١٠

(٦) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : ٢/٤٤ و٥٠ و٥٤ و٥٨ و٦٠ و٧٦ و٩٤ و١٠٤ و١١٤ و١٢٣ و١٢٤ و١٢٦ و١٢٨ و١٣٠ و١٥٢ و١٥٣ و١٥٥ و١٥٦ و١٥٨ و١٥٩ و١٦٠ و١٦١ و١٦٢ و١٦٥ و١٧٠ و١٧٢ و١٨٠ و١٨٣ و١٨٦ و١٨٧ و١٩٦ و١٩٧ و٢٠٣ و٢٠٥ و٢٠٨ و٢١١ و٢١٤ و٢١٦ و٢٢٠ و٢٢٤ و٢٣٤ و٣٧٢ و٤٠٩ و٤٣٥ و٥٦٩ و٦٠٢ و٦١٧ و٣/٢١ و٤٣ و٦٧ و٢٦٤ و٣٢١ و٥٤٥ ، ٤/١٠ و٣٣ و٧١ و١٤٩ و١٦١ و١٩٦ و٢٨٣ و ٣٠٨ و٣٤٤ ، ٥/١٠٦ و٣٣٨٠

أو : قد ورد في نص التنزيل على أوجه [١]. أو : ورد في النص (نص القرآن) على أوجه . [٢]
أو: ورد على وجوه مختلفة في القرآن [٣]. أو : وردت في القرآن على أمور [٤]. أو : استعمل في القرآن بمعان [٥] . أو وقع أ و (ذكر) في القرآن في مواضع [٦] . او : وردت بمعا ن [٧]. أو : قد ورد لمعان مختلفة [٨] . أو ورد في مواضع مختلفة [٩]
أو ورد على أحوال [١٠]. أو ورد في القرآن على أنحاء [١١] .

وكثيرا ماكرر لفظة (له) نظائر ، و(لها) نظائر [١٢]. او نظائرها كثيرة . [١٣] اى شبهها ومثلها .

---

(١) ينظر : البصائر ٢/٤٠ و٤٧ و٦٨ و٨١ و٩٦ و٩٨ و٩٩ و١٠٥ و١١٦ و١٤٥ و١٤٧ و ١٤٩ و١٥٠ و١٦٨ و١٧٧ و٢٥٠ و٤٦٠، ٣/٢٥٩ و٤١٩، ٤/٧ و٢٨٥، ٥/٢٨٦ و ٢٩٠.

(٢) ينظر: البصائر ٢/٣٢ و٧٢ و٧٩ و٨١ و٨٦ و٨٧ و٨٩ و٩٢ و١٠١ و١٠٢ و١٠٦ و١٠٨ و ١١٠ و١١١ و١٣١.

(٣) ينظر: البصائر ٢/٣٧٣ ، ٣/١٥١ ـ ١٥٣ ، ٤/٧ ٦.

(٤) ينظر : البصائر ٢/٣٢٩.

(٥) ينظر: البصائر ٥/١١٨.

(٦) ينظر : البصائر ٢/١٧٤ و١٧٦ و٢١٢ و٢٩٤ و٢٩٥، ٣/٢٦ و١٤٨ و٢٣٧ و٣١٦ ، ٤/٢٠٤ و٢٦٣ و٣٦٦، ٥/٣٤٩.

(٧) ينظر: البصائر ٢/٦٩ و١٨٥ و١٩٨ و٢٩٩ و٣٧٦ و٣٩٠ و٣٩٢ و٣٩٥ و٤٠٠ و٤٠٢ و ٤٢٦ و٤٤٧ ، ٣/٤٤ و٤/٥-٧ و٩٥ و٢٦١ و٢٨٩.

(٨) ينظر: البصائر ٤/٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٩) ينظر : البصائر ٢/٢٠٦ و٢٠٧ ، ٤/١٤٦ ـ ١٤٧ و١٨٨ ـ ١٨٩.

(١٠) ينظر : البصائر ٢/١٧٩.

(١١) ينظر: البصائر ٢/٩٨ ٣ـ٩ ٣.

(١٢) ينظر : البصائر ٢/٣٢ و٥٨ و٦٥ و٨٣ و١٣١ و٢٠٣ و٢٦٠ و٢٦٢ و٢٠٣ و٢٩ و ٣٦٩ و٤٠٠ و٤٦١ و٦١٧ ، ٣/٢٠٨ و٣٢١، ٥/٢٩١.

(١٣) ينظر : البصائر ٣/٢٦٤ و٢٧٢ ، ٤/٣٠٨.

لقد توزعت ألفاظ الوجوه والنظائر في البصائر بين الاسماء والافعال والحروف و(الأدوات) ، ونذكر على سبيل المثال مثالين لكل فرع منها :ـ

فمن الأسماء قوله في (بصيرة في الآيات) : ((وقال المعيني : وردت الآية في القرآن على وجوه : الاول : بمعنى العلامة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ﴾ (الروم ٢٣) . ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ﴾ (الروم ٢٢) . ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ﴾ (سورة يس ٣٣) .
الثاني : بمعنى آيات القرآن ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ (آل عمران ٧) .
الثالث: بمعنى معجزات الرسل : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ (القصص ٣٦).
الرابع : بمعنى عبرة المعتبرين ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ (المؤمنون ٥٠).
الخامس: بمعنى الكتاب والبرهان : ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (المؤمنون ٦٦).
السادس: بمعنى الأمر والنهي : ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ (سورة البقرة ١٨٧) يعني الامر والنهي وله نظائر)).(١)

واما في(بصيرة في نكح ...) فيقول : ((والنكاح استعمل في القرآن بمعان : الأول : بمعنى بلوغ الصبي : ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ..﴾ (النساء ٦) أي الحلم ، وبمعنى العطاء والهبة : ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب ٥٠) . وكان النبيّ (صلى الله عليه وسلم) يجوز له النكاح بلفظ الهبة . وبمعنى الصحبة والمجامعة : ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ (سورة البقرة ٢٣٠) أي تجامع . وبمعنى التزويج والتزوج : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ (سورة البقرة ٢٢١) ، أي لا تزوجوهن ، ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ﴾ (النور ٣٢) أي زوجوهن ، ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء ٣) أي تزوجوا بهن)).(٢)

ومن الأفعال قوله في (بصيرة في ظنّ) : ((وقد ورد الظنّ في القرآن مجملا على اربعة أوجه : بمعنى اليقين ، وبمعنى الشك ، وبمعنى التهمة ، وبمعنى الحسبان .
فالذي بمعنى اليقين في عشرة مواضع : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ (سورة البقرة ٤٦) ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (القيامة ٢٨) ، ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ (الحاقة ٢٠)، ﴿وَأَنَّا

---

(١) البصائر ٢/٦٥ .
(٢) البصائر ٥/١١٨-١١٩ .

ظَنَنَّا أَن لَّن تُعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (سورة الجن ١٢) ، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ (المطففين ٤) ، ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ (فصّلت ٤٨) ، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (يونس ٢٢) ، ﴿وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ (التوبة ١١٨) ، ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ (سورة البقرة ٢٣٠) ، ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ (سورة ص ٢٤). وأما الذي بمعنى الشك والتهمة فعلى وجوه مختلفة : ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ (الأنبياء ٨٧) : لن نضيق عليه . ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ (سورة الحج ١٥) ، ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا﴾ (الأحزاب ١٠) ، يعني في حرب الأحزاب ، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية ٢٤) يعني اليهود . ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ (سورة سبأ ٢٠) ، ﴿ٱلظَّانِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ (سورة الفتح ٦) ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَاهِلِيَّةِ﴾ (آل عمران ١٥٤)، ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ (الجاثية ٣٢) ، يعني في حقيقة البعث ، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (سورة الحشر ٢) يعني بني قريظة وحصونهم . ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا﴾ (يونس ٣٦) ، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ (سورة الجن ٥) ، ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ (سورة الجن ٧) ، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ، بَلَىٰ﴾ (الانشقاق ١٤ ، ١٥). يعني أبا جهل ظن أن لا يعاد)).[1]

وكذلك الفعل (أحاط) في (بصيرة في الإحاطة) فيقول فيه : ((وقد ورد في القرآن على أربعة أوجه : الأول : بمعنى العلم : ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ (سورة الجن ٢٨) أي علم . الثاني : بمعنى الجمع : ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة ١٩) أي جامع لهم في العقوبة . الثالث : بمعنى الهلاك : ﴿أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ (سورة البقرة ٨١) . الرابع : بمعنى خسارة الشيء من كل جانب : ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (الكهف ٢٩)).[2]

وأما الأدوات فمثاله في البصائر حرف (إنْ) فيقول : ((وقد يرد (إنْ) في كلامهم وفي القرآن على وجوه : الأول : حرف شرط : إن تخرجْ أخرجْ . الثاني : المخففة من المثقلة تأكيداً : (إنْ كُلّاً)، و(إنْ كُلٌّ) ، وقد قرئ بهما . الثالث : أمر من (أنَّ يئِنُّ) ، إذا أمرت قلت : إنْ ، الرابع : بمعنى : ((إذ)) كقوله : ﴿إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

---

(١) البصائر ٣/٥٤٥ ـ ٥٤٧ .
(٢) البصائر ٢/١٢٦ .

(سورة البقرة ٩١) أي إذ كنتم • الخامس : بمعنى قد : ﴿ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ (يونس ٢٩) أي : قد كنا ﴿ إِن تَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ (سورة الاعلى ٩) • السادس : إنْ المزيدة للتأكيد : ما إنْ رأيت زيدا : أي مارأيت •

هجّ الفتى للخير ماإنْ رأيتَه على السِّنّ خيراً لا يزالُ يزيدُ

السابع : بمعنى (ما) النافية للجحد : ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (الطارق ٤))[1]•

وكذلك أورد بصيرة في (هل) يقول فيها نقلاً عن بعض المفسرين : (((هل) ترد في التنزيل على سبعة أوجه : الأول : بمعنى قد ، وهو كل موضع يكون بعده أتى كما تقدم في ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ (الإنسان ١) و ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ ﴾ (الغاشية ١) ، ﴿ هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ ٱلْخَصْمِ ﴾ (سورة ص ٢١)، ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الذاريات ٢٤) ، ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ (النازعات ١٥) ، وله نظائر •

الثاني : بمعنى (ما) النافية ، وهذا في كل موضع يتلوه إلاّ ، نحو : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ (الزخرف ٦٦)•

الثالث : بمعنى (لم) وهذا في كل محل يكون بعده (لا) نحو: هلّا فعلت كذا ، وهلّا قلت كذا •

الرابع : بمعنى النفي نحو : ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ (الأعراف ٥٣)•

الخامس : لتقرير القسم نحو قوله تعالى : ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ (سورة الفجر ٥)•

السادس: بمعنى الأمر إذا اقترن بفعل يدلّ على معنى الأمر نحو قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة ٩١)، أي انتهوا ، ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة هود ١٤) أي اسلموا •

السابع : بمعنى السؤال والاستفهام : ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ (الأعراف ٤٤)))[2]

وأود في نهاية الحديث عن الوجوه والنظائر في البصائر الإ شارة إلى أنّ هناك تضاربا في بعض الأعداد التي يذكرها الفيروزآبادي حيث يقول بأنها وردت على وجهين[3] ولم يذكر إلا وجها واحدا • أو ورد في النص على ثمانية أوجه •[4] إلا أنه ذكر سبعة ولم يذكر

---

(١) البصائر ٢/١١٨• هكذا وردت التسمية بإن النافية للجحد ، واقتصر النحاة على أنها نافية حسب • ينظر : مغني اللبيب ٣٤•

(٢) البصائر ٥/٣٣٦ ــ ٣٣٧

(٣) ينظر : البصائر ٢/٣٣١•

(٤) ينظر:البصائر ٢/١١١•

الثامن . أو ورد في القرآن (زكا) أو (الزكاة) على ستة عشر وجها [١] . ولا يذكر إلا أربعة عشر وجها أو معنى . وغير ذلك [٢] .

وقد يزيد في العدد أحيانا ، من ذلك قوله : ((وردت (الزينة) في القرآن على عشرين وجها))[٣] إلا أنه أثبت اثنين وعشرين وجها ، وكرر الرقم (١٢) فيصبح المجموع ثلاثا وعشرين وجها .

كذلك مانقله عن غيره في (بصيرة في سبق) إذ ذكر أنها وردت في القرآن على ستة أوجه [٤] إلا أنه أثبت اثني عشر وجها .

وقد يعدل عن هذا وهذا ويذكر الأوجه إلا أن الأولى حذف بعض منها لأنها سبقت من ذلك قوله في (بصيرة في الجنة) : ((وهي ومايشتق من مادتها ، ترد على اثني عشر وجها))[٥] . وكان الأولى حذف مافي رقم (١٢) فقد سبق ذكره .

الترادف :

يُعَرَّف الترادف بأنه : ((توالي الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد))[٦] أو : ((ما اختلف لفظه واتّحد معناه))[٧] . ولم أجد للفيروزآبادي تعريفًا محددًا للأسماء المترادفة . غير أنني وجدته في أثناء بصائره ، ومن خلال كلام خصصه لبصيرة بعنوان (بصيرة في الردف) يشير إلى المعنى اللغوي الملحوظ في الاستعمال الاصطلاحي للترادف إذ إن لفظة (ردف) تستعمل لمعنيين هما : التابع لشيء فهو ردفه ، والكفل ، وهو المثال أو النظير وذلك بقوله : ((والرِّدف بالكسر : المرتَدَف ، وهو الذي يركب خلف الراكب وكل مايتبع شيئاً فهو رِدْفه . والرّدف أيضا . الكَفَل ... وارْداف النجوم : تواليها . والرِّدْفان : الليل والنهار . ورِدف الملِك : الذي يجلس عن يمينه فإذا شرب الملك شرب الرّدف قبل

---

(١) ينظر : البصائر ٣/١٣٤ .
(٢) ينظر : البصائر ٢/٣٤١ ـ ٣/٣١٦ .
(٣) البصائر ٣/١٥٧ .
(٤) ينظر : البصائر ٣/١٨٣ .
(٥) البصائر ٢/٣٥٢ .
(٦) التعريفات ٣١ ، المزهر ١/٤٠٢ .
(٧) معترك الأقران ١/٥١٤ .

الناس، وإذا غزا الملك قعد الرِّدف موضعه ..))[1] ويتابع كلامه قائلا : ((وَرِدفه ـ بالكسر ـ أي تبعه ، والرادفة في قوله تعالى :﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ (النازعات ٧) :النفخة الثانية . وأردفته معه أي أركبته معه . وأردفه أمرٌ : لغة في رَدِفه ، مثال تَبِعه وأتبعه . وقوله تعالى : ﴿ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال ٩) قال القراء : متتابعين . وقال غيره : أي جائين بعد . وقال بعضهم : معناه مردفين ملائكة أخرى ... وقيل : مردفين أي أردف كل إنسانٍ مَلَكاً ...))[2]

ويتضح أن المعنى الثاني الذي هو (كفل) هو المعنى الأكثر الصاقا بالدلالة الاصطلاحية للترادف على أن المعنى الاول لا يبدو بعيداً عن المعنى الاصطلاحي فيما لو أخذنا بعين الاعتبار الاتساع الذي تمارسه اللغة في دلالة ألفاظها على معنى كل ماتسع شيئا .

ومن خلال ماتقدم نستطيع الربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للترادف نراه رأي الفيروز آبادي في الترادف ولعل إسهابه في مواضع الترادف يبين إهتماما واضحا بملاحظة هذه الظاهرة ويشير إلى كونها مترادفة تصريحا أو تلميحا .

ومن نافلة القول أن نذكر أن احد الباحثين[3] وصف الفيروز آبادي بالإسراف والخلط في جمع الأسماء الكثيرة للشيء الواحد حتى بلغ الألوف في كتابه (الروض المسلوف في ماله اسمان إلى ألوف) فجمع فأوعى . وضرب مثالاً : اسماء الخمرة التي بلغت عنده المئات من الألفاظ حيث نجد فيها كثيرا من التساهل والخلط في دلالتها على الخمرة . إذ أورد من اسمائها : الشيخ ، والعجوز ، والعنب ، والدرجس ، والوردة ، والياقوت ، والسراج ، والكرم ، والشراب ، والكأس ، والحانوت ... وعين الديك ، والدم ، والسجلاط اي الياسمين ، والدمشقية ، والبابلية ، والعانية ، والعراقية ، والفارسية ، ونحو هذا كثير .

والحق أن هذه الألفاظ لاتنصرف إلى الدلالة على الخمرة مجردة عن قرائن لغوية تفهم من سياق الحال ، وإنما أُطلقت عليها تجوزا لمناسبة ما على سبيل الكناية والاستعارة

---

(١) البصائر ٣/٦٢ .
(٢) البصائر ٣/٦٣ .
(٣) ينظر : الترادف في اللغة ٩٦ ٢ .

والمجاز ويعني ذلك ارتباطها بطائفة من علاقات الحضور وعلاقات الغياب التي سبق ايضاح معناها .

وأشار باحث آخر (*) إلى غلو الفيروز آبادي وتساهله في عدّه الكثير من الاسماء المترادفة للعسل ، وبيّن أن اكثرها ليس مترادفا ، بل هي ألفاظ متقاربة في المعنى بماكشفه من الفروق بينها .(١)

وعودا على بدء نرى الفيروز آبادي في بصائره يستعمل كلمات نلمح من خلالها أنه يريد أنها مترادفة حين يعطي عدة ألفاظ ذات معنى واحد ، من ذلك قوله : ((ومعنى الاخذ والتخذ واحد وهو حوز الشيء وتحصيله ...)) (٢) وكذلك قوله : ((والشيب والمشيب واحد)) (٣) وقوله : ((والعرش والعروش والعرائش واحد)) (٤) فقوله (واحد) يشير إلى كون دلالة هذه الألفاظ مترادفة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وقد يشير في النص الأخير إلى دلالة الجمع مطلقا من غير تخصيص بالقلة والكثرة .

وما نقله عن بعض اللغويين قوله : ((وقال بعض اللغويين الحيوان والحياة واحد)) (٥) فعلى الرغم من الاختلاف بين الصيغتين . فالحيوان على وزن (فعلان) وهذه الصيغة تدل على الحركة والاضطراب وهكذا هو شأن الحياة . فإن معنا هما واحد .

وأما قوله : ((والقول والقال والقيل واحد وقيل : القول في الخير ، والقال والقيل في الشر ، قال :

أبكي إلى الشرق إنْ كانتْ منازلُهم ... تُمايلي الغرب خوف القيل والقال)) (٦)

فنرى في الرأي الأول أن دلالة هذه الألفاظ مترادفة ، إلا أننا نلمح في الرأي الثاني نوعاً من التخصص في الدلالة إذ خرجت من العموم إلى الخصوص .

(*) هو المرحوم علي الجارم . ينظر : الترادف ١/ ٣١٤ ـ ٣٢٠ (بحث منشور) .

(١) ينظر : الترادف في اللغة ٢٩٧ .

(٢) البصائر : ٢/ ٥٧ .

(٣) البصائر : ٣/ ٣٥٩ .

(٤) البصائر : ٤/ ٤١ .

(٥) البصائر : ٢/ ٥١٤ .

(٦) البصائر : ٤/ ٣٠٣ .

ويظهر أن قوله (واحد) الذي ورد في النصوص السابقة يحيل على رأيه في وقوع الترادف باتحاد الألفاظ في المعنى بل نجده ينص على ذلك باستعمال (والمعنى واحد ٠)

ويظهر شرط التساوي بالمعنى عند الفيروزآبادي حين يعرض لبعض الأمثلة فقد استعمل لفظة (بمعنى واحد) للدلالة على ترادف الألفاظ المختلفة ذات المعاني المتحدة؛ كقوله : ((والاطلاع ، والبلوغ بمعنى واحد))(١) وقوله : ((والبسم ، والابتسام ، والتبسم بمعنى واحد ، وهو أقل الضحك ، وأحسنه))(٢) وقوله : ((وتضرع إلى الله تعالى : ابتهل وأظهر الضراعة ، بمعنى واحد إذا جاء يطلب اليك الحاجة))(٣) ومثله قوله : (والحَيْب والحَيبة والحاب بمعنى واحد))(٤) وقوله : ((والإنفار عن الشيء ، والتنفير عنه والاستِنْفار كله بمعنى واحد))(٥) وقوله : ((والأموال والمال يكونان بمعنى واحد))(٦) ٠ وأخيرا ، قوله : ((والمَشُورة والمَشْوَرة والشُّورى ، بمعنى واحد ٠ وأشار عليه بالرأي))٠(٧)

وقد يستعمل الفيروزآبادي لفظة مرادفة لكلمة (واحد) كلمة (سواء) التي توحي بترادف الألفاظ ، من ذلك قوله : ((الفوه والفاه والفيه والفم سواء))٠(٨)

وقد يستعمل كلمة (بمعنًى) للدلالة على تساوي الألفاظ المترادفة ، منها قوله : (والاستباق والتسابق بمعنى))٠(٩) وقوله : ((والصَّفوان ، والصَّفواء ، والصفا بمعنى ، قال : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ (سورة البقرة ٢٦٤)))(١٠)٠ وقوله : ((والأَلف والأليف بمعنى ٠ وفي الحديث (المؤمن ألوف مألوف)))(١١)٠ وكذلك قوله : ((طَهَر واطهُر واطَّهَّر وتطهَّر بمعنى))(١٢) وغير ذلك ٠(١٣)

---

(١) البصائر : ٣/٥١٣٠
(٢) البصائر : ٢/٩ ٢٤٠
(٣) البصائر : ٣/٤٧٣٠
(٤) البصائر : ٤/١١٦٠
(٥) البصائر : ٥/٩٧٠
(٦) البصائر : ٤/٤١٦٠
(٧) البصائر : ٣/٣٦١٠
(٨) البصائر : ٤/٢٢١٠
(٩) البصائر : ٣/١٨٢٠
(١٠) البصائر : ٣/٤٢٧٠
(١١) البصائر : ٢/٤ــ٥ ٠
(١٢) البصائر : ٣/٥٢٨٠
(١٣) ينظر : البصائر ٣/١٢٧و٤٣١ ، ٥/١٣٤٠

ويظهر أنّه تمّ انتقال الدلالات بين الحقول التصنيفية يكون اللفظ ينتقل من الاسمية إلى المصدرية أو العكس وقوله (بمعنى) يعني به كون الألفاظ تدل على معنى اسمي أو مصدري أو غيرهما ٠

وعلى رأي أحد الباحثين [١] أنّ الترادف يتحقق حين يوجد تضمن من جانبين ٠يكون (أ) و (ب) مترادفين إذا كان (أ) يتضمن (ب) و (ب) يتضمن (أ) ٠ كما في كلمة (أم) و (والدة) ٠ ونستطيع القول ومن خلال ماتقدم من أمثلة ذكرها الفيروزآبادي في بصائره أن الترادف يتحقق حين يتضمن الاطلاع معنى البلوغ ، وحين يتضمن البلوغ معنى الاطلاع ، وكذلك يتحقق حين يتضمن النبت معنى النبات والنبات معنى النبت ، في قوله : ((النبت والنبات بمعنى)) ٠[٢] وغيرها من الأمثلة المذكورة سلفا ٠

وكما وقع الاختلاف بين علماء اللغة والاصول في القول بوقوع الترادف في اللغة أو انكاره ، وقع الاختلاف في جواز قيام أحد المترادفين مقام الآخر ٠[٣] ويبدو أن الفيروزآبادي كان متساهلاً بالقول بوجود الترادف إذ عقد (بصيرة في وجل) قال فيها : ((الوجل ـ محركة ـ : الخوف ورجفان القلب وانصياعه لذكر من يخاف سطوته وعقوبته أو لرؤيته ٠ وقيل : الخوف ، والخشية ، والرَّهبة ، والوَجَل ألفاظ متقاربة المعنى)) ٠[٤] ويبدو أن قوله (ألفاظ متقاربة المعنى) فيه تساهل كبير إذ عدّ كثيراً من الألفاظ مترادفة لأدنى تقارب في المعنى ، ولأيسر تشابه في الدلالة ، لأن من شروط الترادف الحقيقي الاتفاق في المعنى اتفاقاً تاماً ، فليس التقارب في المعنى كافياً للحكم على أنها مترادفة حقيقة مالم يتحقق التطابق التام في المعنى ٠

ومن خلال معالجة بعض النصوص القرآنية وذكر المتشابه منها التي عالجها الفيروز آبادي في بصائره نستشعر ترادف بعض الألفاظ ، من ذلك حين وقف عند المتشابه من (سورة طه) في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾[٥] ومن (سورة النمل) في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ ٠[٦] ومن (سورة القصص) في قوله تعالى : ﴿أَتَاهَا ٠٠﴾ ٠[٧] علل ذلك بقوله

---

(١) أحمد مختار عمر في كتابه (علم الدلالة) ٦٨ ٠
(٢) البصائر ٥/٦ ٠
(٣) ينظر : المزهر ١/٤٠٢ ـ ٤٠٥ ، فصول في فقه العربية ٣١٠ـ٣١٦ ٠
(٤) البصائر ٥/١٦٥ ٠
(٥) الآية رقم ١١ ٠ (٦) الآية رقم ٨ ٠ (٧) الآية رقم ٣٠ ٠

((٠٠ لان (اتى،وجاء) بمعنى واحد ، لكن لكثرة دور الإتيان هنا (يعني : في سورة طه) نحو : ﴿فَأْتِيَاهُ﴾[١] ، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾[٢] ، ﴿ثُمَّ ائْتِ﴾[٣] ، ﴿ثُمَّ ائْتُوا﴾[٤] ، ﴿حَيْثُ أَتَى﴾[٥] جاء (أتاها) ، ولفظ (جاء) في النمل أكثر ، نحو : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهَا﴾[٦] ، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾[٧] ، ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾[٨] والحق (القصص) بـ (طه) لقرب مابينهما))[٩] .

ومثل هذا حين وقف عند قوله تعالى : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ (سورة طه ٤٠) وقوله تعالى : ﴿فَرَدَدْنَاهُ﴾ (القصص ١٣) ، علل ورود اللفظتين المترادفتين بقوله : ((لأن الرجع الى الشيء والرد اليه بمعنى ، والرد عن الشيء يقتضي كراهة المردود ، وكان لفظ الرجع ألطف ، فخص (طه) به ، وخص القصص بقوله : ﴿فَرَدَدْنَاهُ﴾ تصديقاً لقوله : ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ (القصص ٧) .[١٠]

إن الملاحظة الواضحة هنا ونحن بصدد بيان رؤية الفيروز آبادي للترادف أن للألفاظ التي يقال بترادفها سمات سياقية واجتماعية تجعلها صالحة للاستعمال في هذا الموقع أو ذلك . ولا تستطيع مترادفاتها اشغال هذا الموضع كما شغله . وقد ظهر ذلك في (آتاها) استجابة لدواعي لغوية اذ تكرر في النص القرآني في هذه السورة استعمال هذا الفعل ، وظهر في (الرجع) الذي يشتمل على نظرة اجتماعية بوصفه اكثر لطفا .

---

(١) الآية رقم ٤٧ .
(٢) الآية رقم ٥٨ .
(٣) الآية رقم ٦٠ .
(٤) الآية رقم ٦٤ .
(٥) الآية رقم ٦٩ .
(٦) الآية رقم ٨ .
(٧) الآية رقم ٢٢ .
(٨) الآية رقم ٣٦ .
(٩) الآية رقم ١/ ٣٥١ .
(١٠) البصائر ١/ ٣١٤ .

الخاتمة

يمكنني تلخيص ما توصل اليه البحث بالآتي من النتائج العامة :

- إفراد تمهيد تاريخي تُرجم فيه للفيروزآبادي ووقفت على ذكر شيوخه ومؤلفاته ونبهت على ما طُبع منها .
- أُفرد جانبٌ - من القسم الثاني - من التمهيد للوقوف على مصطلحات عنوان الكتاب والكشف عن دلالاتها بدقة مستنيرة في ذلك بما ورد في كتابه من استعمالات قرآنية .
- بيّنت الدراسة مسايرة الفيروزآبادي غيره من علماء العربية في الاعتماد على أقوال العلماء وما نقل عنهم من كتبهم ، وعلى الشواهد اللغوية من آيات قرآنية وقراءات وأحاديث نبوية وامثال عربية واشعار وغيرها .
- أُفرد جانب من البحث للكشف عن دلالات بعض المصطلحات المهمة في الدرس اللغوي في (البصائر) وهي مصطلحات : التفسير والتأويل والمعنى والكلام والقول والحرف .
- كشفت الدراسة الافكار الصوتية التي تبناها الفيروزآبادي في كتابه وعمل على تقديمها في اطار منهجي يجرى مع مباحث الصوت في الدرس الصوتي الحديث .

  وقد تناول فيما تناول مخارج الأصوات والظواهر الصوتية وهي الابدال والادغام والاعلال والهمز وظواهر اخرى هي : الاشباع والامالة والتفخيم .
- بيّن الفصل الخاص بالمبحث الصرفي ثراء هذا المبحث عند الفيروزآبادي وذلك للمسحة المعجمية التي تغلب على الفيروزآبادي فهو يسرد طائفة من الأوزان الصرفية ويذكر اشتقاقات الألفاظ ومصادرها بانواعها وجموعها .
- وقفت الدراسة في مبحثها النحوي على جانب مهم في البحث النحوي وهو ما يتصل بالتطبيق النحوي بمداه الواسع الذي يكشف عن طريق العرب في كلامهم وبناء عباراتهم كالتقديم والتأخير والذكر والحذف والتكرار والتعريف والتنكير وغيرها مما له صلة واضحة بالتعبير القرآني .
- أُفرِد الفصل الخامس لدراسة المباحث الدلالية في البصائر اذ وقف على مصطلح الدلالة لغة واصطلاحاً والعلاقة بين الدال والمدلول ومناسبة الحروف للمعاني ، والتحول الدلالي ووسائله ، وتناول أيضاً الظواهر الدّلالية مثل : التضاد والترادف والمشترك اللفظي والوجوه والنظائر .

أما النتائج الخاصة فهي على النحو الآتي :

- حاولت الدراسة ابراز شخصية الفيروزآبادي العلمية من خلال الوقوف على نتاجه الفكري وآراء العلماء فيه .
- سعت الدراسة الى إيضاح دلالة مصطلحات عنوان الكتاب الدقيقة فافردت جانباً لبيان مصطلحات : " البصائر، التمييز، اللطائف " .
- تمثلت المباحث الصوتية عند الفيروزآبادي في جانبين . الاول : الوقوف عند المخارج الصوتية والثاني : الوقوف عند الظواهر الصوتية . ففي الجانب الاول اقتصر الفيروزآبادي على ذكر أربعة وعشرين مخرجاً وأهمل ذكر مخارج كل من الراء والسين والعين والفاء . اما الجانب الثاني فقد تناول ظواهر الابدال والادغام والاعلال والهمز . ففي الابدال عرض لجميع التحولات التي يذكرها العلماء عند كلامهم على هذه الظاهرة، واقتصر في الادغام على بعض مظاهره ومنها ادغام الواو في التاء ، وادغام التاء في الدال والطاء ، وادغام المتماثلين .

أما الاعلال فقد تمثل عنده بالاعلال بالقلب ولم يعرض للاعلال بالحذف والاسكان . والاعلال عنده قد يكون سياقيا او اشتقاقيا .

ووقف الفيروزآبادي في الهمز عند طائفة من الألفاظ التي تهمز عند قوم وتخفف عند آخرين ، وتعرض لبعض ما زاده القُرّاء .

وعرض الفيروزآبادي لظواهر الاشباع والامالة والتفخيم مقتصرا فيها على ما ورد عند القراء .

- صاغ الفيروزآبادي كتابه متأثرا بالحس المعجمي الذي غلب عليه فضلاً عما ذكرناه من الترتيب الألفبائي لـ (البصائر) واعتماده على ذكر المادة اللغوية التي قد تكون اسماً او فعلاً او مصدراً .
- قد يلجأ الفيروزآبادي الى ذكر الميزان الصرفي للمفردات وذلك للتوصل الى الكشف عن المادة الأصل ، واقتصر هذا في مواضع عدة هي موضع الحاجة الى ذلك .
- تمثلت أوزان المطاوعة في (البصائر) في ثنائيات وصلت الى ثمانية عشر وزناً ، بزيادة ثلاثة عشر بناءً على ما هو معروف لدى سيبويه ومن تبعه من الصرفيين .

- حاولت الدراسة أن تبيّن الاهتمام بالجانب الصرفي عبر فرز مباحث لأبنية المصادر بأنواعها : المصدر والمصدر الميمي ومصدر الهيأة والمرة، والجموع بأنواعها : جمع الجمع واسم الجنس والجمع الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع وجموع القلة والكثرة، والمشتقات كاسم الفاعل والمفعول وصيغ المبالغة واسمي الزمان والمكان واسم الالة .

- كان الاهتمام واضحاً بذكر معاني الأبنية، وبهذا الاطار تناول الفيروزآبادي جانباً دلالياً في القرآن الكريم بالوقوف على مفردات قرئت بالتشديد والتخفيف . ويرد في هذا السياق الالتفات الى التبادل الدلالي بين الصيغ في القرآن الكريم من نحو استعمال (فعيل) بمعنى (فاعل) أو بمعنى (مفعول) .

- تمثلت أهم نتائج هذا الجهد في مباحث الدراسة المختلفة ولا سيما المباحث الصرفية والنحوية بالوقوف على ما اصطلح عليه الفيروزآبادي بالمتشابهات وهي طائفة واسعة من الآيات القرآنية لها نظائر لا تكاد تختلف الا من جهات هي :

(١) الافراد والجمع .
(٢) التقديم والتأخير .
(٣) الذكر والحذف .
(٤) الكناية والتصريح .
(٥) التنكير والتعريف .
(٦) التذكر والتأنيث .
(٧) التكرار .
(٨) الأدوات النحوية .

وقد مثل هذا الجانب من البصائر مادة نحوية مهمة مع علاقتها الواضحة بأسلوب التعبير القرآني . وصورت هذه المباحث التفاعل القائم بين النحو والدلالة واثرهما في نظم القرآن الكريم . وكانت فضيلة دراستنا هذه الوقوف عند هذه الظواهر على نحو مفصل وابرازها والكشف عن معايير الفيروزآبادي في تناوله لهذه المادة . ولعل أوضح المعايير في ذلك السياق بنوعيه : السياق اللغوي وسياق الحال .

أما في الجانب الدلالي للدراسة، فقد توصلت الدراسة الى النتائج الآتية:

- ان الألفاظ عند الفيروزآبادي دوالٌّ على المعاني وتقوم العلاقة الرابطة بينهما على اتفاق الجماعة اللغوية . وهو ما يعني (الاعتباطية)في هذه العلاقة، على ان كلام الفيروزآبادي لا يخلو من القول بوجود مناسبة بين الحروف والمعاني . والعلاقة اللغوية عند الفيروزآبادي ذات بعدين : بعد صوتي هو: اللفظ ، وبعد دلالي هو: المعنى ، ولا يظهر عنده الطرف الثالث من المثلث الدلالي وهو الشيء الخارجي .
- يعدّ عنوان البصيرة اصلاً لتجمع كثير من الدلالات وهو ما يعني أن المادة الأصل تمثل حقلاً دلالياً .
- ظهر من خلال (البصائر) أن وسائل التحول الدلالي تكمن عند الفيروزآبادي في تعميم الدلالة وتخصيصها والمشابهة والتغليب أوتسمية الجزء باسم الكل أوالعكس ومآل الشيء .
- كان الفيروزآبادي دقيقا في تحديد مفهوم الضدّية في المعاني وعدّ الأضداد من المتقابلات اذ التقابل عنده أعم من التضاد .
- أفرد الفيروزآبادي بصيرة في (شرك) بيّن فيها رأيه في مادة المشترك اللفظي ، ويبدو أنه كان من القائلين بورود هذه الظاهرة في اللغة .
- أشار الفيروزآبادي الى المعنى اللغوي الذي تطور الى المعنى الاصطلاحي للترادف وكان واعياً للقول بوجود هذه الظاهرة في اللغة .

والحمد للّٰه أولاً وآخراً .

ثبت المظان

ثبت المظان

- القرآن الكريم .
- الابدال : أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ) ، تح: عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ـ دمشق ، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه : د . خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة ـ بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .
- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : احمد بن البنا الدمياطي (ت١١١٧هـ) ، تعليق : علي محمد الضباع ، دار الندوة الجديدة ـ بيروت / لبنان ، ١٣٥٩هـ .
- الاتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م .
- اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، (ابو عمرو بن العلاء) : د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني ـ القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .
- الإحكام في اصول الأحكام : الحافظ ابو محمد علي بن سعيد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) ، طبعة الاستاذ احمد شاكر ، مطبعة الامام ـ القاهرة ، د . ت .
- الاحكام في اصول الاحكام : علي بن محمد الآمدي (ت٦٣١هـ) ، مؤسسة الحلبي واولاده ـ القاهرة .
- احياء النحو : ابراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ، ١٩٥٩م .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب : ابو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تح: مصطفى احمد النماس ، مطبعة السعد الذهبي ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
- ازهار الرياض في اخبار عياض : شهاب الدين بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ) . ضبطه وحققه وعلّق عليه مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ، ١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م .

- اساس البلاغة : جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: عبد الرحيم محمود ، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٩٥٣م.
- اسرار البلاغة (كتاب): عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، تح: هـ. ريتر، مطبعة وزارة المعارف ـ استانبول، ١٩٥٤م.
- اسس علم اللغة : ماريوباي ، ت: د. احمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية ، ١٩٧٣م.
- اصلاح المنطق : يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، تح: محمد أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون، دار المعارف ـ مصر، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦م.
- الاصول في النحو: ابو بكر بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ) ، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
- الاضداد : ابن الانباري (ت ٣٢٨هـ)، تح: ابوالفضل ابراهيم ، الكويت، ١٩٦٠م.
- الاضداد : ابن الدهان (ت ٥٦٩هـ) ، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة دار التضامن ـ بغداد ، ١٩٦٣م.
- الاضداد : ابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) تح: اوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ، ١٩١٣م.
- الاضداد في كلام العرب : ابو الطيب اللغوي ، تح: د. عزة حسن ، مطبوعات المجمع العلمي ـ دمشق ، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.
- الاضداد في اللغة: د. محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف ـ بغداد. الطبعة الاولى ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
- اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : د. نايف خرما، عالم المعرفة رقم (٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ـ الكويت ، مطبعة اليقظة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
- اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج :تح: ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- الاعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ـ بيروت / لبنان ، الطبعة الرابعة ، كانون الثاني، ١٩٧٩م.

- الامثال (كتاب) : الاصمعي (ت ٢١٦هـ)، جمع وتحقيق وتقديم :د • محمد جبار المعيبد ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٠م•
- إنباء الغمر بأنباء العُمر في التاريخ : ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الهند ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م •
- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيّين : ابو البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ) ، تح: محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصريّة صيدا / بيروت ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م•
- الانموذج في النحو: جار الله الزمخشري، دار الافاق الجديدة ـ بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م•
- اوزان الفعل ومعانيها : د • هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب ـ النجف الاشرف ١٩٧١م•
- أوضح المسالك الى الفية ابن مالك : ابن هشام الانصاري(ت ٧٦١هـ) ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة السادسة، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م•
- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون : اسماعيل باشا البغدادي (ت ١٩٣٩م) منشورات مكتبة المثنى ـ بيروت •
- البحر المحيط : ابو حيان الاندلسي ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة •لاصحابها : عبد الله ومحمد الصالح الراشد ـ الرياض ، المملكة العربية السعودية•
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: القاضي العلامة الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت / لبنان ، د •ت•
- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٨٨م •
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) الاجزاء الخمسة الاولى بتحقيق: محمد علي النجار، القاهرة،١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م• والجزء السادس بتحقيق: الاستاذ عبد العليم الطحاوي ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامي ـ القاهرة، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م•

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي ، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الاولى، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
- البلغة في تاريخ ائمة اللغة: الفيروزآبادي ، تح : محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس :محمد مرتضى الزبيدى الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، مركز الكتب الثقافية ، المطبعة الخيرية المنشأة بمصر، الطبعة الاولى، ١٣٠٦هـ.
- تاريخ آداب اللغة العربية :جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت/ لبنان ،الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م.
- تاريخ الأدب العربي : عمر فروخ ، دار العلم للملايين ـ بيروت .
- تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ، نقله الى العربية د . عبد الحليم النجار، دار المعارف ـ مصر، ١٩٦١م.
- التأويل النحوي في القرآن الكريم :د . عبد الفتاح الحموز، مكتبة الرشد ـ الرياض ، الطبعة الاولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
- الترادف في اللغة : حاكم مالك لعيبي ، دار الحرية للطباعة ـ بغداد ، ١٩٨٠م.
- التطور اللغوي التاريخي : د . ابراهيم السامرائي ، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت/ لبنان ، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
- التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه : د . رمضان عبد التّواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة والرفاعي بالرياض، مطبعة المدني ـ مصر، الطبعة الاولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
- التطور النحوي للغة العربية : براجستراسر ، صححه وعلّق عليه د . رمضان عبد التّواب ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، دار الرفاعي ـ الرياض، مطبعة المجد ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
- التعبير القرآني : د . فاضل السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، مطبعة التعليم العالي ـ الموصل ، ١٩٨٦م ـ ١٩٨٧م.

- التعريفات : علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد .
- التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل : د . محمود احمد نحلة، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية، القاهرة .
- التفكير اللساني في الحضارة العربية :د . عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ، مطبعة الشركة التونسية، ١٩٨١م .
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم: حميد احمد عيسى العامري ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، الطبعة الاولى، ١٩٩٦م .
- التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، تح: محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي ـ القاهرة، ١٩٤٧م .
- التيسير في القراءات السبع: ابو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، عنى بتصحيحه أوتويزل استانبول ، مطبعة الدولة ، جمعية المستشرقين الالمانية، ١٩٣٠م .
- الجامع الصحيح : الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تح: أحمد شاكر ، مطبعة البابي الحلبي ـ مصر، ١٩٣٧م .
- الجامع لاحكام القرآن : ابو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٦٧م .
- ابن جني ـ عالم العربية: د . حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٠م .
- حاشية الأمير على المغني : محمد بن محمد الامير (ت ١٢٣٢هـ)، المكتبة التجارية ـ مصر، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٦١م .
- حاشية الصّبان على شرح الاشمونيّ على الفية آبن مالك ومعه شرح شواهد اللغة للعيني : محمد بن علي الصّبان (ت ١٠٢٦هـ)، دار احياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي .
- الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تح: د . عبد العال سالم مكرم ـ بيروت ، ١٩٧٧م .

- الحيوان : عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تح: عبد السلام هارون ـ بيروت ، ١٩٦٩م.
- الخصائص: ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النّجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ـ بيروت / لبنان ، د.ت.
- دائرة المعارف الاسلامية : دار انتشارات جهان ـ طهران، بو ذر جمهري.

- دراسة الصّوت اللغوي: د. احمد مختار عمر، عالم الكتب مطبعة سجل العرب ـ مصر، الطبعة الاولى ، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
- دراسة في حروف المعاني الزائدة: عباس محمد السامرائي، طبع بمطبعة الجامعة ـ بغداد ، الطبعة الاولى، ١٩٨٧م.
- درة التنزيل وغرة التأويل : الخطيب الاسكافي (ت٤٢١هـ) ، رواية ابن ابي الفرج الاردشاني، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
- درة الغواص في أوهام الخواص : ابو محمد القاسم الحريري (ت ٥١٦هـ)، طبعة لايبتسك ـ بألمانيا ، ١٨٧١م.
- دلائل الاعجاز (كتاب) : عبد القاهر الجرجاني ، تح: محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، مطبعة المدني ، د.ت.
- دلالة الالفاظ : د. ابراهيم انيس ، مطبعة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م.
- دلالة الالفاظ وتطورها : د. مراد كامل (مجموعة محاضرات القاها على طلبة الدراسات الادبية واللغوية)، مطبعة نهضة مصر، الفجّالة ـ القاهرة، ١٩٦٣م.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي : يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، تحقيق وتقديم : فهيم شلتوت، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، د.ت.
- دور الكلمة في اللغة : ستيفن اولمان ، ترجمة وتعليق : كمال محمد بشر، مكتبة الشباب ، المطبعة العثمانية، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢م.
- ديوان جرير: تحقيق: د. نعمان محمد امين طه ، دار المعارف ـ مصر، ١٩٦٩ـ ١٩٧١م.

- ديوان العجاج : رواية الاصمعي ، تحقيق : د • عزة حسن ، مكتبة دار الشرق ـ بيروت ، ١٩٧١م •
- ديوان مجنون ليلى : تح: عبد السلام احمد فرّاج ، القاهرة ، د •ت•
- ذخائر التراث العربي الاسلامي (دليل ببليوغرافي للمخطوطات العربية المطبوعة حتى عام ١٩٨٠م) : عبد الجبار عبد الرحمن ، مطبعة جامعة البصرة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م •
- ذيل تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو المحاسن الحسيني الدمشقي (ت ٧٦٥هـ) ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت/ لبنان ، د •ت•
- ذيل الدرر الكامنة : ابن حجر العسقلاني :تح: د • عدنان درويش ، معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ـ القاهرة ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م •
- رسالة الاضداد : محمد المنشي (ت ١٠٠١هـ)، تح: د • محمد حسين آل ياسين ، منشورات مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع ـ بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٥م •
- روضات الجنات : الميرزا محمد باقر الموسوي (ت ١٣١٣هـ)، تح: اسد الله اسماعيليان ، مطبعة الحيدرية ـ طهران ، ١٣٩٠هـ •
- السبعة في القراءات (كتاب) : ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تح: د • شوقي ضيف ، دار المعارف ـ مصر، الطبعة الثانية ، د •ت•
- سر صناعة الاعراب: ابو الفتح عثمان بن جني ، تح: مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وابراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، الجزء الاول ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م •
- سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي ، تح : احمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م •
- شذا العرف في فن الصرف : الاستاذ الشيخ احمد الحملاوي ، المكتبة الثقافية ـ بيروت/ لبنان ، د •ت•
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، دار المسيرة بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م •

- شرح جمل الزجاجي : ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩هـ) ، تحـ: د ٠ صاحب أبـو جناح ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر ـ جامعة الموصل ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ٠
- شرح الحدود النحوية: عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت ٩٧٢هـ)، دراسة وتحقيق : د ٠ زكي فهمي الآلوسي ، دار الكتب للطباعة والنشر ـ جامعة الموصل ، ١٩٨٨م ٠
- شرح درّة الغواص: شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٩٦هـ)، مطبعة الجوائـب ـ مصر ، ١٢٩٩هـ ٠
- شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٨هـ) ، تحـ: محمـد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميـد ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ٠
- شرح شواهد المغني : جلال الدين السيوطي ، المطبعة البهية ، مصر ، ١٣٢٢هـ ٠
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ـ القاهرة، الطبعة العشرون ، رمضان ١٤٠٠ هـ ـ يوليـو ١٩٨٠م ٠
- شرح عيون الاعراب: ابو الحسن علي بن فضال المجاشعي (ت ٤٧٩هـ)، تحـ: د ٠ حنا جميل حداد ، مطبعة المنار ـ الاردن ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م ٠
- شرح الفصيح في اللغـة: ابو منصور ابن الجبان (ت بعد ٤١٦هـ)، دراسـة وتحقيق: عبد الجبار القزاز، دار الشؤون الثقافية العامة ـ آفاق عربية، بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٩٩١م ٠
- شرح كافية ابن الحاجب : الرضي الاستراباذي ، د ٠ط ، د ٠ت ٠
- شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب ـ بيروت، د ٠ت ٠
- الشقائق النعمانية: طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ)، طبع على هامش وفيات الاعيان ، مصر ، ١٣١٠هـ ٠
- الصاحبي في فقه اللغة، وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، تحـ: مصطفى الشويمي ، مؤسسة أ ٠ بدران ـ بيروت /لبنان، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م ٠
- الصحاح : اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحـ: احمد عبد الغفور عطار، طبع على نفقة صاحب العلى السيد حسن شربطي ، دار الكتاب العربي ـ القاهـرة، ١٩٥٦م ٠

- صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحـ: محمد فـؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ـ بيروت، ١٩٥٠م.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) ، تحـ: محمد فؤاد عبد الباقـي ، مطبعة البابي الحلبي ـ مصر، ١٩٥٥م.
- صيغ الجموع في اللغة العربية: د. باكزة رفيق حلمي ، مطبعة الاديب البغدادية ـ بغداد.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشـورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت / لبنان ، د.ت.
- طبقات الشافعية : ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ) ، تحـ: د.علي عبد العليم خان ، دائرة المعارف العثمانية ـ الهند ، حيدر آباد الدكن، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م.
- طبقات المفسرين : الداودي (ت ٩٤٥هـ)، تحـ: علي محمد عمر، مطبعة الاستقـلال الكبرى، الطبعة الاولى ، ربيع الاول ١٣٩٢هـ ـ ابريل ١٩٧٢م.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر: الصغاني (ت ٦٥٠هـ)، تحـ: الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة المعارف ـ بغداد ، ١٩٧٧م.
- العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد : هنري فليش ، ت.د. عبد الصبـور شاهين ، دار المشرق ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الامين : أبو الطيب التقي الفاسي (ت ٨٣٥هـ) ، طبعة القاهرة ـ مصر ، ١٣٨١هـ
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: علي بن الحسن الخزرجي ، عنـى بتصحيحه محمد بن علي الاكوع الحوالي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ صنعاء ، دار الآداب ـ بيروت / لبنان ، مطبعة الهلال بالفجالة ـ مصر، الطبعة الاولـى ، ١٩١١م.
- علم الاصوات العام (أصوات اللغة العربية) : بسّام بركة ، مركز الانماء القومـي ـ لبنـان.
- علم الدلالة: د. احمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، مؤسسـة الخليج للطباعة والنشر ـ الكويت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

- علم الدلالة: جون لاينز، ت: مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين فالح، كاظم حسين باقر، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م.
- عدة الصرف: كمال ابراهيم ـ بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م.
- العين (كتاب): الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، دائرة الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة ـ بغداد.
- فصول في فقه العربية: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، سفنكس للطباعة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
- فعلت وافعلت: ابو حاتم السجستاني، تح: د. خليل ابراهيم العطية، منشورات جامعة البصرة، ١٩٧٩م.
- فقه اللغة: د. حاتم الضامن، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ـ الموصل، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
- فلسفة التأويل (دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي): نصر حامد ابو زيد، دار التنوير ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
- في اللهجات العربية: د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.
- في النحو العربي، نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، المكتبة العصرية ـ بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٦٤م.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- الكافية في النحو: عثمان بن عمر بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، د. ط، د. ت.
- الكتاب: ابو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه (ت ١٨٠هـ)، طبعة مصورة عن مطبعة بولاق، المطبعة الاميرية الكبرى ـ القاهرة، الطبعة الاولى، ١٣١٧هـ.
- كشاف اصطلاحات الفنون: محمد بن علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)، مطبعة كلكتا، ١٨٦٣م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل : جار الله الزمخشري ، دار الفكر ـ بيروت / لبنان ، د ٠ت٠
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) ، منشورات مكتبة المثنى ـ بيروت ، د ٠ت٠
- الكشف عن وجوه القراءات السبع: مكي بن ابي طالب (ت ٤٣٧هـ) تحـ: محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م٠
- الكلام، إنتاجه وتحليله : د ٠ عبد الرحمن ايوب، جامعة الكويت ، مطبعة ذات السلاسل ـ الكويت، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤م٠
- الكنى والالقاب : المحقق الشهير والمؤرخ الكبير عباس القمي ، المطبعة الحيدرية النجف الاشرف ، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م٠
- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(ت ٧١١هـ) طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والنشر ـ القاهرة ٠
- اللغة والفكر :د ٠ نوري جعفر، نشر وتوزيع ، مكتبة التومي ـ الرباط، ١٩٧١م٠
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : د ٠ فاضل السامرائي ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٩م٠
- اللهجات العربية في التراث : د ٠ احمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا وتونس، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م٠
- لهجة تميم واثرها في العربية الموحّدة : د ٠ غالب المطلبي ، وزارة الثقافة والفنون ، دار الحرية ـ بغداد ، ١٩٧٨م٠
- مجاز القرآن : ابو عبيدة (ت ٢١٠هـ) ، تحـ: محمد فؤاد سزكين ، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م٠
- مجالس ثعلب: ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ)،تحـ: عبد السلام هارون ، دار المعارف ـ مصر، القسم الاول ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٧، القسم الثاني ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م٠
- مجمع الامثال : ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت ٥١٨هـ) ، قدّم له وعلّق عليه : نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م٠

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها : ابن جني ، تح: علي النجدي، وعبد الحليم النجار، واسماعيل شلبي ، دار احياء التراث الاسلامي ـ القاهرة ، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .
- المحكم والمحيط الاعظم : ابن سيده الاندلسي (ت ٤٥٨هـ)، تح:د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ـ مصر ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م .
- مختار الصحاح : ابو بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت / لبنان ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع: ابن خالويه ، على بنشره ج . برجشتراس المطبعة الرحمانية ـ مصر، ١٩٣٤م .
- المخصص: ابن سيده الاندلسي ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، مصورعن الطبعة الاميرية ـ بيروت ، ١٣٢١هـ .
- المزهر في علوم اللغة وانواعها : جلال الدين السيوطي ، تح: محمد احمد جاد المولى ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية، مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة، الطبعة الرابعة ، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م .
- المستصفى من علم الاصول : ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، طبعة بولاق ـ مصر، د .ت .
- المستقصى في أمثال العرب: جار الله الزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .
- مسند احمد : أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، القاهرة، ١٣١٣هـ .
- مشكل اعراب القرآن : مكي بن ابي طالب، دراسة وتحقيق : حاتم الضامن ، منشورات وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية ـ سلسلة كتب التراث ، ١٩٧٥م .
- المصباح المنير من غريب الشرح الكبير للرافعي : العالم العلامة احمد بن محمد المقرى الفيومي (ت٧٧٠ هـ) ، الطبعة الاميرية ـ مصر ، ١٩١٢ م

- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الاولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- معاني القرآن: ابو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحـ: محمد علي النجار، واسماعيل شلبي، وعلي النجدي - القاهرة، ١٩٥٥م - ١٩٧٢م.
- معاني القرآن واعرابه: ابو اسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحـ: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معاني النحو: د. فاضل السامرائي، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر - الموصل، الطبعة الاولى، ١٩٨٦م - ١٩٨٧م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، تحـ: محمد علي البجاوي، دار الثقافة العربية للطباعة، د. ت.
- معجم البلدان: الشيخ شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر - بيروت، د. ت.
- معجم القراءات القرآنية: د. عبد العال سالم مكرم، ود. احمد مختار عمر، مطبعة ذات السلاسل - الكويت، الطبعة الاولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية): عمر رضا كحّالة، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر العربي - بيروت / لبنان.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة: جمعه يوسف اليان سركيس، مطبعة سركيس - مصر، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف: نشره الدكتور أس. ونسنك، مكتبة بريل في مدينة ليدن، ١٩٣٦م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي - بيروت / لبنان.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل: عبد الجبار القاضي (ت ٤١٥هـ)، الجزء السابع/ خلق القرآن، تحـ: ابراهيم الابياري، اشراف: د. طه حسين، مطبعة دار الكتب - مصر، الطبعة الاولى، ١٩٦١م.

- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحـ : د . مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، راجعه : سعيد الافغاني ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٥م .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة : طاش كبرى زاده ، تحـ: كامل كامل بكـري، عبد الوهاب ابو النور، دار الكتب الحديثة ، مطبعة الاستقلال الكبرى ـ القاهرة ، د .ت .
- مفتاح العلوم : يوسف بن ابي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحـ: اكرم عثمان يوسفه مطبعة دار الرسالة ـ بغداد ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
- المفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ، نشر: نور محمد ، اصح المطابع كارخانة تجارب كتبه كراجي ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م .
- المفصّل في علم العربية: جار الله الزمخشري ، على بشره : محمود توفيق ، مطبعة حجازي ـ القاهرة، د .ت .
- المقتضب: ابو العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحـ: محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ـ بيروت ، د .ت .
- المقرّب: ابن عصفور الاندلسي الاشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحـ: احمد عبد الستار الجواري ، وعبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ـ بغداد ، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م .
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : ابو جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) ، تحـ:د .محمود كامل أحمد ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
- ملامح من تاريخ العربية: د . احمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد للنشر ـ بغداد / العراق ، ١٩٨١م .
- المهذب في علم التصريف : د . هاشم طه شلاش، وصلاح مهدي الفرطوسي ، وعبد الجليل عبيد حسين ، مطبعة بيت الحكمة ـ بغداد ، ١٩٩٠م .

- النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده (كتاب) : للعلامة السيد محمود شكري الألوسي ، تح: محمد بهجة الاثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- نحو المعاني : عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي : د. محمد حماسة عبد اللطيف ، د.مط - مصر، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣م.
- نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر : جمال الدين ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تح: محمد عبد الكريم الراضي، د. مط - بيروت، ١٩٨٤م.
- النشر في القراءات العشر : ابو الخير المعروف بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تصحيح وقراءة: علي محمد الضّباع ، مطبعة دار الكتاب العربي - بيروت ، د.ت.
- النص القرآني من الجملة الى العالم: وليد منير، المعهد العالمي للفكر الاسلامي - القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- النكت في اعجاز القرآن : ابو الحسن الرّماني (ت ٣٨٦هـ)،(طبع ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن)، تح: محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف - مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م.
- هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين : اسماعيل باشا البغدادي مكتبة المثنى - بيروت ، ١٩٥٥م.
- هل العربية منطقية: الأب مرمرجي الدومنيكي - مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية - لبنان ، ١٩٤٧م.

الرسائل الجامعية :

- البحث الدلالي عند المعتزلة: علي حاتم الحسن ، رسالة دكتوراه ، تقدم بها الى الجامعة المستنصرية / كلية التربية ، باشراف الاستاذ الدكتور غالب فاضل المطلبي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

- الدرس الصوتي عند رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٨هـ) : حسن عبد الغني الاسدي ، رسالة ماجستير تقدم بها الى الجامعة المستنصرية / كلية الآداب ، باشراف الاستاذ الدكتور هادي نهر ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .
- الظواهر اللغوية في معاني القرآن واعرابه للزجاج (ت ٣١١هـ) : وفاء عباس فياض الدليمي ، رسالة ماجستير تقدمت بها الى جامعة بغداد / كلية الآداب ، باشراف الاستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .
- الفيروزآبادي ومنهجه في التصوف من خلال كتابه (بصائر ذوي التمييز): عمر محمد حسين السامرائي ، رسالة دكتوراه تقدم بها الى جامعة بغداد / كلية العلوم الاسلامية ، باشراف الاستاذ الدكتور محمد رمضان عبد الله ، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م .
- مفهوم الجملة عند سيبويه : حسن عبد الغني الاسدي ، رسالة دكتوراه تقدم بها الى الجامعة المستنصرية / كلية التربية ، باشراف الاستاذ الدكتور غالب فاضل المطلبي ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م .
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ـ تاريخ وتطور : عبد الرحمن مطلك الجبوري ، رسالة ماجستير تقدم بها الى جامعة بغداد / كلية الآداب ، باشراف الاستاذ الدكتور حاتم الضامن ، ١٩٨٦م .

البحوث المنشورة :

- الترادف : علي الجارم ، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، الجزء الاول ـ القاهرة ، ١٩٣٤م .
- زيادة الالف والنون في النسب : د . احمد مطلوب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ـ الجزء الاول ـ المجلد الاربعون ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .
- الصلة بين القافية وفواصل الآي القرآني : احمد نصيف الجنابي ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد الثالث ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .
- ما جاء على فعيل من الصفات : صلاح الدين الزعبلاوي ، مجلة التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ـ دمشق ، العدد الحادي والعشرون ـ السنة السادسة ، ١٩٨٥م .

- مدرسة براغ اللغوية : د . أحمد مختار عمر، مجلة كلية الآداب والتربية - الكويت ، العدد الحادي عشر، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م.
- معجمات دلالية لألفاظ القرآن الكريم : مسلطة ، د . حاتم الضامن .
- المفهوم السياقي لكلمتي (الريح والرياح) في القرآن الكريم : د . عواطف يوسف عبد الرزاق ، مجلة آداب المستنصرية تصدرها كلية الآداب بالجامعة، العدد التاسع والعشرون ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- من مظاهر المعيارية في الصرف العربي:د. فوزي الشايب ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الاردني ، العدد الثلاثون ، السنة العاشرة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م

THE LINGUISTIC AND GRAMMATICAL DISSERTATIONS

IN

" BASA'IR THAWI AL TAMYEEZ IN LATA'IF AL KITAB AL AZEEZ "

OF AL-FAYROUZ ABADI

(D. 817 H.)

A THESIS

PRESENTED BY

WAFA' ABBASS FAYYADH AL - DULAIMI

TO THE COUNCIL OF COLLEGE OF ARTS - UNIVERSITY OF BAGHDAD
IN PARTIAL FULFILLMENT FOR THE REQUIREMENTS OF DEGREE OF
DOCTOR (PHILOSOPHY)IN ARABIC LANGUAGE AND ITS ARTS

SUPERVISED BY

PROF. DR. KHADEEJA ABDUL RAZZAK AL-HADITHI

RAMADAN 1421 H. 2000 A.D.

Abstract

This thesis had studied the linguistic and grammatical - dissertations in the Book " Basair Thawi Al Tamyeez in Lataif Al Kitab Al Azeez " (thoughts of distinguishers in nice findings of the favourable Book) ,regarded the great scientist Al Fayrooz-Abadi (D. 817 H.) .

The study required to be divided into an introduction , preface, five chapters and abstraction .

The introduction had included ; the reason of my election of the subject , and quotation concerning the researche's chapters and its resources .

The preface had come in two sections, which the first section had dealt in Al Fayrooz Abadi's life , and a sense concerning his origination , his trips and his affects .., while the second section had been used to appear the reason of the thought's extensions and standing upon the expressions' indications of the Book's titles ..

I had used the first chapter for the thoughts' method-while I put to it a preface - in which I had shown the general frame of the method , followed by three chapter's dissertations-which the first dissertation had been in (Albasair's) resources , while the second had dealt in (Al Basair's) witnesses , and the third dissertation had dealt the important general linguistic expressions in (Al Basair)..which are ; definition,interpretation, meaning, speeche, essay, and letter.

The rest of the chapters had come according the division of the language studying's levels starting the sound level , then

morphology , tne grammatical and indicative.

The second chapter had been about tne phonetic dissertations and fell in two dissertations , tne first in tne vocabularized sound , therefore the speeche had been shortened concerning the sounds' exits - while Al Fayrooz Abadi had neglected the phonetcs in (Al Basair). While the second dissertation had dealt in the phonetic phenominas , as the following: exchange ,combination , hamzing, then the other phonetic phenominas as : saturation,tendence, and enhance ..

I had individualized the third chapter for the inflective dissertations , which are six dissertations - which had come as the following : the first in the inflective measurements and casting structure, the second dissertation concerning the resources and their types , the third in plurals and and their types and the plural's similary, tne fourth in structures' meanings , the fifth in derivations and their types , wnile I attache with - tne subject of the indicative exchange between tne forms, for, the importance and much of the subject which in such attitude . The sixth dissertation in other morphological dissertations as : sculpture, attribution , and minimizing.

Then the fourth chapter comes for the grammatical investigations and its object is of confidential relation in Quranic expression, and may its subject would be more linguisting interesting in (Al Basair) for their communication in the Quranic utterance.

This chapter had contained seven dissertations concerning : Anticipating , lating , mentioning and omitting, repeating,definite and indefinite, ; male, female; and writing,franking, and grammatical articles..

Then we approach to the fifth chapter which is of indicative dissertations during we nad made it upon three dissertation, which the first concerned the indication and its types, the second in indicative change and its means , and the third dissertation in the indicative phenomenas as of ; contradictions , synonims , the pronunciation's association, faces and conceals .

Concerning the abstraction, therefore, I had deposited it the most important of general and private results which approached by the research , while the study had uncovered about the phonetic thoughts which Al Fayrooz Abadi had adopted in his book. Also had uncovered about the property of the inflective subjects which being existed in his book . Also the study had stood upon an important aspect of the grammatical research which communicates with the grammatical apply in its wide extension, and Al Fayrooz Abadi's standing upon upon the indicative expression and the relation between the indicative and indicated and suitablizing of the letters to the meanings . Thus the linguistic relation regarding Al Fayrooz-Abadi is of two expansions ; semantics' and indicative which is the meaning - while , and non-appearing of the third part of the third indication which is the outer thing .